أُصُولُ

الأَخْلاقِ الإِسْلامِيَّة

إعداد

الأستاذ الدّكْتُور/ خَالد بْن حَامِد بن مبارك الحازِميّ

الأسْتَاذُ بِقِسْم التَّرْبِيَة بِالجَامِعَة الإِسْلامِيَّة

فِيْ المدِيْنَة المنوَّرَة

ح خالد حامد الحازمي ، ١٤٢٩هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الحازمي ، خالد حامد

أصول الأخلاق الإسلامية . / خالد الحازمي

- المدينة المنورة ، ١٤٢٩هـ .

٤٣٦ص ؛ ١٧×٢٤ سم

ردمك : ٦- ٧٣٥. -٠٠ - ٦٠٣ -٩٧٨

١- الأخلاق الإسلامية أ. العنوان

ديوي ٢١٢ ١٤٢٩/٣٤٦٧

رقم الإيداع : ١٤٢٩/٣٤٦٧

ردمك : ٦- ٧٣٥. -٠٠ - ٦٠٣ -٩٧٨

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م

مكتبة دار الزمان للنشر والتوزيع

المملكة العربية السعودية - المدينة المنورة - شارع الستين

هاتف: ٨٣٦٦٦٦٦ - فاكس: ٨٣٨٣٢٢٦ ص.ب (٩٠١)

فرع الضيافة - إمتداد شارع أبي ذر هاتف: ٨٣٦٢٩٩٣ - فاكس: ٨٣٤٤٩٤٦

موقعنا على الإنترنت: www.daralzaman.com

البريد الإلكتروني: zaman@daralzaman.com

DAR AL ZAMAN LIBRARY FOR PUBLISHER & DISTRIBUTION

Saudi Arabia - Madina Munawara - Al-Sitteen Road

Tel: 8366666 - Fax: 8383226 P.O. Box: 901

Al-Deyafa St. Ext. Abazar St. Tel: 8344946 / 8362993

website: www.daralzaman.com

email : zaman@daralzaman.com

مقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﷺ [1] ؛ وبعد :

فلقد أنعم الله ﷻ على البشرية بنعم لا تُعد، وإحسان لا يحد، ومنها مبعثه ﷺ على حين فترة من الرسل، بعد أن جاء على الإنسان حين من الدهر ينقاد إلى هواه الذي أرداه في مهاوي الرذيلة، فجاءت رسالته عليه الصلاة والسلام لإنقاذ البشرية وإتمام الأخلاق الحميدة التي بدأت بها الرسالات السماوية السابقة. فتممت رسالته ﷺ مكارم الأخلاق، كما قال عليه الصلاة والسلام : (إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق) [2]. واتصف عليه الصلاة والسلام بأعظم الصفات الخُلُقية، كما وصفه الله تعالى فقال: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [3] فأتم الله به مكارم الأخلاق، فعلم أمته الفضائل الخلقية والآداب الشرعية، وبيّن لهم الأساليب التي توصلهم إلى ذلك بالتعليم والقدوة الحسنة .

وقد حظيت الأخلاق بمنزلة جليلة في الإسلام، تتوق لها النفوس السليمة، والفطرة

---

(١) النسائي، (٣/١٠٤-١٠٥) برقم (١٤٠٤)، وابن ماجه (١/٦٠٩-٦١٠) برقم (١٨٩٢) واللفظ له، وأحمد (١/٣٠٢) وصححه الألباني، صحيح ابن ماجه (١٥٣٥-١٨٩٢).

(٢) أحمد (٢/٣٨١)، واللفظ له، ومالك (٢/٩٠٤) برقم (٨) وصححه الألباني، صحيح الجامع الصغير برقم (٢٣٤٩).

(٣) سورة القلم: آية رقم (٤).

الصحيحة، كما شملت أخلاق الإسلام، الدين كله، وحددت ونظمت للإنسان علاقته بربه وبنفسه وبمجتمعه، مما جعلها كفيلة بإصلاح سلوك البشرية جميعاً.

وعندما ضعفت عملية التربية وانفتحت الثقافات الأخرى على المجتمعات الإسلامية انحرف مسار بعض سلوكيات المجتمع إلى غير منهج التربية الإسلامية، فظهرت الانحرافات السلوكية التي لا حل لها بمنأى عن منهج التربية الإسلامية .

وقد جاء هذا الكتاب متضمناً للكثير من القضايا والأصول والفضائل الخلقية إضافة إلى ما يتعلق بالمساوئ والانحرافات السلوكية مع بيان سُبُل علاجها وأسبابها وآفاتها ومسؤوليات الفرد والأسرة والمجتمع والدولة عن هذه الانحرافات.

وأرجو من الله العليم القدير أن يجعله عملاً فاعلاً ونافعاً في بناء هذه الأمة، وأن يجعله خالصاً له ﷻ ، وأن يتقبله ويجعله صدقة جارية إلى يوم الدين. وما كان هذا العمل من صواب فهو بتوفيق الله تعالى، وما فيه من النقص والخطأ فلا يسعني إلا أن أدعو ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾، كما أسأله تبارك وتعالى أن يرزقني وإياكم حُلل الفضائل الخلقية عملاً وقولاً، وأن يجنبنا منكرات الأخلاق وعقابها وعواقبها.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين .

المدينة المنورة

٢٧/ ١١/ ١٤٢٨هـ

الفَصْلُ الأَوَّل:

الأَخْلاقُ الإِسْلامِيَّة

المبحث الأول: مفهوم الأخلاق.

المبحث الثاني: الضوابط الخلقية.

المبحث الثالث: حدود الأخلاق.

المبحث الرابع: أصول السلوك الأخلاقي.

المبحث الخامس: أسس الأخلاق الإسلامية.

المبحث السادس: الآداب والفضائل الخلقية.

المبحث السابع: أسس التربية الخلقية والحكم الأخلاقي.

تمهيد:

لقد حظيت الأخلاق في الإسلام بعناية فائقة، تضمنتها آيات القرآن الكريم ونصوص الأحاديث النبوية، ووضعت لها الضوابط التي إذا تمسك بها الأفراد والجماعات فازوا ونجوا من التيارات الهدامة، وتجنبوا ويلات الدمار الخلقي، والصراع الاجتماعي والنفسي الذي تعاني منه بعض المجتمعات.

ولكن هناك مفاهيم تربوية خاطئة لمعنى الأخلاق عند الأفراد والجماعات، فالبعض يُدخل في الفضائل ما ليس منها، لسوء الفهم والبعد عن الينبوع الأصيل للتربية الخلقية، والبعض يُخرج من الأخلاق الإسلامية بعض خصالها بحجج ذوقية واهية، فأفرزت هذه المفاهيم الخاطئة سلوكيات لا تتوافق مع المنهج الإسلامي، بل إنها مناوئة للتربية الإسلامية، كالاختلاط والسفور والغش والخداع، والتقليد غير البصير للعادات والتقاليد الأجنبية التي ما أنزل الله بها من سلطان.

وانعكس ذلك أيضاً على التأليف في ميادين العلوم المختلفة، نتيجة التيارات الثقافية الوافدة عن طريق وسائل نقل العلم والمعرفة السريعة، وترجمة الثقافات غير الإسلامية، والدعاية لها ولما تحمله من عادات وتقاليد، حتى أصبح التأثر في المأكل والمشرب والملبس والأعياد والاحتفالات، وهذا يؤكد أن هناك تحدياً يواجه الأمة الإسلامية من خلال الغزو الأخلاقي من قبل أعداء الإسلام.

وكما أن التربية الأخلاقية الإسلامية تهدف إلى الحفاظ على مفهوم الأخلاق الإسلامية من المؤثرات الخارجية، وتعمل على تطبيق ذلك في حياة الأفراد والجماعات، فإنه لابد من إيضاح الأصول التربوية والضوابط الشرعية للسلوك الأخلاقي.

المبحث الأول
مفهوم الأخلاق

أولا: الأخلاق في الدلالة اللغوية:

الخُلُق: بضم اللام وسكونها: هو الدين والطبع والسجية، وحقيقته أنه لصورة الإنسان الباطنة، وهي نفسه وأوصافها ومعانيها المختصة بها بمنزلة الخَلْق لصورته الظاهرة وأوصافها ومعانيها، ولهما أوصاف حسنة وقبيحة [1].

وجاء في المعجم الوسيط أن الخُلُق: حال للنفس راسخة تصدر عنها الأفعال من خير أو شر من غير حاجة إلى فكر وروية [2].

ويأتي الخلق بمعنى ما اكتسبه الإنسان من طباع، فنقول مثلاً: تخلّق بخُلُق كذا: أي استعمله من غير أن يكون مخلوقاً في فطرته، وقوله: تخلّق مثل تجمّل: أي أظهر جمالاً وتصنّع وتحسن، وفلان يتخلّق بغير خُلقه أي يتكلّفه [3].

وقال الراغب الأصفهاني: الخلاق: ما اكتسبه الإنسان من الفضيلة بخُلُقه [4].

واشتقاق خليق وما أخلقه من الخَلاقة، وهي التمرين، ومن ذلك أن تقول

(١) ابن منظور، لسان العرب (٨٦/١).
(٢) الفيروز أبادي، القاموس المحيط (٢٢٩/٣).
(٣) مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط (٢٥٢/١).
(٤) ابن منظور، لسان العرب (٨٧/١٠).

للذي قد أَلِف شيئاً: صار ذلك خُلُقاً، أي مَرَن عليه [1].

وخليقٌ: جدير به، كأنما خلق له وطبع عليه، وأخْلِق بـه، ومـا أخلقـه أن يفعـل كذا: ما أجدره وأولاه [2] .

وعلم الأخلاق: علم موضـعه أحكـام قيميـة تتعلـق بـالأعمال التـي توصـف بالحُسن أو القبح [3].

ومما سبق يتبين أن الأخـلاق تأخـذ دلالات متباينـة ومتقاربـة بحـسب اللفـظ اللغوي، فقد تأتي بمعنـى الطبـع والـسجية والفطـرة، وقـد تـأتي بمعنـى التطبـع والتكلـف، لقـدرة الإنـسان عـلى تقمـص الأخـلاق الحـسنة أو القبيحـة بـالمران والألفة، كما تأتي بمعنى المعاشرة الحسنة.

ويسوغ القول: بأن الدلالة اللغوية تفسر أن الأخلاق منها ما هو فطري ومنهـا ما هو مكتسب، ولهما أوصاف حسنة وأوصاف قبيحة.

ثانياً: الأخلاق في القرآن الكريم.

ورد الخُلُق في القرآن الكريم في موضعين:

أ- قال تعالى: ﴿قَالُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُن مِّنَ ٱلْوَٰعِظِينَ ﴿١٣٦﴾ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا خُلُقُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾[4].

(١) ابن منظور، لسان العرب (٩١/١٠).

(٢) مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط (٢٥٢/١).

(٣) المرجع السابق (٢٥٢/١).

(٤) سورة الشعراء: آية رقم (١٣٦-١٣٧).

قال ابن كثير: «أي يعنون دينهم وماهم عليه من الأمر، هو دين الأولين من الآباء والأجداد ونحن تابعون لهم سالكون وراءهم كما عاشوا، ونموت كما ماتوا، ولا بعث ولا معاد»[1].

ب- قال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[2] أي «وإنك لعلى دين عظيم وهو الإسلام»[3]، ومعنى هذا «أنه عليه الصلاة والسلام صار امتثال القرآن أمراً ونهياً سجية له وخلقا تطبعه. فمهما أمره القرآن فعله، ومهما نهاه عنه تركه، هذا مع ما جبله الله عليه من الخلق العظيم من الحياء والكرم والشجاعة والحلم، وكل خُلُق جميل»[4]. وهو ما أشارت إليه أم المؤمنين عائشة رَضِيَ الله عَنْهَا حينما سألها قتادة عن خلقه ﷺ فقالت رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: (ألست تقرأ القرآن؟ قلت: بلى، قالت: فإن خلق نبي الله ﷺ كان القرآن)[5].

وكما جاء في الصحيحين عن أنس ﷺ قال: (خدمت رسول الله ﷺ عشر سنين والله ما قال لي: أف قط[6] ولا قال لشيء: لم فعلت كذا؟ وهلا فعلت

(١) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (٣/٣٥٥).
(٢) سورة القلم: آية رقم (٤).
(٣) ابن كثير: تفسير القرآن العظيم (٤/٤٢٩).
(٤) المرجع السابق، (٤/٤٢٩).
(٥) مسلم (١/٥١٢-٥١٣) برقم (١٣٩-٧٤٦).
(٦) هي صوت إذا صوت به الإنسان علم أنه متضجر متكره، وقيل أصل الأف من وسع الأصبع إذا فُتل، وقد أففت بفلان تأفيفاً، وافففت به، إذا قلت له أفٍ لك، النهاية في غريب الحديث، لابن =

كذا؟)[1] وهذا من كمال تعامله ﷺ مع من يخدمه، قال شيخ ابن تيمية رحمه الله: «أما الخلق العظيم الذي وصف الله به محمد ﷺ فهو الدين الجامع لجميع ما أمر الله به مطلقاً، هكذا قال مجاهد وغيره، وهو تأويل القرآن كما قالت عائشة رَضِيَ الله عَنْهَا: «كان خلقه القرآن» وحقيقته المبادرة إلى امتثال ما يحبه الله تعالى بطيب نفس وانشراح صدر»[2] .

ومن هذا يتبين أن الخلق يُطلق على الدين العظيم هو الإسلام كما يتضح من الآية الثانية، وهذا يشمل تجريد المتابعة للرسول ﷺ وإخلاص النية لله تعالى، لكي يكتسب صفة الأخلاق الإسلامية، وقد يُطلق على الديانات الأخرى وما يتبعها من انحرافات سلوكية، كما يتضح من الآية الأولى، أي يطلق على الصفات الحسنة والطباع الحميدة، ويطلق أيضاً على الصفات الرذيلة كما هو في المدلول اللغوي، وفي القرآن الكريم.

ثالثاً: الأخلاق في الحديث الشريف:

جاء لفظ الخلق في مواضع متعددة من الأحاديث النبوية الشريفة، وهذه بعض الأمثلة لذلك:

أ- **البر**: عن النواس بن سمعان ﷺ قال: (سألت رسول الله ﷺ عن البر

=الأثير (١/٥٥)، وانظر: المفردات للأصفهاني ص (١٨-١٩).

(١) البخاري (٤/٩٨) برقم (٦٠٣٨) ومسلم (٤/١٨٠٤) برقم (٥١-٢٣٠٩).

(٢) ابن تيمية، مجموع الرسائل الكبرى (١/٢٣٤).

والإثم؟ فقال: البر حسن الخلق، والإثم ما حاك[1] في صدرك وكرهت أن يطلع عليه الناس)[2] وهذا الحديث يدل على أن حُسن الخلق هو البر «والبر يكون بمعنى الصلة، وبمعنى اللطف، والمبرة وحسن الصحبة والعشرة، وبمعنى الطاعة، وهذه الأمور هي مجامع حسن الخلق»[3] قال ابن قيم الجوزية رحمه الله عن الحديث المشار إليه: «فدل على حسن الخلق طمأنينة النفس والقلب»[4] وهذا يعني أنه يشمل الأعمال الظاهرة والباطنة.

ب- **هي الخصال الحميدة والأعمال الصالحة**: قال ﷺ: (إن الله كريم يحب الكرم ويحب معالي الأخلاق، ويكره سفاسفها)[5] وقال أنس رضي الله عنه: (خدمت رسول الله ﷺ عشر سنين، والله ما قال لي: أف قط، ولا قال لشيء: لم فعلت كذا؟ وهلا فعلت كذا؟)[6] وقال عبدالله بن عمر رضي الله عنهما في وصف خلق رسول الله ﷺ: (لم يكن فاحشاً ولا متفحشاً[7]، وقال رسول الله ﷺ: (إن من

(١) أي إذا لم تكن منشرح الصدر به، وكان في قلبك منه شيء من الشك والريب وأوهمك أنه ذنب وخطيئة. النهاية لابن الأثير (٤١٨/١).

(٢) مسلم (١٩٨٠/٤) برقم (١٤-٢٥٥٣).

(٣) النووي، صحيح مسلم بشرح النووي (١١١/١٦).

(٤) ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين (٣١٩/٢).

(٥) الحاكم (٤٨/١) والخرائطي، مكارم الأخلاق ص (٥٥) وقال الألباني: صحيح، صحيح الجامع الصغير (٣٧٠/١) برقم (١٨٠٠).

(٦) سبق تخريجه.

(٧) الفحش: كل خصلة قبيحة فهي فاحشة من الأقوال والأفعال.

خياركم أحاسنكم أخلاقاً) [1].

وتدل هذه الأحاديث على أن من الأخلاق ما هو طيب ممدوح، وهو كل ما تمثل في الخصال الحميدة، والأعمال الصالحة، وحسن المعاشرة مع الناس.

ج- **وقد تعني الخصال البذيئة:** قال ﷺ: (اللهم إني أعوذ بك من منكرات الأخلاق والأعمال والأهواء[2])[3]، وقال ﷺ: (إن الله كريم يحب الكرم ويحب معالي الأخلاق ويكره سفاسفها[4])[5]، فدلت «منكرات الأخلاق» و«سفاسفها» على أن من الأخلاق ما هو مذموم قبيح، يتمثل في ممارسة الفرد للرذائل السلوكية والخصال الدنيئة.

د- من الأخلاق فطري جبلي: ويتبين ذلك من قوله ﷺ لأشج عبدالقيس (إن فيك خلتين يحبهما الله: الحلم والأناة، قال: يا رسول الله، أنا أتخلق بهما أم الله جبلني عليهما؟ قال: بل الله جبلك عليهما، قال: الحمد لله الذي جبلني على خلتين

المتفحش: الذي يتكلف ذلك ويتعمده. النهاية (٣/٤١٥)، و انظر: المفردات ص (٣٧٣-٣٧٤).

(١) البخاري (٤/٩٦) برقم (٦٠٢٩) ومسلم (٤/١٨١٠) برقم (٢٣٢١).

(٢) الأهواء: الهوى ميل النفس إلى الشهوة (وأفئدتهم هواء) أي خالية. المفردات، ص(٥٤٨).

(٣) الترمذي (٥/٥٣٦) برقم (٣٥٩١) واللفظ له، والحاكم (١/٥٣٢) وقال: صحيح الإسناد على شرط مسلم، وقال الألباني: صحيح. صحيح الجامع الصغير (١/٢٧٨) برقم (١٢٩٨).

(٤) السفاسف: أي الأمر الحقير والرديء من كل شيء، وهو ضد المعالي والمكارم، وأصله ما يطير من غبار الدقيق إذا نُخل، والتراب إذا أثير، النهاية (٢/٣٧٣-٣٧٤)، وانظر: المجموع المغيث في غريبي القرآن والحديث، للأصفهاني (٢/٩٨).

(٥) سبق تخريجه.

يحبهما الله ورسوله) [1] فدل هذا الحديث على أن من فضائل الأخلاق ما هو فطري جبلي فطر الله عليه بعض خَلْقه.

قال الحافظ ابن حجر: «فترديده السؤال وتقريره عليه يشعر بأن في الخلق ما هو جبلي وما هو مكتسب» [2].

هـ - **من الأخلاق ما هو كسبي**: يكتسبه الإنسان بالمران والتعود والتنشئة عليه، ولذلك وجه ﷺ الرجل الذي قال له: أوصني، فقال عليه الصلاة والسلام: (اتق الله حيثما كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن)[3]، (وببيت في وسط الجنة لمن ترك الكذب وإن كان مازحاً، وببيت في أعلى الجنة لمن حسن خُلُقه)[4]، فدل ذلك على أن الإنسان باستطاعته أن يكتسب الأخلاق الحميدة، ويتخلق بها حتى تصبح له سجية و صفة، فينال بها الأجر والثواب والمنزلة العظيمة، كما قال ﷺ: (إن أحبكم إليّ وأقربكم مني مجلسا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقاً، وإن أبغضكم إليّ وأبعدكم مني مجلساً يوم القيامة الثرثارون

(١) سبق تخريجه.

(٢) ابن حجر، فتح الباري (٤٥٩/١٠).

(٣) الترمذي (٣١٢/٤-٣١٣) برقم (١٩٨٧) ومسند أحمد (١٥٣/٥) وحسنه الألباني، صحيح سنن الترمذي، برقم (١٦١٨-٢٠٧٠).

(٤) أبوداود (١٥٠/١) برقم (٤٨٠٠)، واللفظ له، والترمذي (٣١٥/٤) برقم (١٩٩٤)، وابن ماجه (١٩/١-٢٠) برقم (٥١) وصححه الألباني في السلسلة برقم (٢٧٣).

والمتشدقون[1] المتفيهقون قالوا: يا رسول الله، قد علمنا: الثرثارون والمتشدقون، فما المتفيهقون؟ قال: المتكبرون) [2] وقال ﷺ: (ما شيء أثقل في ميزان المؤمن يوم القيامة من خلق حسن، وإن الله ليبغض الفاحش البذئ)[3].

وفي ذلك يتبين أن الأخلاق هي كل ما يتصف به الإنسان من صفات حميدة أو ذميمة، فإذا كانت حميدة: سميت معالي الأخلاق أو فضائل الأخلاق، وإن كانت ذميمة سميت رذائل الأخلاق أو منكرات الأخلاق.

ويظهر بجلاء أن الأخلاق هي الهيئة التي يتصف بها الإنسان على أي وجه كان، وهذا ما دل عليه القرآن الكريم في الآيتين التي أشارت إحداهما إلى خُلق القرآن والأخرى إلى خلق الأولين في قوله تعالى: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا خُلُقُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾[4] وفي قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[5] والتي سبق بيانها، وكذلك في الدلالة اللغوية من أن الخلق هو صورة الإنسان الباطنة ولها أوصاف حسنة وقبيحة.

---

(١) المتشدقون: هم المتوسعون في الكلام من غير احتياط واحتراز، وقيل: أراد بالمتشدق المستهزئ بالناس يلوي شدقه بهم وعليهم، النهاية (٢/٤٥٣).

(٢) الترمذي (٤/٣٢٥) برقم (٢٠١٨)، واللفظ له، وأحمد (٤/١٩٤) وقال الألباني: صحيح، صحيح الجامع الصغير، برقم (١٥٣٥).

(٣) أبوداود (٥/١٥٠) برقم (٤٧٩٩)، والترمذي (٤/٣١٨-٣١٩) برقم (٢٠٠٢) واللفظ له، وقال: حديث حسن صحيح، وأحمد (٦/٤٤٢، ٤٤٦، ٤٥١، ٤٥٢)وصححه الألباني، صحيح سنن الترمذي، برقم (١٦٢٨-٢٠٨٧).

(٤) سورة الشعراء: آية رقم (١٣٧).

(٥) سورة القلم: آية رقم (٤).

من هذا يتبين اتفاق المعنى العام للأخلاق في اللغة والقرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة.

رابعاً: الأخلاق في الاصطلاح:

ونورد هنا بعضاً من التعريفات لنخلص منها إلى مفهوم محدد للأخلاق في التربية الإسلامية:

- **الأخلاق**: هي أوصاف الإنسان التي يتعامل بها مع غيره وسواء كانت قبيحة أو حميدة، يقول ابن حجر -رحمه الله تعالى-: «الأخلاق أوصاف الإنسان التي يعامل بها غيره، وهي محمودة ومذمومة، فالمحمودة على الإجمال تكون مع غيرك على نفسك، فتنصف منها ولا تنصف لها، وعلى التفصيل: العفو والحلم والجود والصبر، وتحمل الأذى، والرحمة والشفقة، وقضاء الحوائج والتواد، ولين الجانب ونحو ذلك، والمذموم منها: ضد ذلك» [(١)].

- وتعرف الأخلاق من خلال مصدر انبعاثها، فيقول ابن مفلح -رحمه الله- عن الخُلُق: «وحقيقته أنه لصورة الإنسان الباطنة وهي نفسه وأوصافها ومعانيها، ولها أوصاف حسنة وقبيحة»[(٢)] أي أن الأخلاق هي كل ما يتصف به الإنسان من أوصاف حميدة أو ذميمة، وهي تمثل الصورة الباطنة للإنسان، فإذا ظهرت كانت

(١) ابن حجر، فتح الباري (٤٥٦/١٠).
(٢) ابن مفلح، الآداب الشرعية (٢٠٥/٢).

مثل خلقة الإنسان الظاهرة، وقد ذكر مثل ذلك السفاريني[1].

ويقول محمد عبدالله بن دراز -رحمه الله -: «الخلق هو قوة راسخة في الإرادة تنزع بها إلى اختيار ما هو خير وصلاح (إن كان الخُلق حميداً) أو إلى اختيار ما هو شر وجور (إن كان الخلق ذميماً)»[2] أي أن مركز الخُلق هو باطن الإنسان، وحقيقته تظهر في السلوك، وبهذا يتفق دراز مع ابن مفلح والسفاريني، ويقول دراز في كتاب آخر مؤكداً وموضحاً على نحو أوسع لتعريفه السابق «فكلمة خلق أو أخلاقية بالمعنى الصحيح تعني تلك القدرة الفطرية أو المكتسبة التي ينبثق عنها السلوك تلقائياً، وبعبارة أخرى: الخلق هو الشكل الثابت لوجودنا الباطني، في مقابل الخَلْق، وهو الشكل الظاهري الذي وهبه الله لكل مخلوق»[3].

ويقول الغزالي رحمه الله: «فالخُلق عبارة عن هيئة في النفس راسخة عنها تصدر الأفعال بسهولة ويسر من غير حاجة إلى فكر وروية» [1].

ويقول الغزالي عن الهيئة التي هي مصدر انبعاث الخلق: «وإن كان الصادر عنها الأفعال القبيحة سميت الهيئة التي هي المصدر خلقاً سيئاً. وإنما قلنا إنها هيئة راسخة؛ لأن من يصدر منه بذل المال على الندور لحاجة عارضة لا يقال خلقه

(١) السفاريني، غذاء الألباب (١/٣٦٠).
(٢) محمد عبدالله دراز، دراسات إسلامية في العلاقات الاجتماعية والدولية، ص(٨٨).
(٣) محمد عبدالله دراز، دستور الأخلاق في القرآن، (ص٦٠٥).

السخاء ما لم يثبت ذلك في نفسه ثبوت رسوخ، وإنما اشترطنا أن تصدر منه الأفعال بسهولة في غير روية؛ لأن من تكلف بذل المال أو السكوت عند الغضب بجهد وروية لا يقال خلقه السخاء والحلم» [٢].

- وهناك من يفرّق بين الخلق والتخلق فيقول الراغب الأصفهاني: «الفرق بين الخلق والتخلق: أن التخلق معه اشتغال واكتئاب ويحتاج إلى بعث وتنشيط من خارج، والخلق معه استخفاف وارتياح ولا يحتاج إلى بعث وتنشيط من خارج» [٣] وفي الحقيقة أن الخلق لابد من أن يسبقه تخلق وتعود، وهو مجال التربية الخلقية، وكلما كان الباعث قويا كان التخلق أسرع إلى الثبات في نفس المرء، فالشخص الذي يتواضع أو ينفق لمصلحة دنيوية مؤقتة يزول هذا الخلق بزوال الباعث، أما إذا الباعث هو ابتغاء طاعة الله والأجر والثواب من الله فإنه للدوام والرسوخ أقرب، وذلك لقوة الباعث، وهنا نجد أن من أسباب تفوق التربية الإسلامية أنها نابعة من العقيدة الإسلامية التي تجعل مثوبة الخالق خير وأبقى من مثوبة المخلوق، وإن ابتغاءها يحقق الأجر والثواب كما جاء في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا﴾ [٤] فأعطى الله على الخلق الحسن الأجر

(١) الغزالي، إحياء علوم الدين (٥٣/٣).
(٢) المرجع السابق (٥٤/٣).
(٣) الراغب الأصفهاني، الذريعة إلى مكارم الشريعة، ص (١٢٢).
(٤) سورة الإنسان: آية رقم (٩).

العظيم حيث قال ﷺ: (إن المؤمن ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم) [1] وقريب من تعريف الأصفهاني أشار الماوردي حيث فرق بين الخِيم الذي هو الطبع الغريزي، والخُلق الذي يمثل الطبع المتكلف حيث يقول: «فأما ما طبع عليه فيسمى الخيم، فيكون الخيم الطبع الغريزي، والخُلق الطبع المتكلف» [2].

- وهناك من يعرف الخُلُق على أساس الممارسة وفق ما يراه الشرع والعقل، فيقول أبواليزيد العجمي: «الخُلق نوع من المران والممارسة لما يراه الشرع والعقل مصلحاً لحال الإنسان ومحققاً له السعادتين، سعادة التعايش في الحياة وسعادة الثواب والنعيم في الآخرة» [3].

- ويعرف البعض الأخلاق من ناحية الحسن فيقول الحسن البصري: «حقيقة حسن الخلق بذل المعروف وكف الأذى وطلاقة الو جه» [4] وقيل له: ما حسن الخلق؟ قال: «بذل الندى وكف الأذى وطلاقة الوجه» [5] وقال ابن قيم الجوزية: «حسن الخلق بذل الندى وكف الأذى واحتمال الأذى، وقيل: بذل

(١) سنن أبي داود ٤٢٠/١٢، ح ٤١٥٦. وصححه الحاكم (المستدرك ١٩٥/١ ح١٨٦).
(٢) ابن مفلح، الآداب الشرعية (٢٠٥/٢).
(٣) أبواليزيد العجمي، السلوك الخلقي للمسلم، ملحق مجلة الجندي المسلم، العدد (٣٩) ص (٤).
(٤) ابن مفلح، الآداب الشرعية (٢٠٧/٢).
(٥) ابن تيمية، الإيمان، ص (١٠).

الجميل وكف القبيح، وقيل التخلي عن الرذائل والتخلي بالفضائل» [1].

وقال القاضي عياض رحمه الله: «حسن الخُلق مخالقة الناس بالجميل والبشر والتودد لهم، والإشفاق عليهم، واحتمالهم، والحل عنهم والصبر عليهم في المكاره، وترك الكبر والاستطالة عليهم، ومجانبة الغلظة والغضب والمؤاخذة»[2] وقال ابن رجب رحمه الله: «حسن الخلق قد يراد به التخلق بأخلاق الشريعة، والتأدب بآداب الله التي أدب بها عباده في كتابه» [3].

وقال ابن تيمية رحمه الله: «وجماع الخلق الحسن مع الناس أن تصل من قطعك بالسلام والإكرام والدعاء له، والاستغفار له، والثناء عليه، والزيارة له، وتعطي من حرمك من التعليم والمنفعة والمال، وتعفو عمن ظلمك في دم أو مال أو عرض، وبعض هذا واجب وبعضه مستحب» [4].

أما عبدالرحمن حبنكة الميداني فيقول: « إن الخُلُق صفة مستقرة في النفس -فطرية أو مكتسبة - ذات آثار في السلوك محمودة أو مذمومة» [5] فهو إذاً يستبعد كل تصرف طارئ في صفات الإنسان عن خلقه سواء كان محموداً أو

(١) ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين (٢/٣٢٠).
(٢) الصنعاني، سبل السلام (٤/١٥١٧).
(٣) ابن رجب، جامع العلوم والحكم ص (٢٣٩).
(٤) ابن تيمية، مجموعة الرسائل الكبرى، ص (٢٣٤).
(٥) الميداني، الأخلاق الإسلامية وأسسها (١/١٠).

مذموماً، فما لم يكن راسخاً في نفسه لا يعتبر سلوكاً خُلُقياً، كما يعتبر الميداني أن الأخلاق صفة شاملة لكل صفات الإنسان سواء محمودة أو مذمومة، فالأخلاق ليست خاصة بالفضائل دون الرذائل. فيقول: «الخُلق المحمود صفة ثابتة في النفس فطرية ومكتسبة تدفع إلى سلوك إرادي محمود عند العقلاء، كالأخذ بالحق أو الخير أو الجمال وإن خالف الهوى، وترك الباطل والشر والقبح وإن وافق الهوى أو الشهوة»[1] أما عن الخلق المذموم فيقول: «صفة ثابتة في النفس فطرية أو مكتسبة تدفع إلى سلوك إرادي مذموم عند العقلاء، كالأخذ بالباطل أو الشر أو القبح، وترك الحق أو الخير أو الجمال، اتباعاً للهوى أو الشهوة»[2].

والحقيقة أن الخُلق المذموم ليس صفة فطرية وإنما تُكتسب لوجود الاستعداد البشري نحو الخير أو الشر؛ لأن الأصل سلامة الفطرة؛ كما قال ﷺ فيما يرويه عن ربه ﷻ: (... وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم، وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم)[3]، «أي مسلمين وقيل طاهرين من المعاصي وقيل مستقيمين لقبول الهداية»[4] فدل ذلك على أن الصفات الذميمة ليست فطرية.

أما مقداد يالجن فيقول: «يمكن تحديد مفهوم الأخلاق في نظر الإسلام بأن

(١) المرجع السابق (١/١٦).
(٢) المرجع السابق (١/١٦).
(٣) مسلم (٤/٢١٩٧) برقم (١٣-٢٨٦٥).
(٤) النووي، صحيح مسلم بشرح النووي (١٧/١٩٧).

الأخلاق عبارة عن المبادئ والقواعد المنظمة للسلوك الإنساني، التي يحددها الوحي لتنظيم حياة الإنسان، وتحديد علاقته بغيره على نحو يحقق الغاية من وجوده في هذا العالم على أكمل وجه» [1] .

وبهذا فإن مقداد يالجن يحدد الأخلاق من حيث مصدرها الذي ينتظم به السلوك الإنساني، وهنا يمكن القول بأن يالجن يستبعد إطلاق لفظ أو مصطلح الأخلاق على الرذائل والصفات الذميمة؛ لأن ليس في الإسلام رذائل.

والأخلاق منها المحمود، ومنها المذموم، ويجمعها السلوك الخلقي للفرد، والتي يمكن تعريفها وإيضاحها فيما يلي:

١- **الأخلاق المحمودة:** هي كل صفة حسنة، بنية حسنة، وفق منهج الله تعالى.

شرح التعريف:

فالقول بأنها: كل صفة حسنة، يخرج منها كل صفة مذمومة.

بنية حسنة: احترازاً من أي خُلق محمود في ذاته، وصحبته نية محرمة أو مكروهة، مثل: الرياء والسمعة، وليقال: فلان كريم، وفلان شجاع، ونحو ذلك.

وفق منهج الله تعالى: احترازاً من كل سلوك يعود للذوق الفاسد، والفكر المنحرف، والتقليد المنكر.

(١) مقداد يالجن، التربية الأخلاقية في الإسلام،ص (٧٥).

ولذلك لابد أن يكون السلوك الخلقي صواباً وخالصاً. أما إذا كان الخُلق صواباً ولم يكن خالصاً، فإن هذا السلوك يعتبر محموداً في ذاته، لا في المتخلق به، إلا بحسب نيته، فالشجاعة الحربية من مكارم الأخلاق، ولكنها مرتبطة بباعثها، مفتقرة للنية، كما جاء في الحديث، أنه (جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: الرجل يقاتل للمغنم، والرجل يقاتل للذكر، والرجل يقاتل ليُرى مكانه، فمن في سبيل الله؟ قال: (من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله)[1]، وقال ﷺ : (إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته لله ورسوله فهجرته لله ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها، أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه) [2].

فثواب العامل على عمله بحسب نيته الصالحة، وإن عقابه عليه بحسب نيته الفاسدة، وقد تكون النية مباحة فيكون العمل مباحاً، فلا يحصل ثواب ولا عقاب، فالعمل في نفسه صلاحه وفساده وإباحته بحسب النية الحاملة عليه، المقتضية لوجده [3].

٢- **الأخلاق المذمومة:** هي كل صفة على غير منهج الله تعالى.

(١) البخاري (٣٠٩/٢) برقم (٢٨١٠) ومسلم (١٥١٢/٣-١٥١٣) برقم (١٤٩-١٩٠٤).
(٢) البخاري (١٣/١) برقم (١) ومسلم (١٥١٥/٣-١٥١٦) برقم (١٥٥-١٩٠٧).
(٣) ابن رجب، جامع العلوم والحكم.

شرح التعريف:

فالقول: بأنها كل صفة، شاملة للأخلاق المذمومة مطلقاً، وللأخلاق المحمودة إذا افتقرت للنية الصحيحة السليمة.

وفي القول: على غير منهج الله تعالى، يخرج بها كل صفة خُلُقية أقرها الشرع، أو أمر بها.

٣- السلوك الخلقي: هو كل صفة اتصف بها الإنسان في نفسه، أو مع غيره، وأصبحت من سجاياه، وسواء كانت فطرية، أو مكتسبة، وحميدة أو ذميمة.

شرح التعريف:

فالقول: بأنه كل صفة اتصف بها الإنسان، وذلك احترازاً من الأخلاق التي يمارسها الفرد في سلوكه على وجه الندرة، فلا تعتبر في حقه سجية خُلُقية من سجاياه.

والقول: في نفسه، تأكيداً على أن بعض الصفات الخُلُقية، تكون ذاتية، ليس لها تأثير مباشر في التعامل مع الآخرين، مثل: زينة الملبس، ونوعيته، ونظافته، ونظافة بدنه.

والقول: أو مع غيره، تأكيداً على أن الصفات الخُلُقية ذات جانبين: جانب ذاتي، وجانب اجتماعي، وهي شاملة للنمطين معاً.

والقول: وأصبحت سجية من سجاياه، وذلك احترازاً من السلوك اليتيم النادر، فإنه لا يمكن أن يقال عنه أنه من سجايا الفرد الذي ندر منه ذلك السلوك،

فالكريم مثلاً إذا حصل منه عكس ما اعتيد منه على وجه الندرة، فإنه لا يسمى بخيلاً، وكذلك العكس.

والقول: وسواء كانت فطرية أو مكتسبة، تأكيداً على أن السلوك الخُلُقي منه ما هو فطري، ومنه ما هو مكتسب.

والقول: وحميدة أوذميمة، إيضاحاً بأن السلوك الخُلُقي منه ما هو محمود، فيقال: ذو سلوك خلقي حميد، ومنه ما هو ذميم، فيقال: ذو سلوك ذميم.

وبهذا يتضح أن الأخلاق، منها ما هو مذموم، ومنها ما هو محمود لذاتها، فإذا اتصف الإنسان بالمحمود منها، فإنه لا يكون السلوك في حقه محموداً حتى تقترن به النية الصالحة، وإذا اتصف الإنسان بالمذموم، على وجه الندرة لا يوصف بذلك الخُلُق؛ لأنه ليس سجية من سجاياه، وإن كان يُلام، وقد يؤاخذ على ذلك، على ما سيأتي تفصيله.

المبحث الثاني:
الضَّوابط الخُلقيّة

تعريف الضّابط:

الضبط: لزوم الشيء وحبسه، وضبط الشيء حفظه بالحزم [1].

فالضابط هو ما يحزم الشيء ويطوقه، ويجعله رهين قيوده.

وأما الضوابط الخُلُقية، فالمقصود بها مقيدات ومحددات السلوك الإنساني.

أقسام الضوابط:

إن من أهم ما ينبغي العناية به في هذا الموضوع وأمثاله ضبط مصادره، وأطرافه، وطريقة فهمه، حتى يبتعد قاصدوه عن متاهات قصور النظر، وبُنيات الطرق؛ فلا يُدخل في الأخلاق ما ليس منها، ويُخرج ما كان منها.

وهذا الأمر يحتاج إلى معرفة الضوابط التي يسير في كنفها، حتى لا يضل ولا يشقى فيهلك، ويمكن تحديد هذه الضوابط في ثلاثة أصول:

١- الضوابط الشرعية.

٢- الضوابط العرفية.

٣- الضوابط النفسية.

---

(١) ابن منظور، لسان العرب (٧/٣٤٠).

أولاً: الضوابط الشرعية:

ويقصد بالضوابط الشرعية: الأدلة، أو نصوص الكتاب والسنة، التي كُلِّف المخاطب بمقتضاها، فعلاً، أو تركاً، عملياً، أو قولياً، وهي على خمسة أوجه[1]:

١- أخلاقيات محرمة:

وهي كل سلوك قولي أو عملي نهى عنه الشارع على وجه التحريم، كعقوق الوالدين، بالقول أو الفعل، أو كالكذب، والجور والظلم.

ويدخل في هذا فعل ضد ما أمر به الشارع الحكيم، أو عدم فعل ما أمر به الشارع الحكيم على وجه الوجوب.

٢- أخلاقيات مكروهة:

وهي كل سلوك قولي أو فعلي نهى عنه الشارع على وجه الكراهية "وهو ما تركه خير من فعله، وقد يطلق ذلك على المحظور، وعلى ما نُهي عنه نهي تنزيه، فلا يتعلق بفعله عقاب" [2] مثل: الأخذ بالشمال، والإعطاء بها.

٣- أخلاقيات واجبة:

وهي كل سلوك فعلي أو قولي أمر به الشارع على وجه الوجوب، مثل: بر

(١) هذه التقسيمات على نمط ما جاءت في كتب أصول الفقه، عن الأحكام التكليفية، انظر على سبيل المثال: الورقات للجويني، ص(٨)، والكوكب المنير، للفتوحي ص(١٠٥-١٣٤) ومذكرة أصول الفقه لمحمد الأمين الشنقيطي، ص(١١) والأصول من علم الأصول لابن عثيمين ص(٩).
(٢) محمد الأمين الشنقيطي، مذكرة في أصول الفقه، ص(٢٥).

الوالـدين، والـصدق، والـصبر عـلى أداء الواجبـات، وأداء الأمانـات، وصـلة الأرحام.

٤- أخلاقيات مستحبة:

وهي كل سلوك فعلي أو قولي أمر به الشارع على وجه الندب، فلم يتعلـق عـلى تركه عقاب، وتعلق على فعله امتثالاً ثواب، مثل: الأخذ باليمين.

٥- أخلاقيات مباحة:

وهي كل سلوك فعلي أو قولي لم يتعلق به أمر ولا نهي لذاته، مثل: طريقة تقديم الطعام للأضياف، ونوعية ما يقدم.

فإذا تعلق وترتب على فعل المباح حرام أو مكروه، فهو بحسبه، مثل: أن يترتب على طريقة الضيافة أمر محرم أو مكروه، كالإسراف، أو ترتب على فعـل المباحـات واجبات ومندوبات، فهو بحسبها، مثل الجلوس في الطريـق يترتـب عليـه غـض البصر وكف الأذى ورد السلام.

ثانياً: الضوابط العرفية:

يقصد بالضوابط العرفية: ما تعارف الناس على فعلـه أو تركـه مـن المباحـات، على وجه يرون مخالفته بالترك أو الفعل إخلالاً بالآداب العامة.

والعرف له أصل في الشرع، منه ما جاء في الحديث (فـما رأى المـسلمون حـسناً

فهو عند الله حسن، وما رأوه سيئاً فهو عند الله سيء)[1].

واعتبار العادة والعرف رُجع إليه في الفقه في مسائل كثيرة، منها ما له علاقة بالجانب الأخلاقي، مثل: ما تعارف عليه الصناع في العمل، والأكل من الطعام المقدم ضيافة بلا لفظ، وفي المسابقة، والمناضلة، وتناول الثمار الساقطة، وما يتعلق بالشرب وسقي الدواب من الجداول والأنهار المملوكة، ففيه اعتبار إقامة الإذن اللفظي له [2].

ومثل: تعارف الناس على أن يعقب السلام عند التقاء المعارف والأصدقاء السؤال عن الصحة، والدعوة إلى الدار، إن كان المقام يتطلب ذلك. ومثل: أن يدعو الجيران ضيف جارهم إكراماً لجارهم وللضيف. أو مثل الآداب الخاصة بقيادة السيارات، غير مُلزمة، إلا من باب الأدب، ولا يترتب على تركها ضرر.

والآداب العرفية تكون «بحسب الحقل الذي تنظمه، ولذلك نجد أنواعاً من العرف مثل: عرف دولي، وعرف تجاري، وعرف إداري، وعرف عمالي، وعرف عائلي، وهذه الأنواع المتعددة المختلفة لم تفرضها سلطة رسمية، ولكنها فرضت نفسها بالممارسة العملية» [3].

(١) أحمد (١/٣٧٩).
(٢) السيوطي، الأشباه والنظائر، ص(٩٠).
(٣) عبدالرحمن عبدالعزيز القاسم، نظرية العرف كمصدر للأحكام، ص(١٧).

والعرف ليس سلوكاً خُلُقياً ملزماً على إطلاقه، بل لابد له من قيود، وإلا دخل في الأخلاق الإسلامية ما يتنافى معها تحت مظلة العرف، ويمكن تلخيص قيود العرف فيما يلي: [1]

١- أن تكون العادة والعرف مطردة أو غالبة.

٢- أن يكون العرف المراد تحكيمه في التصرفات قائماً، بأن يكون حدوث العرف سابقاً على وقت التصرف، ثم يستمر إلى زمانه، فيقارنه، سواء أكان التصرف قولاً أو فعلاً.

٣- أن لا يكون في العرف تعطيل لنص ثابت، أو لأصل قطعي في الشريعة، أي لا يخالف نصاً شرعياً ولا إجماعاً فقهياً.

٤- أن لا يعارض العرف تصريح بخلافه، أي أن العرف لا يعتبر، ولا يكون حجة إذا كان هناك ما يدل على خلاف ما تعارف الناس عليه.

ثبوت وتغير العادات:

العادات من حيث ثبوتها وتغيرها تنقسم إلى قسمين[2]:

١- عادات ثابتة:

وهي تلك العادات غير قابلة للتغير والتعديل، كوجود شهوة الطعام

(١) المرجع السابق، ص(٣٨-٣٩).

(٢) الشاطبي، الموافقات، (١٩٨/٢).

والشراب والوقاع والنظر والكلام والبطش والمشي، وأشباه ذلك. فإذا كانت أسباباً لمسببات حكم بها الشارع، فلا إشكال في اعتبارها والبناء عليها، والحكم على وفقها، مثل: نهي الشارع الحكيم عن المشي في خيلاء، قال تعالى: ﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾[1] فنهى الشارع عن مشي الخيلاء، فهو سبباً لبغض الله على المتفاخر.

٢- عادات متبدلة:

وهي العادات المتغيرة، ومنها ما يكون متبدلاً من حسن إلى قبيح، ومنها ما يكون متبدلاً من قبيح إلى حسن، والقبح مرفوض؛ لأنه يتعارض مع الشرع الحنيف، والعقل السليم.

ومن جانب آخر فقد تكون العادة عند قوم من الأقوام أخلاقاً حسنة، وعند غيرهم ليست من المروءة، قال الشاطبي: مثل كشف الرأس فإنه يختلف بحسب البقاع في الواقع، فهو لذوي المروءات قبيح في البلاد المشرقية، وغير قبيح في البلاد المغربية، فيكون عند أهل المشرق قادحاً في العدالة، وعند أهل المغرب غير قادح[2].

وقد يختلف حسنها وقبحها بحسب الزمان، فالملابس المستحسنة اليوم في

(١) سورة لقمان، آية رقم (١٨).
(٢) الشاطبي، الموافقات، (١٩٨/٢).

غالب الجزيرة العربية -الثوب والعمامة- ومخالفتها من قبل أهلها غير مستحسنة عندهم، وربما يعتبر ذلك قدحاً في عدالة المخالف.

ثالثاً: الضوابط النفسية:

هي الأحاسيس النفسية الداخلية بالرد أو القبول نحو التصرفات الفعلية والقولية للإنسان، فيما لم يرد فيه نص، قال ﷺ: (البر حسن الخُلق، والإثم ما حاك في نفسك وكرهت أن يطلع عليه الناس) [1]، وعن وابصة بن معبد رضي الله عنه، قال: (أتيت رسول الله ﷺ، فقال: جئت تسأل عن البر والإثم؟ قلت: نعم، قال: استفت قلبك: البر ما اطمأنت إليه النفس، واطمأن إليه القلب، والإثم ما حاك في النفس، وتردد في الصدر، وإن أفتاك الناس وأفتوك) [2].

وفي هذين الحديثين ما يدل على أن الله تعالى فطر عباده على محبة الحق والسكون إليه وقبوله، وركز في الطباع محبة ذلك، والنفور عن ضده[3]، قال ﷺ: (كل مولود يولد على الفطرة) [4]، وقال ﷺ فيما يرويه عن ربه ﷻ: (خلقت عبادي حنفاء كلهم ، وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم)[5]. قال ابن تيمية: فَعُلِم

(١) مسلم (١٩٨٠/٤) برقم (١٤-٢٥٥٣).
(٢) أحمد(٢٢٨/٤) والدارمي(٢٤٥/٢-٢٤٦) وأبو يعلى (١٥٨٦) والطبراني في الكبير (٤٠٣/٢٢).
(٣) انظر: ابن رجب، جامع العلوم والحكم.
(٤) البخاري (٤٢٤/١) برقم (١٣٨٥)، ومسلم (٢٠٤٧/٤) برقم (٢٢-٢٦٥٨).
(٥) مسلم (٢١٩٧/٤) برقم (١٣-٢٨٦٥).

أن في فطرة الإنسان قوة تقتضي اعتقاد الحق، وإرادات النافع[1]. وقال أيضاً: في النفس ما يوجب ترجيح الحق على الباطل في الاعتقادات والإرادات، وهذا كافٍ في كونها ولدت على الفطرة[2]، فالمؤمن كيّس فطن، يدرك بفطرته السليمة ونشأته المستقيمة ما لا يدركه الفاسق «فالحق والباطل لا يلتبس أمرهما على المؤمن البصير، بل يعرف الحق بالنور الذي عليه، فيقبله قلبه، وينفر عن الباطل، فينكره ولا يعرفه»[3].

والمؤمن حيال ما يواجهه في حياته من أمور، فإنه يكون على الصور التالية:

ما ورد فيه نص شرعي أو إجماع، فليس للمؤمن إلا طاعة الله تعالى، كما قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا﴾[4] فينبغي عليه أن يتلقى ذلك بانشراح صدر ورضا.

وأما ما ليس فيه نص من الله تعالى ولا رسوله ﷺ ولا عمن يُقتدى بقوله من الصحابة وسلف الأمة، فإذا وقع في نفس المؤمن المطمئن قلبه بالإيمان المنشرح صدره بنور المعرفة واليقين منه شيء، وحاك في صدره بشبهة موجودة، ولم يجد من

(١) ابن تيمية، درء تعارض العقل والنقل.
(٢) المرجع السابق.
(٣) ابن رجب، جامع العلوم والحكم.
(٤) سورة الأحزاب: آية رقم (٣٦).

يفتي فيه بالرخصة إلا من يخبر عن رأيه، وهو ممن لا يوثق بعلمه وبدينه، بل هو معروف باتباع الهوى، فهنا يرجع المؤمن إلى ما حاك في صدره، وإن أفتاه هؤلاء المفتون، وقد نص الإمام أحمد على مثل هذا أيضاً [1].

وفي هذه الحالة ينظر المؤمن لما حاك في صدره «أي تحرك فيه وتردد، ولم ينشرح له الصدر، وحصل في القلب منه الشك وخوف الذنب»[2] فهنا يتركه، وهذا الترك ليس بنص شرعي، ولكن لما تردد، وحصل في القلب منه شك، وانتابه الخوف من الذنب، فهذا ضابط خُلُقي لتصرفات المسلم.

قال ابن رجب: فدل حديث وابصة وما في معناه على الرجوع للقلوب عند الاشتباه مما سكن إليه القلب، وانشرح إليه الصدر، فهو البر والحلال، وما كان خلاف ذلك فهو الإثم.[3]

وهذا ليس فيما ذهبت إليه الصوفية من الوساوس والخواطر، حيث أن كلامهم في ذلك لا يستند إلى دليل شرعي، بل مجرد رأي وذوق، فأما الرجوع إلى الأمور المشتبهة إلى حوز القلوب، فقد دلت عليه النصوص النبوية وفتاوى الصحابة [4].

وثمة أمر آخر، وهو كراهية أن يطلع الناس على ما حاك في الصدر، فيما لو

(١) ابن رجب، جامع العلوم والحكم، ص(٢٤٠).
(٢) النووي، صحيح مسلم بشرح النووي (١١١/١٦).
(٣) ابن رجب، جامع العلوم والحكم، ص(٢٤٠).
(٤) المرجع السابق، ص(٢٤١).

تُـرجم إلى فعـل أو قـول. لأن المـسلمين لا يجمعـون عـلى استحـسان القبـيح، أو استقباح الحسن، قـال ابـن مـسعود ﷺ: (مـا رآه المؤمنـون حـسناً، فهـو عنـد الله حسن، وما رآه المؤمنون قبيحاً، فهو عند الله قبيح)[1].

فهذا ضابط نفسي آخر، وبذلك يمكن القول: بأن الـضابط النفـسي يتحـدد في أمرين:

١- ما حاك في الصدر، ولم ينشرح له القلب، وحصل منه شـك وخـوف مـن الذنب.

٢- كراهية أن يطلع الناس على هذا الأمر، خوفاً وخجلاً.

(١) أحمد (٣٧٩/١)، والطبراني في الكبير (٨٥٨٣)، قال الهيثمي في مجمع الزوائد، رواه أحمد والبزار، والطبراني في الكبير، ورجاله موثقون (١٧٧/١-١٧٨) وقال الحاكم في المستدرك: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي في التلخيص (٧٨/٣-٧٩).

المبحث الثالث:
حُدوْد الأخلاق

مفهوم حدود الأخلاق:

الحد: الحاجز بين الشيئين الذي يمنع اختلاط أحدهما بالآخر، وحد الشيء: الوصف المحيط بمعناه المميز له عن غيره [1].

وحدود الأخلاق: الوصف الذي يحيط بالعمل الأخلاقي فيميزه عن غيره، من حيث الحسن والقبح، ومثال ذلك: الشجاعة، فهي فضيلة خُلُقية سامية، فإذا خرج صاحبها عن محيط الشجاعة، وتجاوز حدها ارتفاعاً كان ذلك تهوراً، وإذا تجاوز حدها نزولاً، وتوارى صاحبها وانزوى عما يجب عليه، سمي ذلك جبناً.

فالوصف الذي يحيط بتجاوز الحد في الشجاعة يسمى تهوراً، والوصف الذي يحيط بالقصور عن حد الشجاعة يسمى جبناً، وإن كان في حدود الوصف المحيط بالشجاعة سمي شجاعة، ويُقاس على ذلك ما شابه ذلك.

أهمية حدود الأخلاق:

تبرز أهمية حدود الأخلاق من زاويتين، هما: علم حدود الأخلاق في ذاته،

(١) الراغب الاصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ص(١٠٩).

وأهمية معرفة هذه الحدود، والتي يمكن إيضاحها فيما يلي:

إن من أهم العلوم التي ينبغي إدراكها إدراكاً جيداً، علم حدود شرع الله تعالى، المأمور بها والمنهي عنها، بداية ونهاية، حتى لا يتعداها، ولا يقصر عن حدها، وقد نهى ﷻ عن تعدي حدوده، ونهى في موضع آخر عن اقترابها، قال تعالى: ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا ۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾[1] وقال تعالى: ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا ۗ﴾[2].

فنهى عن تعديها في آية، وعن قربانها في آية، وهذا لأن حدوده ﷻ هي النهايات الفاصلة بين الحلال والحرام، ونهاية الشيء تارة تدخل فيه فتكون منه، وتارة لا تكون داخلة فيه فتكون لها حكم المقابلة، فالاعتبار الأول: نهى عن تعديها، وبالاعتبار الثاني: نهى عن قربانها [3].

والأخلاق هي الترجمة الحقيقية لصورة الإنسان الباطنة، وما يحمله من تقوى وإيمان وورع، أو ضعف وجهل، وهي جديرة بأن يتعرف الإنسان على حدودها فلا يقصر عنها، ولا يتجاوزها إلى ضدها.

ب- إن من أشرف العلوم وأنفعها، علم الحدود، ولاسيما حدود المشروع،

(١) سورة البقرة: آية رقم (٢٢٩).
(٢) سورة البقرة: آية رقم (١٨٧).
(٣) ابن قيم الجوزية، زاد المهاجر، ص(٣٧).

المأمور والمنهي. فأعلم الناس، أعلمهم بتلك الحدود، حتى لا يُدخل فيها ما ليس منها، ولا يُخرج منها ما هو داخل فيها، فأعدل الناس، من قام بحدود الأخلاق والأعمال والمشروعات، معرفة وفعلاً [1].

وحدود الأخلاق تنقسم إلى قسمين:

أقسام حدود الأخلاق:

١- الحدود العامة:

ويُقصد بها الأوصاف والضوابط العامة التي يمكن تطبيقها والقياس عليها في جميع الأقوال والأفعال الخُلُقية، أي هي: القواعد الكلية التي تضبط مساحة الفضائل والرذائل الخُلُقية، وهي على أربع قواعد:

القاعدة الأولى:

أن لا يُدخل في مسمى الفضائل الخُلُقية ما ليس منها، فيحكم لها بحكم الأخلاق الفاضلة، مثل: أن يُدخل المداهنة في باب المداراة، على أنها من فضائل التعامل الأخلاقي، في حين أن المداهنة كما فسرها العلماء: «بأنها معاشرة الفاسق وإظهار الرضى بما هو فيه، من غير إنكار عليه»[2].

(١) ابن قيم الجوزية، الفوائد، ص(١٥٨).
(٢) ابن حجر، فتح الباري، (٥٢٨/١٠).

القاعدة الثانية:

أن لا يُخرج من مسمى الفضائل الخُلُقية بعض أفرادها فيسلب عنها حكمها الأصلي، بحكم مضاد، مثل: أن يخرج من الحياء بعض أصنافه، كمصافحة المرأة للرجل الأجنبي، والحكم بأنه لا يتعارض مع الحياء، بل إنه من شيم الأخلاق، فهنا أخرج بعض أصنافه، فسلب عنه الحكم الأصلي، وأعطاه حكم الجواز.

القاعدة الثالثة:

أن لا يُدخل في مسمى رذائل الأخلاق ما ليس منها، فيحكم لها بحكم الرذائل الخُلُقية، مثل: أن يُدخل في مسمى رذائل الأخلاق المداراة، على أنها من الرذائل الخُلُقية، وأن صاحبها مداهن.

في حين أن المداراة من أخلاق المؤمنين، وهي خفض الجناح للناس، ولين الكلمة، وترك الإغلاظ لهم في القول، وذلك من أقوى أسباب الألفة. والمداراة مندوب إليها، وهي: الرفق بالجاهل في التعليم، وبالفاسق في النهي عن فعله، وترك الإغلاظ عليه، حيث لا يظهر ما هو فيه، والإنكار عليه بلطف القول والفعل، لاسيما إذا احتيج إلى تأَلُّفِه، ونحو ذلك [1].

(١) المرجع السابق (١٠/٥٢٨-٥٢٩).

القاعدة الرابعة:

أن لا يُخرج من مسمى الرذائل الخُلقية بعض أفرادها، فيسلب عنها حكمها الأصلي، بحكم مضاد، مثل: أن يعتبر الاختلاط بين الرجال والنساء ليس من الرذائل الخُلقية، فيسلبه حكم عدم الجواز، بحكم مضاد وهو الجواز، ويعتبره من الرقي الأخلاقي، فهنا سلب الاختلاط من الرذائل الخُلقية، وأضفى عليه لباس الفضيلة، وتبعاً لذلك سلب عنه الحكم الأصلي بحكم مضاد.

٢- الحدود الخاصة:

يقصد بها الأوصاف والضوابط الأُحادية، لكل فضيلة، أي هي مجموعة القواعد الخاصة التي تضبط مساحة آحاد الفضائل الخُلُقية.

وكما أن لكل فضيلة خُلُقية مساحة محدودة معينة، إذا تجاوزها الإنسان أو قصر عنها، أخل بها، وكما أن الفضائل كثيرة ومتعددة فيمكن أخذ أمثلة عليها، ويقاس غيرها عليها.

فقد أشار ابن قيم الجوزية لعدد من ذلك وهي[1]:

الغضب: للغضب حد، وهي الشجاعة المحمودة، والأنفة من الرذائل والنقائص، وهذا كماله، فإذا جاوز حده، تعدى صاحبه وجار، وإن نقص عنه

(١) ابن قيم الجوزية، الفوائد، ص(١٥٦-١٥٨).

جبن، ولم يأنف من الرذائل.

الحرص: وللحرص حد، وهي الكفاية في أمور الدنيا، وحصول البلاغ منها، فمتى نقص عن ذلك كان مهانة، وإضاعة، ومتى زاد عليه كان شرهاً ورغبة فيما لا تُحمد الرغبة فيه.

الحسد: وللحسد حد، وهو المنافسة في طلب الكمال، والأنفة من أن يتقدم عليه نظيره، فمتى تعدى ذلك صار بغياً وظلماً، يتمنى معه زوال النعمة عن المحسود، ويحرص على إيذائه، ومتى نقص عن ذلك كان دناءة وضعف همة، وصغر نفس.

الشهوة: وللشهوة حد، وهو راحة القلب والعقل من كد الطاعة، واكتساب الفضائل، والاستعانة بقضائها على ذلك، فمتى زادت عن ذلك صارت نهمة وشبقاً، والتحق صاحبها بدرجة الحيوانات، ومتى نقصت عنه ولم يكن فراغاً في طلب الكمال والفضل كانت ضعفاً وعجزاً ومهانة.

الراحة: وللراحة حد، وهو إجمام النفس، والقوى المدركة، للاستعداد للطاعة، واكتساب الفضائل، فمتى زاد عن ذلك أصبح توانياً وكسلاً وإضاعة وقت، ومتى نقص عنه صار مضراً بالقوى، موهناً لها.

الجود: والجود له حد بين طرفين، فمتى جاوز حده صار إسرافاً وتبذيراً، ومتى نقص عنه كان بخلاً وتقصيراً.

الشجاعة: وللشجاعة حد، إذا جاوزته صارت تهوراً، ومتى نقصت عنه صارت جبناً وخوراً، وحدها الإقدام في مواضع الإقدام، والإحجام في مواضع الإحجام.

الغيرة: وللغيرة حد، إذا جاوزته صارت تهمة، وظناً سيئاً بالبريء، وإذا قصرت عنه كانت تغافلاً ومبادئ دياثة.

التواضع: وللتواضع حد إذا جاوزه كان ذلاً ومهانة، ومن قصر عنه انحرف إلى الكبر والفخر.

العز: وللعز حد إذا جاوزه كان كبراً وخُلُقاً ذميماً، وإن قصر عنه انحرف إلى الذل والمهانة.

وقد ذكر ابن حزم حدوداً لبعض فضائل الأخلاق، منها ما يلي: [1]

العفة: وحد العفة غض البصر وجميع الجوارح عن ما لا يحل، وتجاوز ذلك عهر، وما نقص عن ذلك حتى يُمسك عن ما أحل الله تعالى فهو ضعف وعجز.

العدل: وحد العدل أن تعطي من نفسك الواجب وتأخذه، وحد الجور أن تأخذه ولا تعطيه، وحد الكرم أن تعطي من نفسك الحق طائعاً، وتتجافى عن حقك لغيرك قادراً.

(١) ابن حزم، الأخلاق والسير، ص(٣١-٣٢).

المبحث الرابع:
أصول السلوك الخُلُقي

ويقصد بأصول السلوك الخُلُقي: الأسس التي ينبني عليها سلوك الإنسان المحمود، وهي تشمل البذل والكف والاحتمال، كما عرفها حسن البصري -رحمه الله تعالى- بأنها: بسط الوجه، وبذل المعروف، وكف الأذى [1]. وقال ابن قيم الجوزية: هو بذل الندى وكف الأذى واحتمال الأذى [2].

فسلوك الإنسان يكون منه لغيره بالعطاء، فذلك هو البذل، ويكون باحتمال ما يصدر عنهم من زلات، فذلك هو احتمال الأذى، ويكون بإمساك ضرره عنهم، فذلك هو كف الأذى. وهذه هي أصول محاسن الأخلاق وبيانها كالتالي:

أولاً: بذل الندى:

بذل الندى: أي الكرم والجود، ويأتي ذلك على ضربين[3] هما: إسقاط وإعطاء.

١- الإسقاط: وهو على ضربين:

أ- أن تتسامح فيما هو لك عند غيرك من حقوق في جميعها، أو جُلِّها، أو بعضها. وقد جاء في الحديث: (كان رجل يداين الناس، فيقول لفتاه إذا

(١) الترمذي (٤/٣١٩) برقم (٢٠٠٥).
(٢) ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين (٢/٣٢٠).
(٣) ابن عثيمين، محاضرة عامة.

أتيت معسراً فتجاوز عنه لعل الله يتجاوز عنا، فلقي الله فتجاوز عنه)[1]، وهذا من باب التسامح عن الحقوق التي عند الغير.

ب- الزهد عما في أيدي الناس، بأن تزهد فيما في أيديهم، فلا تطلبه منهم، وتستغني بما هو عندك، وهذا النوع هو أفضل من سخاء البذل كما قال عبدالله بن المبارك: سخاء النفس عما في أيدي الناس أفضل من سخاء النفس بالبذل [2].

ولكن هذا ليس مطلقاً، فإذا كان يترتب على السخاء عن بعض ما في أيدي الناس مضرة، في الدين أو في الجسم، أو على المجتمع، فتقدر بقدرها، وهنا يكون عدم السخاء عما في أيدي الناس أفضل، مثل: حاجة الإنسان المريض الفقير لمن يعينه على الحصول على الدواء، فإذا كان في عدم التداوي هلكته، وجب عليه الاستعانة بغيره. ومثل: حاجة الجائع لمن يعينه على سد رمقه، فإذا كان في استعفافه هلكته، فينبغي عليه الاستعانة بغيره. قال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ﴾[3].

(١) البخاري (٨٢/٢) برقم (٢٠٧٨) ومسلم (١١٩٦/٣) برقم (١٣-١٥٦٢).
(٢) انظر: مراتب الجود، مدارج السالكين، ابن قيم الجوزية، (٣٠٣/٢).
(٣) سورة المائدة: آية رقم (٢).

٢- **العطاء**: وهو الجود بالبذل. ومصادر هذا النوع ما يلي:

أ- النفس.

ب- المال.

ج- الجاه.

د- العلم.

وبيانه كالتالي:

الجود بالروح: وهو أن يبذل الإنسان روحه مخاطراً بها في مصلحة راجحة مثل الجهاد، والدفاع عن أعراض المسلمين بالنفس، وإنقاذ الغريق، والحريق، وهذا النوع من أعلى مراتب الجود [(١)].

يجود بالنفس إذا ضَنَّ البخيل بها والجود بالنفس أقصى غاية الجود

ومن أمثلة ذلك: استشهاد حنظلة بن أبي عامر الذي جاد بنفسه في غزوة أحد، وكان عروساً ليلة أُحد، فسمع النداء بالخروج، فخرج ولم يغتسل، فقال رسول الله ﷺ: (إن صاحبكم لتغسله الملائكة) [(٢)].

الجود بالمال: وهو بذل المال في وجوه البر، كإعانة ذوي الحاجات، بالصدقة والإقراض، والهبة، والهدية، وإكرام الضيف، والجار.

---

(١) ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين (٢/٣٠٥).

(٢) الحاكم (٣/٢٠٤).

وهذا الجود محمود ومطلوب، وفي ذلك فليتنافس المتنافسون، قال ﷺ: (لا تحاسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله القرآن فهو يتلوه آناء الليل وآناء النهار، فهو يقول: لو أوتيت مثل ما أوتي هذا لفعلت كما يفعل، ورجل آتاه الله مالاً فهو ينفقه في حقه، فيقول: لو أوتيت مثل ما أوتي، عملت فيه مثل ما يعمل)[1].

وسمي حسداً من باب الاستعارة [2]، وقد سابق عمر بن الخطاب أبابكر الصديق رضي الله عنهما في التصدق [3].

الجود بالجاه: وهو بذل العون للناس بالمنزلة الاجتماعية التي للفرد عند الناس، مثل: الشفاعة لذوي الحاجات، وللمظلومين بالسعي في استرجاع مظالمهم وحاجاتهم، قال تعالى: ﴿ مَّن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُۥ كِفْلٌ مِّنْهَا ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقِيتًا ﴾[4].

قال مجاهد والحسن وابن زيد وغيرهم: هي في شفاعات الناس بينهم في حوائجهم، فمن يشفع لينفع؛ له نصيب، ومن يشفع ليضر؛ فله كفل [5].

---

(١) البخاري (٤/٤١١) برقم (٧٥٢٨).
(٢) ابن رجب، جامع العلوم والحكم، ص(٣٠٩).
(٣) الترمذي (٥/٥٧٤) برقم (٣٦٧٥).
(٤) سورة النساء: آية رقم (٨٥).
(٥) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، (٥/١٩٠)، وانظر: كتاب السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، (١/٣٧٩).

الجود بالعلم للناس: ويكون على ضربين: [1]

أ- بأن يُجيب السائل بأكثر مما تستوجب الإجابة، ويتوسع له بما يفيده، وقد كان ذلك من خُلُقه ﷺ، فلما سُئل عن ماء البحر، جاد على السائل بأكثر من ذلك، فقال ﷺ: (هو الطهور ماؤه، الحل ميتته)[2].

ب- أن يطرح العلم طرحاً للناس دون ما سؤال، وقد كان ذلك من كريم خُلُقه ﷺ، ومن أمثلة ذلك قوله: (أتدرون من المفلس...)[3] وقوله لعبدالله بن العباس رضي الله عنهما: (يا غلام إني أعلمك كلمات، احفظ الله يحفظك..)[4].

الجود بنفع البدن: كإعانة الرجل لأخيه بأن يحمل معه متاعاً، أو يصلح له في داره بما يعرف، ونحو ذلك، قال ﷺ: (كل سلامى من الناس عليه صدقة، كل يوم تطلع فيه الشمس؛ يعدل بين اثنين صدقة، ويعين الرجل في دابته، فيحمل عليها، أو يرفع عليها متاعه صدقة، والكلمة الطيبة صدقة، وكل خطوة يخطوها إلى الصلاة صدقة، ويميط الأذى عن الطريق صدقة) [5].

---

(١) انظر: ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين (٢/٣٠٥-٣٠٧).
(٢) أبوداود (١/٦٤) برقم (٨٣).
(٣) مسلم (٤/١٩٩٧) برقم (٥٩-٢٥٨١).
(٤) الترمذي (٤/٥٧٥-٥٧٦) برقم (٢٥١٦)، وأحمد (١/٢٩٣).
(٥) البخاري (٢/٣٥٥-٣٥٦) برقم (٢٩٨٩)، ومسلم (٢/٦٩٩) برقم (٥٦-١٠٠٩).

الجود بالوقت والراحة: ومن ذلك أن يجود براحة نفسه للناس، فيؤثر غيره على راحته، كالسهر مع المريض، وإدخال السرور عليه، وقد قيل:

متيم بالندى لو قال سائله هب لي جميع كرى عينيك لم ينم

ثانياً: كف الأذى:

أي أن يمنع الإنسان مصادر أذاه عن مواطن الأذى عند غيره، ومصادر الأذى من حيث الشكل تنقسم إلى قسمين:

١- قولية: وتكون بالبيان: اللسان، والقلم.

٢- فعلية: وتكون بجوارح الإنسان المختلفة، كاليد والعين والأذن والأجفان، وبالإشارة.

ومصادر الأذى التي يقع عليها الفعل أو القول ويتأذى بها الإنسان هي: الدين والمال والعرض والنفس والعقل. وسيتم تفصيل مصادر ومواطن الأذى فيما يلي:

أولاً: مصادر الأذى:

١- المصادر القولية:

وهي كل أذى كان مصدره البيان، سواء كان نطقاً باللسان، أو كتابة بالبنان، أو بهما معاً، واللسان مصدر قوي في الأذى، إذا سلطه صاحبه على الناس، وقد أكدﷺ خطورة اللسان، وأنه مما يورد الإنسان المهالك، فقال ﷺ لمعاذ رضي الله عنه موضحاً له ذلك: (ثكلتك أمك يا معاذ، وهل يكب الناس على وجوههم إلا حصائد

ألسنتهم)[1].

وقال ﷺ: (إن العبد ليتكلم بكلمة من رضوان الله لا يلقي لها بالاً، يرفعه الله بها درجات، وإن العبد ليتكلم بكلمة من سخط الله لا يُلقي لها بالاً، يهوي بها في جهنم)[2] وقال ﷺ: (من يضمن لي ما بين لحييه، وما بين رجليه أضمن له الجنة)[3].

ومن صفات المسلم أن يكف أذى لسانه عن المسلمين، قال ﷺ: (المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده)[4].

قال ابن حجر: وخص اللسان بالذكر؛ لأنه المعبر عما في النفس، وهكذا اليد لأن أكثر الأفعال بهما، والحديث عام بالنسبة إلى اللسان دون اليد، لأن اللسان يمكنه القول في الماضين والموجودين والحادثين بعد، بخلاف اليد، والتي يمكن أن تشارك اللسان في ذلك بالكتابة، وإن أثرها في ذلك لعظيم [5]، فدل التشريع الإسلامي على خطورة الأذى من اللسان، فلم يبق إلا تربية الإنسان لنفسه ولمن هو مسؤول عنهم.

(١) أحمد (٥/٢٣٦) والخرائطي (١/٤٦٣).
(٢) البخاري (٤/١٨٧) برقم (٦٤٧٨).
(٣) البخاري (٤/١٨٦-١٨٧) برقم (٦٤٧٤).
(٤) البخاري (١/٢٠-٢١) برقم (١٠) ومسلم (١/٦٥) برقم (٦٥-٤١).
(٥) ابن حجر، فتح الباري.

٢- المصادر الفعلية:

وهو كل أذى جاء من جوارح الإنسان، كاليد والعين والأذن، ونحو ذلك.

أ- اليـــد: إن ضرر اليـد عظـيم، وخطرهـا جـسيم، حيـث أنهـا أداة للقتـل، والضرب والسرقة، ونحو ذلك، وقد بين ﷺ خطورة هذه اليـد إذا اسـتخدمت في غير ما خُلقت له، فجعل سلامة استخدامها علامـة المـسلم، فقـال: (المـسلم مـن سلم المسلمون من لسان ويده)[١].

ب- العين: وهي من مصادر الأذى، إذا جاء من العـين غمـز بهـا، للاحتقـار والتـنقص والاسـتهزاء، أو اسـتخدمت في النظـر المحـرم، كـالنظر إلى عـورات البيوت، قال ﷺ: للذي اطلع مـن جُحـر في حِجْـر النبـي ﷺ، وكـان في يـده عليـه الصلاة والسلام مِدْرى يحك به رأسه، فقال: (لو أعلم أنـك تنظـر لطعنـت بـه في عينك، إنما جُعل الاستئذان من أجل البصر)[٢].

والإنسان مـسؤول عـن بـصره كـما قـال تعـالى: ﴿إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾[٣].

ج- الإشارة: وهو أن يشير إلى أخيـه المـسلم بجفنـه بحركـة جـسمه تنقـصاً،

(١) سبق تخريجه.
(٢) البخاري (١٣٨/٤) برقم (٦٢٤١).
(٣) سورة الإسراء: آية رقم (٣٦).

واستحقاراً واستهزاءً، قال تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾[1].

والهمَّاز: هو الذي يُعيب الناس، ويطعن عليهم بالإشارة والفعل، واللماز الذي يُعيبهم بقوله [2].

د- الأذن: ويحدث الأذى من الأُذن بأن يسترق الإنسان السمع، ويتنصَّت بأذنيه على غيره، فيؤذيهم بذلك، سواء كان التأذي يصل إليهم مباشرة برؤيته، أو يصل إليهم لاحقاً بنقل وإشاعة ما سمعه، والإنسان مسؤول عن هذه الآلة العظيمة، وعن سوء استخدامها، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾[3].

ثانياً: مواطن التأذي:

هي كل ما يتأذى بها الإنسان سواء في دينه أو ماله أو عرضه أو نفسه أو عقله، وهي ما تسمى في الفقه بالضروريات الخمس، والتي يمكن إيضاحها فيما يلي:

١- الدين: ويحصل الأذى في الدين، بأن تتعدى على الإنسان بمنعه أو إعاقته عن أداء لوازم الدين، مثل: منع الإنسان عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أو يُستهزأ بما يتمسك به من واجبات أو سنن، مثل: تقصير الثوب، وإطلاق

(١) سورة الهمزة: آية رقم (١).
(٢) السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (٥/٤٥٥).
(٣) سورة الإسراء: آية رقم (٣٦).

اللحية، قال الشاطبي: فأصول العبادات راجعة إلى حفظ الدين من جانب الوجود كالإيمان والنطق بالشهادتين والصلاة والزكاة والصيام والحج، وما أشبه ذلك [1].

٢- المال: ويكون الاعتداء على أموال الآخرين بأوجه متعددة: كالسرقة والغش، والخداع، وقبول الرشوة، أو بغير ذلك من صور الاعتداء على المال، وقد صان الإسلام الأموال، وحرم الاعتداء عليها، قال تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُواْ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُواْ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [2] والمعنى: لا يأكل بعضكم مالبعض بغير حق، فيدخل في هذا: القمار والخداع والغصوب وجحد الحقوق، وما لا تطيب به نفس مالكه، أو حرمته الشريعة وإن طابت به نفس مالكه، كمهر البغي وحُلْوان الكاهن [3] وأثمان الخمور والخنازير وغير ذلك [4].

وقال ﷺ: (فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام، كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا، ليبلغ الشاهد الغائب، فإن الشاهد عسى أن

(١) الشاطبي، الموافقات (٢/٤).
(٢) سورة البقرة: آية رقم (١٨٨).
(٣) حلوان الكاهن: أجرة الكاهن. لسان العرب (١٤/١٩٣-١٩٤).
(٤) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (٢/٢٢٥).

يبلغ من هو أوعى له منه)[1].

٣- العقل: ويكون الاعتداء على العقل بأحد ثلاثة أمور، أو بهما جميعا:

أ- الاعتداء عليه بالضرب، في الأماكن التي يحصل بها اختلال توازن القوة العاقلة، وتعطله عن القيام بدوره.

ب- الاعتداء عليه من خلال ترويج وبيع ما يفسد العقل من الماديات، كالكحول والأفيون، وكافة أنواع المخدرات، لما تقوم به من إفساد القوة العاقلة التي يعقل بها الإنسان، فتحجبه عن مصالحه في دار معاشه ومعاده، وتعتم عليه الأمور حتى لا يدري خيرها من شرها، وبالتالي ينحرف بتصرفاته عن مواصفات الرجل العاقل اللبيب.

والمخدرات تصد الإنسان عن ذكر الله تعالى، ولذلك فإن الشيطان يزينها للإنسان، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾[2].

ج- مفسدات ثقافية: حيث يتم الاعتداء على عقل الإنسان بترويج الأفكار الضالة المضللة، وإشاعة الشبه بين الناس، وتزيين الانحراف في جميع صوره عن طريق الكتابات الفكرية الضالة، والأدبية المثيرة.

---

(١) البخاري (٤١/١) برقم (٦٧) ومسلم (١٣٠٦/٣) برقم (٣٠-١٦٧٩).

(٢) سورة المائدة: آية رقم (٩١).

٤- النفس: وتكون صورة الاعتداء على النفس بالقتل، أو بالضرب، ونحو ذلك، وقد حرم الإسلام الاعتداء على النفس ظلماً وعدواناً، قال تعالى:﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾[١].

وقال ﷺ: (لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله إلا بإحدى ثلاث: الثيب الزاني، والنفس بالنفس، والتارك لدينه المفارق للجماعة)[٢].

٥- العِرض: العرض بكسر العين، موضع المدح والذم من الإنسان، سواء كان في نفسه، أو في سلفه [٣] كالاعتداء بإلقاء التهمة عليه في عرضه، وقد نهى الإسلام عن جميع صور الاعتداء على العرض، قال ﷺ: (فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام)[٤].

ثالثاً: احتمال الأذى:

إن احتمال الأذى يكون بعدم مقابلة الإساءة بمثلها، وإنما يكون بأحد وجهين:

---

(١) سورة النساء: آية رقم (٩٣).
(٢) البخاري (٢٦٨/٤) برقم (٦٨٧٨). ومسلم (١٣٠٢/٣-١٣٠٣) برقم (٢٥-١٦٧٦).
(٣) ابن حجر، فتح الباري (١٥٩/١).
(٤) سبق تخريجه.

١ - مقابلة الإساءة بالعفو والإعراض عنها، وقد رغب الله تعالى في العفو، حيث قال تبارك وتعالى: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[1] فشرَّع تعالى العدل وهو القصاص، وندب إلى الفضل وهو العفو، ولا يضيع ذلك عند الله[2] وقال ﷺ: (ما نقصت صدقة من مال، وما زاد الله عبداً بعفو إلا عزاً، وما تواضع أحد لله إلا رفعه)[3]

وقد منع أبوبكر الصديق رضي الله عنه ما كان يتصدق به على مسطح ابن اثاثة، ابن خالة أبي بكر الصديق رضي الله عنه، عندما خاض في حادثة الإفك، ثم عفا عنه، وأعاد ما كان يعطيه عندما سمع قوله تعالى: ﴿وَلَا يَأۡتَلِ أُوْلُواْ ٱلۡفَضۡلِ مِنكُمۡ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤۡتُوٓاْ أُوْلِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينَ وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَلۡيَعۡفُواْ وَلۡيَصۡفَحُوٓاْۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَكُمۡۗ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾[4].[5]

والعفو ليس محموداً على الإطلاق، بل يكون أفضل إذا لم يترتب عليه مفسدة، فإن كان عاقبته تؤدي إلى مفسدة، فعدم العفو أفضل، فمن عرف عنه ظلم الناس، فربما العفو عنه يشجعه على التمادي في ذلك، أما إذا لم يترتب على العفو مفسدة، أو أنه يجر إلى الإصلاح فإنه أفضل.

---

(١) سورة الشورى: آية رقم (٤٠).
(٢) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (١٢٨/٤).
(٣) مسلم (٢٠٠١/٤) برقم (٦٩-٢٥٨٨).
(٤) سورة النور: آية رقم (٢٢).
(٥) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (٢٨٦/٣).

٢- مقابلة الإساءة بالحسنة، وقد رغب الإسلام في ذلك وحث عليه، فقد جاء في الحديث، أن النبي ﷺ قال: (يا عقبة بن عامر: صل من قطعك، واعط من حرمك، واعف عمن ظلمك)[١].

وصلة القاطع تكون بالسلام والإكرام، والدعاء له، والاستغفار له، والثناء عليه، والزيارة له، وأما أن تعطي من حرمك، فيكون بالتعليم والمنفعة والمال، وأما العفو عمن ظلمك، فيكون في دم أو عرض، وبعض هذا واجب وبعضه مستحب [٢] والواجب مثل أن تصل من قطعك من الأرحام [٣] والمستحب مثل: أن تعفو عمن ظلمك.

رابعاً: طلاقة الوجه:

وهي ضد العبوس، وتعني الانبساط للإخوان ببشاشة الوجه، وهو مصدر للألفة والمحبة، وهي أحد مصادر الحسنات، قال ﷺ: (لا تحقرن من المعروف شيئا، ولو إن تلقى أخاك بوجه طلق)[٤].

كما أن طلاقة الوجه من وسائل كسب المحامد، كما قال محمد بن حازم:

وما اكتسب المحامد طالبوها بمثل البشر والوجه الطليق

(١) أحمد (٤/١٥٨).

(٢) ابن تيمية، مجموع الرسائل الكبرى.

(٣) قال ﷺ: (ليس الواصل بالمكافئ، ولكن الواصل الذي إذا قُطعت رحمه وصلها) البخاري (٤/٩٠) برقم (٥٩٩١).

(٤) مسلم (٤/٢٠٢٦) برقم (١٤٤-٢٦٢٦).

المبحث الخامس:
أسس الأخلاق الإسلامية

تمهيد

إن الأخلاق الإسلامية ليست قائمة على العشوائية أو على مبدأ اللذة والذوق والاستمتاع القائم على الأهواء والشهوات، وإنما لها قواعد وأسس تقوم عليها. فالعمل الأخلاقي الذي يفتقر إلى إخلاص النية أو يفتقد المتابعة المحضة لمنهج الرسول ﷺ لا يعتبر ذا قيمة أخلاقية في ميزان الإسلام، كما أن الأخلاق الإسلامية تقوم على مبدأ اليسر وعلى مبدأ الإلزام.

وبدون هذه الأسس لن يكتب لأي عمل أخلاقي النجاح والاستمرار؛ إذ يظل مفاهيم لا رصيد لها في الواقع، ولا ينتقل أثرها التربوي إلى الفرد أو المجتمع.

ويمكن إيضاح هذه الأسس فيما يلي:

١- النية (الإخلاص):

النية: هي قصد القلب[١]، والمراد بها هنا هو «تمييز المقصود بالعمل وهل هو لله وحده لا شريك له، أم لله وغيره»[٢]؛ لأن النية في الإسلام ركيزة، وقاعدة

(١) ابن رجب، جامع العلوم والحكم، ص (٢٠).
(٢) المرجع السابق، ص (٨).

أساسية يُبنى عليها قبول العمل من عدمه، وهذا يؤكد أنها أيضاً قاعدة رئيسة لإعطاء السلوك قيمة أخلاقية؛ لأن الإنسان قد يعمل عملاً ظاهره يتصف بالفضيلة الخلقية، لكن باطنه على النقيض من ذلك، فكيف يُعطى ويمنح سلوكه قيمة أخلاقية فيتساوى مع من أخلص عمله ونيته لله تعالى، فالشجاعة من مكارم الأخلاق، لكن لا قيمة لها في ميزان الإسلام إن افتقرت إلى إخلاص النية لله، فعن أبي موسى ﷺ قال: (جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: الرجل يقاتل للمغنم، والرجل يقاتل للذكر، والرجل يقاتل ليرى مكانه، فمن في سبيل الله؟ قال: «من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله») [1] فمن كان عمله يفتقر للنية الصحيحة فإن عمله يُعد هباء منثوراً لا قيمة له في ميزان الإسلام، ولهذا فرق ﷺ بين من كانت نيته لله ومن كانت لغيره كما جاء في الحديث المشهور (إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه)[2]، ولهذا فإن صلاح وفساد القيمة الأخلاقية للسلوك الإنساني ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالنية، قال ابن رجب: «إن صلاح العمل وفساده بحسب النية

(١) البخاري (٢/٣٠٩) برقم (٢٨١٠) واللفظ له، ومسلم (٣/١٥١٢-١٥١٣) برقم (١٤٩-١٩٠٤).

(٢) البخاري (١/١٣) برقم (١)، وبرقم (٥٤، ٢٥٢٩، ٣٨٩٨، ٥٠٧٠، ٦٦٨٩، ٦٩٥٣)، ومسلم (٣/١٥١٥-١٥١٦)، برقم (١٩٠٧/١٥٥).

المقتضية لإيجاده»[1] فإن وجود الفعل ابتغاء وجه الله ووفق منهجه اكتسب القبول «فثواب العامل على عمله بحسب نيته الصالحة، وإن عاقبه عليه بحسب نيته الفاسدة، وقد تكون نيته مباحة فيكون العمل مباحاً، فلا يحصل له ثواب ولا عقاب، فالعمل في نفسه صلاحه وفساده، وإباحته بحسب النية الحاملة عليه المقتضية لوجوده»[2].

فالمسلم إذا أكل أو نام أو أعطى بنية خالصة حسنة كان في ميزان الإسلام خير وأفضل ممن افتقدها، وربما يعمل الفرد عملاً في ميزان الناس قليلاً لكنه عند الله عظيم لصفاء وإخلاص النية، وربما عملا عملاً هو في ميزان الناس عظيم لكنه في ميزان الإسلام لا يزن شيئاً، لافتقاره لإخلاص النية.

وقد قيل لنافع بن حبيب: ألا تشهد الجنازة؟ قال: كما كنت حتى أنوي، ثم فكر هنية، فقال: أمضي. وعن بعض السلف قال: من سره أن يكمل له عمله فليحسن نيته فإن الله ﷻ يأجر العبد إذا أحسن نيته حتى باللقمة.[3]

ودائرة النية الصالحة إذا اتسعت تجعل من جميع التصرفات السلوكية إذا كانت موافقة للشرع عملاً ذا قيمة أخلاقية، يترتب عليه الأجر و الثواب من الله تعالى،

(١) ابن رجب، جامع العلوم والحكم، ص (٧).
(٢) المرجع السابق، ص (٧-٨).
(٣) المرجع السابق، ص (١٠).

ومن ثم يكتسب السلوك قيمة أخلاقية، بعكس أعمال أولئك الذين يراؤون إذا أنفقوا أو تواضعوا، أو سلكوا سلوكاً أخلاقياً معيناً دون أن يسيطر الإخلاص على نياتهم، ومن ثم يترتب على أعمالهم الأخلاقية عدم الاستمرارية، والتوقف بعد تحقق المآرب الدنيوية، وبذلك يُطلق عليها أخلاق وقتية فقط.

ومما يؤكد استمرارية السلوك الخلقي إذا كان مبنياً على النية المخلصة هو استمرار فضيلة التآخي والتوافق بين المهاجرين والأنصار، لأن منبع التآخي ومبعثه بينهم النية الخالصة لله، فترتب عليها الحب في الله، لا لدنيا يطمع في إصابتها أحد الطرفين، حتى إن سعد بن الربيع يمنح عبدالرحمن بن عوف شطر ماله وإحدى زوجاته فيعف ابن عوف عن ذلك، ولم يطمع في مال أخيه الأنصاري[1]؛ لأن العلاقة بينهم ليست علاقة مادية، وإنما أسمى من ذلك وأرفع، إنها علاقة الأخوة الإسلامية – الحب في الله والبغض في الله – وما أحوج المسلمين اليوم إلى إضفاء النية الخالصة على أعمالهم وعلاقاتهم لتكتسب القيمة الخُلُقية الإسلامية السامية.

وثمة ارتباط آخر بالنية هو أن من نوى بقلبه أن يفعل حسنة فلم يفعلها لعجزه كتبت له حسنة؛ كما قال ﷺ فيما يرويه عن ربه ﷻ أنه قال: (إن الله كتب

(١) انظر: صحيح البخاري (٣٨/٣) برقم (٣٧٨٠).

الحسنات والسيئات ثم بين ذلك: فمن هم بحسنة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة، فإن هو هم بها وعملها كتبها الله له عنده عشر حسنات إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة، ومن هم بسيئة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة فإن هو هم بها فعملها كتبها الله له عنده سيئة واحدة)[1] .

فالنية تُعوّل عليها القيمة الأخلاقية لكل تصرف يتصرفه المسلم، أو ينوي فعله، فمن يضمر الخير في قلبه ويهم به؛ فقد اكتسب سمة خلقية فاضلة وإن لم تترجم لسلوك، لحيلولة العجز عن إنفاذها، وكذلك من هم بفعل السيئة ثم أحجم عنها خوفاً من الله أو رغبته في طاعة الله أو حياء من الله فقد اكتسب سمة خُلقية فاضلة وهي الحياء من الله.

وبهذا تعتبر النية هي المحك الرئيس في قبول العمل وإضفاء القيمة الخلقية عليه حتى وإن لم تترجم إلى سلوك في بعض الأحيان وتوقفت عند المشاركة الوجدانية لوجود العجز التطبيقي، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: ((فإن النية يُثاب عليها المؤمن بمجردها، وتجري مجرى العمل إذا لم يمنعها من العمل بها إلا العجز، ويمكنه ذلك في عامة أفعال الخير)) [2].

(١) البخاري، (١٨٩/٤)، برقم (٦٤٩١، واللفظ له، ومسلم (١١٧/١) برقم (١٢٨/٢٠٣).
(٢) ابن تيمية، مجموع الفتاوى (٧٦١/١٠)، ولابن تيمية تفصيل وشرح قيم وفيه فوائد جليلة عن حديث: ((من هم بحسنة... ومن هم بسيئة)) انظر (ص ٧٣٦-٧٦١) جـ١ من الفتاوى.

ولهذا فإنه ينبغي أن تركز التنشئة الخلقية دائماً وأبداً في توجيهاتها على استحضار النية وإخلاصها لله وحده في كل مجالات الحياة، حتى تكتسب أعمال الفرد الخلقية سمة الأخلاق الإسلامية، وتكتسب أيضا الاستمرارية والثبات عليها؛ لأن الدافع إلى ممارستها ابتغاء وجه الله تعالى وليس لمنفعة مادية وقتية تنتهي بتحقق المقصود والغاية.

٢- الاتباع:

فثمة شرط آخر لابد من توفره ليكون العمل ذا قيمة أخلاقية فاضلة، وهو المتابعة المحضة للرسول ﷺ، والعمل في محيط دائرته وفي ظل توجيهاته، وعدم الخروج إلى غير منهجه مهما كانت مسوغات النية سليمة.

فالموظف أو العامل الذي يواظب على ساعات عمله لكنه ينجز أقل مما يستطيع إنجازه، فإخلاصه في المواظبة دون إتمام العمل لا يعطيه صفة أو فضيلة الإخلاص؛ لأنه أخفق في الجزء الرئيس من العمل وهو الإنجاز، ولذلك فإنه من الخطأ عدم ربط السلوك الخلقي الفاضل بحسن النية وتجريد المتابعة للرسول ﷺ، فلابد من وضع الفوارق أثناء الحكم الأخلاقي على السلوك الذي لغير الله وبغير منهج الله وبين الخالص لله وعلى منهج رسول الله ﷺ.

وهذا يتطلب معرفة بالدين حتى يسير الإنسان على المنهج الصحيح وهو الاتباع على نحو ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ

فَٱنتَهُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴾[1].

فهذه المعرفة المتمثلة في الأوامر والنواهي تعتبر ضرورية للعمل الأخلاقي، أي أن المعرفة الدينية تعتبر ضرورة حيوية اقتضتها الحاجة البشرية، ومن أجل ذلك كانت رسالات الأنبياء ضرورة لا غنى عنها لتكميل المعرفة العقلية والفطرية والخيرية التي تعرفهم بما يعجزون عن معرفته [2].

ومن أساليب عدم الاتباع لمنهج الإسلام تقديم اعتبارات العقل والذوق والميول على ما ثبت من منهج الإسلام «وعلى هذا يكون الخطأ في اعتبار مصدر الإلزام الخُلقي لدى بعض أصحاب الاتجاه الذوقي هو الاعتماد على الجانب الوجداني وحده دون الاحتكام إلى أمر الله ورسوله» [3] لأن الاعتماد على الجانب العقلي وقوى الإدراك المختلفة لدى الإنسان فقط ليس مأمون العواقب، ذلك أن ثمة عوامل ودوافع نفسية وغير نفسية تقوم بدورها في توجيه المعارف، وبالتالي يكون تأثيرها في الحكم العقلي الصادر عنها كالأهواء والشبهات والشهوات[4] مما يجعل الإنسان في أمس الحاجة لاتباع منهج الهدى الذي جاء به رسول الله ﷺ

(١) سورة الحشر، آية رقم (٧).
(٢) محمد عبدالله عفيفي، النظرية الخلقية عند ابن تيمية، ص (١٥٧).
(٣) المرجع السابق ص (١١٣).
(٤) المرجع السابق ص (١٦٠).

الذي فيه خلاص البشرية من حبائل الأهواء والشبهات والشهوات.

أما تحكيم العقل وتقديمه على الشرع فإنه يحط بصاحبه في مهاوي الردى والهلاك؛ لأن «العقول قد تحتار في تحديد السلوك الأمثل والأصلح، كما قد تضل في التوصل إلى الحقيقة»[1] لذلك فإن التوجيه الرباني يحذر من اتباع أهل الهوى والضلال؛ قال تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا﴾[2].

فالهوى والشيطان والذوق قد يزينون للإنسان الرذائل السلوكية على أنها نوع من التقدم والتمدن كنبذ الحجاب – مثلا – وبهذا فإنه لا يجوز ولا يُقبل من مسلم أن يسوغ لنفسه اعتبارات ومبررات ذوقية أو عقلية منحرفة، بدعوى التمدن أو غير ذلك لتخرجه عن منهج الإسلام؛ لأنه ليس له الخيرة في ذلك بعد أن بيّن الله المنهج الصحصح ووضحه على لسان رسوله ﷺ قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾[3].

وقال ﷺ: (من أحدث [4] في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد [1]) [2].

(١) المرجع السابق، ص (١٦٠).
(٢) سورة الكهف: آية رقم (٢٨).
(٣) سورة الأحزاب: آية رقم (٣٦).
(٤) أحدث: الأمر الحاديث المنكر الذي ليس بمعتاد ولا معروف في الكتاب والسنة ولا الإجماع، النهاية (١/٣٥١).

ومن أساليب عدم اتباع المنهج الإسلامي التظاهر بصفة أخلاقية في الأقوال، مع عدم تطبيقها في المجال العملي، فهذا اتباع لغير منهج الله بالرغم من أن ظاهر قوله أخلاقي، لكنه تجافى عن تطبيقه لهذا لا تعطيه قيمة أخلاقية؛ قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ﴾[٣] فالاستفهام في الآية للتقريع والتوبيخ، أي لم تقولون من الخير ما لا تفعلونه، ثم ذمهم سبحانه وتعالى على ذلك بأن عظم صنيعهم في المقت وهو البغض [٤] وقد ذم سبحانه وتعالى بني إسرائيل في قوله تعالى: ﴿أَتَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبِرِّ وَتَنسَوۡنَ أَنفُسَكُمۡ وَأَنتُمۡ تَتۡلُونَ ٱلۡكِتَٰبَۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ﴾[٥]، فقد كان بنو إسرائيل يأمرون الناس بطاعة الله وبتقواه وبالبر ويخالفون، فعيرهم الله ﷻ، فمن أمر بخير فليكن أشد الناس فيه مسارعة [٦]، فبالرغم من أن ظاهر أمرهم فعل خلقي فاضل إلا أنه افتقد منهج التطبيق العملي، ففقد قيمته الخلقية.

ولهذا فإن حسن الأخلاق يكون في اتباع كل ما جاء به الشرع وعدم تقديم

---

(١) رد: أي مردود عليه، يقال: أمر رد، إذا كان مخالفاً لما عليه أهل السنة، النهاية (٢/٢١٣).
(٢) البخاري (٢/٢٦٧) برقم (٢٦٩٧)، ومسلم (٣/١٣٤٣) برقم (١٧١٨/١٧) واللفظ له.
(٣) سورة الصف، آية رقم (٢-٣).
(٤) الشوكاني، فتح القدير (٥/٢١٩).
(٥) سورة البقرة، آية رقم: (٤٤).
(٦) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (١/٨٨).

الذوق والعقل والشهوات والشبهات عليه، إنما يكون العمل تبعاً لمنهجه، قال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ﴾[1]، «فالعمل الصالح هو الإحسان وهو فعل الحسنات» والحسنات «هي ما أحبه الله ورسوله، وهو ما أمر به أمر إيجاب أو استحباب، فما كان من البدع في الدين التي ليست مشروعة فإن الله لا يحبها ولا رسوله، فلا تكون من الحسنات ولا من العمل ا لصالح، كما أن من يعمل ما لا يجوز كالفواحش والظلم ليس من الحسنات ولا من العمل الصالح»[2].

والمنهج الإسلامي واضح وتام لا يقدم عليه ذوق ولا غير ذلك؛ قال الله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾[3].

٣- الإلزام الخلقي:

إن الدين الإسلامي مصدره من الله تعالى، بعث به رسول الله ﷺ ليظهره على الدين كله، قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ

(١) سورة النساء، آية رقم (١٢٥).
(٢) ابن تيمية، الفتاوى (١٠/١٧٣).
(٣) سورة المائدة: آية رقم (٣).

وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾[1] ثم إن هذا الدين جاء ليحقق الحياة الفاضلة في الأرض ولينقذ البشرية من زيع الضلال وتيه الظلام والشحناء والبغضاء إلى الألفة والمحبة؛ قال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا﴾[2]. [3]

وبهذا فإن البشرية ملزمة باتباع هذا الدين الحنيف؛ لأنه المنقذ الوحيد لها من التيه والضلال؛ إذ هو الدين الوحيد المقبول عند الله «فمن سلك طريقاً سوى ما شرعه الله فلن يقبل منه»[4]، قال تعالى: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ ﴾[5].

وقد بين الرسول ﷺ أن دعوته كانت لإتمام محاسن الأخلاق كما قال عليه الصلاة والسلام: (إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق)[6].

وبالتالي فإن إرساء دعائم الأخلاق يتطلب إلزاماً يثير حفيظة الانقياد والاتباع والطاعة، ولهذا فإن الباحثين في الأخلاق يؤكدون أهمية الإلزام الخلقي،

(١) سورة الصف: آية رقم (٩).
(٢) هذا السياق في شأن الأوس والخزرج فإنه قد كان بينهم حروب كثيرة في الجاهلية فلما جاء الإسلام صاروا إخوانا متحابين. للمزيد انظر تفسير ابن كثير (٣٩٧/١).
(٣) سورة آل عمران رقم (١٠٣).
(٤) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (٣٨٧/١).
(٥) سورة آل عمران، آية رقم (٨٥).
(٦) سبق تخريجه.

حيث يقول أحد الباحثين: «يقوم النظام الخلقي على ركيزة الإلزام فهو جوهر الحكمة العملية وحقيقتها، به تتحقق المسؤولية... ويسود النظام حياة الناس، وتعم العدالة واقعهم»[(١)].

ولهذا فإن الإلزام قاعدة أساسية يدور حوله النظام الأخلاقي، الذي يؤدي فقده إلى سحق حقيقة الحكمة العملية ذاتها، ومن ناحية أخرى كيف نتصور قاعدة أخلاقية بدون إلزام [(٢)].

والإنسان حمل زمام المسؤولية الإلزامية من خالقه ﷻ، قال تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾[(٣)].

فالأمانة هي قبول الأوامر والنواهي والتكاليف من فرائض وحدود وعبادات وما يترتب عليها من ثواب وعقاب [(٤)].

ومن حكمته ﷻ أن زود النفس الإنسانية بمعرفة الخير والشر لتكون مستعدة للمناقشة والجزاء والحساب، قال تعالى: ﴿أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ۝٨ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ۝٩

(١) كمال محمد عيسى، كلمات في الأخلاق الإسلامية، ص (١٠٥).
(٢) محمد عبدالله دراز، دستور الأخلاق في القرآن، ص (٢١).
(٣) سورة الأحزاب، آية رقم (٧٢).
(٤) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (٣/٥٣٠).

﴿وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا﴾[2].

أي «بيّن لها الخير والشر»[3]، قال الشوكاني: «عرفها وأفهمها حالها وما فيهما من الحسن والقبح»[4] وبهذا يكون الفلاح والنجاح لمن ألزم نفسه التزكية، أما الخسران فلأهل التدسية؛ قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾[5] أي قد أفلح من زكى نفسه بطاعة الله وطهرها من الأخلاق الدنيئة وخاب من خذلها عن الهدى حتى ركب المعاصي وترك طاعة الله ﷻ.[6]

وبالتالي فإن الإلزام الخلقي يتولد لدى الإنسان عن طريق الشعور بالرقابة الإلهية عليه، وعن طريق محاسبة النفس، والشعور بالمسؤولية وعن طريق الاقتناع العقلي بأن الفضيلة هي الأصلح والأحسن، وأن الرذيلة هي الأسوء كما يتبين من التفصيل التالي:

أ – الرقابة:

إن من طرق الإلزام الخلقي في الإسلام تربية شعور المسلم على رقابة الله تعالى له في كل زمان ومكان، وهذه الرقابة قائمة على أساس معرفته سبحانه

(١) سورة البلد، آية رقم (٨-١٠).
(٢) سورة الشمس، آية رقم (٨).
(٣) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (٥١١/٤).
(٤) فتح القدير (٤٤٩/٥).
(٥) سورة الشمس: آية رقم (٩-١٠).
(٦) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (٥٥١/٤).

وتعالى، ومعرفة صفاته، فهو يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، ويعلم سر ونجوى المتناجين؛ قال تعالى: ﴿يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ﴾[1][2]، وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾[3].

فهذه الرقابة تولد الخشية لدى الإنسان «والخشية تجعل المؤمن حريصاً على أداء الواجبات الخلقية بدافع من شعوره العميق بالتزامه الخلقي تجاهها»[4] وهذه الخشية تجعل المؤمن يعبد الله ويطيعه ويخافه ويخشاه ويسعى لرضاه ملتزماً بأوامره ومنتهياً بنواهيه كأنه يراه، وهو معنى الإحسان الذي عرفه ﷺ بقوله: (أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك)[5]، وهذه أخص وأعمق درجات الشعور بالمسؤولية التي تلزم الإنسان المؤمن بالتمسك بالفضائل الخلقية وترك الرذائل السلوكية.

---

(١) خائنة الأعين هو الغمز وقول الرجل: رأيت الرجل ولم ير أو لم أرَ وقد رأى، وقال ابن عباس ﷺ يعلم الله تعالى من العين في نظرها هل تريد الخيانة أم لا؟ تفسير القرآن العظيم (٨٢/٤).

(٢) سورة غافر، آية رقم (١٩).

(٣) سورة المجادلة، آية رقم (٧).

(٤) محمد عبدالله عفيفي، النظرية الخلقية عند ابن تيمية، ص (٩٧).

(٥) البخاري (٣٣/١)، برقم (٥٠) ومسلم (٣٦/١-٣٧)، برقم (٨/١) وما تم ذكر هو طرف من حديث سؤال جبريل للرسول ﷺ عن الإسلام والإيمان والإحسان.

ب- المحاسبة

يتميز الإلزام الخلقي الإسلامي بالجزاء والمحاسبة بما يتضمنه من ثواب وعقاب سواء كان في الدار العاجلة بالعقوبات والحدود الشرعية وعدم التوفيق في الدنيا[1] أو في الآجلة بالجنة ونعيمها أو بالنار وحميمها قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾[2] فهذا النعيم المنتظر هو الذي يستثير وجدان المؤمن ويملأ مشاعره بالالتزام والوقوف عند حدود الله ابتغاء الفوز بدار الخلود، فضلاً عن العقوبات الزاجرة التي تلزم المسلم بالحيطة والحذر من مغبة الرذائل السلوكية.

وهناك العديد من التوجيهات الإسلامية التي تستثير الوجدان وترهف العواطف ليلتزم المسلم بحدود الله ويحاسب نفسه على أفعاله كقوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ﴾[3]

والثواب والعقاب يغرس في المرء حب الله والخوف منه، وهذا الخوف يزيد

(١) انظر: فصل العقوبات، ص (٤٥٩).
(٢) سورة النازعات، آية رقم (٣٧-٤١).
(٣) سورة آل عمران، آية رقم (٣٠).

من فعاليات الإلزام الخلقي، ويعمل على شحذه ويزيده إيجابية وصلابة وثباتاً، لا سيما حينما يتعرض للامتحان عندما تكون ثمة مغريات تكتنف المرء وتثير مشاعره، وميوله ونزواته ومن ثم يكون دور الخوف أو الخشية هو الحاسم في الموقف[1].

فالجزاء والثواب يجعل المرء يحاسب نفسه قبل الشروع في أي فعل يعزم على فعله، وإن تم اقتراف الفعل حاسب المرء نفسه باستعراض زلاته وأخطائه ليعرف ذنبه فيستغفر ويتوب ويعزم على أن لا يعود إلى رذيلة سلوكية، فهذه المحاسبة هي المنبه الدائم للإنسان ليقف عند حدود الله «فصحوة الضمير ومحاسبة النفس والشعور بالمسؤولية أمام الخالق تبعث في نفس المؤمن إحساساً عميقاً (بالمسؤولية)» [2].

فالمرء مسؤول عن تصرفاته وتبديده لوقته وشبابه وكسبه وإنفاقه لماله، فهو محاسب على ذلك قال ﷺ: (لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن عمره فيم أفناه، وعن علمه فيما فعل، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه، وعن جسمه فيم أبلاه) [3].

(١) محمد عفيفي، النظرية الخلقية عند ابن تيمية، ص (٩٧).
(٢) أكرم ضياء العمري، الإسلام والوعي الحضاري، دار المنارة، ص (٦٧).
(٣) الترمذي (٥٢٩/٤) برقم (٢٤١٧) وقال: حديث حسن صحيح.

وقد وجه الحق تبارك وتعالى المؤمن إلى النظر فيما عملوا وما اكتسبوا، وما قدموا من دنياهم لأخراهم، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾[1].

ج- المسؤولية

إن كل إنسان عليه مسؤولية ما استرعاه الله عليه من أهل وولد ومال وعمال وطلاب وغير ذلك. ومن ثم فإنه يتبع تلك المسؤولية التأديب على فضائل الأخلاق، فيمن ولاه الله رعاية المنزل أو المدرسة أو الجامعة أو خلافها من المؤسسات التربوية وا لاجتماعية ومن ثم فلابد للمربي أن يلتزم بالفضائل قبل أن يلزم غيره. وهذه المسؤولية قد بينها ﷺ في الحديث الذي قال فيه (كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته، والمراءة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها، والخادم راع في مال سيده ومسؤول عن رعيته، قال: وحسبت أن قد قال: والرجل راع في مال أبيه ومسؤول عن رعيته، وكلكم راع مسوؤل عن رعيته)[2].

وأما عن المسؤولية الفردية قال تعالى: ﴿كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا كَسَبَتۡ رَهِينَةٌ﴾[3] ، «أي

(١) سورة الحشر، آية رقم (١٨).
(٢) البخاري (١/٢٨٤-٢٨٥)، برقم (٨٩٣)، واللفظ له، ومسلم (٣/١٤٥٩) برقم (٢٠/١٨٢٩).
(٣) سورة المدثر، آية رقم (٣٨).

معتقلة بعملها يوم القيامة»[1] ومن ناحية مسؤولية السمع والبصر والحواس، قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾[2] .

د- الاقتناع العقلي:

إن الإسلام لا يغفل جانب العقل ومخاطبته؛ لأنه مناط التكليف، ولأنه يقلع صاحبه عن مهاوي الردى وقيل: «سمي العقل عقلاً؛ لأنه يعقل صاحبه عن التورط في المهالك»[3] وقال عمر بن الخطاب ﷺ: «أصل الرجل عقله وحسبه دينه، ومروءته خلقه»[4] والإسلام يخاطب الإنسان عن طريق عقله ليقنعه ببشاعة الرذائل السلوكية؛ وذلك بمقارنتها بالفضائل الخلقية التي تستهوي أهل الفطر السليمة؛ كقوله تعالى: ﴿قُل لَّا يَسْتَوِى ٱلْخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ ٱلْخَبِيثِۚ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ يَٰٓأُوْلِى ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[5] يعني أن القليل الحلال النافع خير من الكثير الحرام الضار يا ذوي العقول الصحيحة المستقيمة، وتجنبوا الحرام

(١) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (٤/٤٧٦).
(٢) سورة الإسراء، آية رقم (٣٦).
(٣) ابن منظور، لسان العرب، (١١/٤٥٨-٤٥٩).
(٤) الماوردي، أدب الدنيا والدين، ص (١٧).
(٥) سورة المائدة، آية رقم (١٠٠).

ودعوه وأقنعوا بالحلال واكتفوا به.[1]

وفي جانب آخر من الإلزام الإقناعي تصوير القرآن للغيبة بشكل يخاطب العقل ليقنعه بشناعتها، وفي نفس الوقت يستجيش عواطف الإنسان نحو أخيه ليقطع دابر الغيبة من خلال تصويرها تصويراً بالغ التأثير بوصف مقترفها كمن يأكل لحم أخيه ميتاً، وهو عمل يتقزز منه الإنسان قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾[2].

وثمة ميزان دقيق للإلزام الخلقي وهو الطمأنينة للسلوك، فإن لم تطمأن النفس وحصل الخوف والشك ولم ينشرح الصدر للسلوك الأخلاقي، للاعتقاد بأنه فيه إثم، وحصل كراهية معرفة الناس لذلك الفعل، فهذا يتركه المسلم اتباعاً لتوجيهه ﷺ الذي قال فيه: (والإثم ما حاك في صدرك وكرهت أن يطلع عليه الناس)[3] والعقل هو مناط المعرفة لذلك في ضوء الشرع.

٤- اليسر الخلقي:

إن الإسلام رحمة للعالمين من لدن رب العالمين يهديهم سبل السلام، ولينظم

(١) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (٢/١٠٧-١٠٨).
(٢) سورة الحجرات، آية رقم (١٢).
(٣) سبق تخريجه.

حياتهم ويحدد علاقاتهم بخالقهم، وعلاقة بعضهم أمام بعض، ليرتقي بسلوكهم من حالة الفوضى إلى ما يليق بالإنسانية الحقة التي أرادها الله تعالى للبشرية، فأرسل رسوله هدى ورحمة للعالمين كما قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾[1] قال ابن كثير: « يخبر الله تعالى أنه جعل محمداً ﷺ رحمة للعالمين، فمن قبل الرحمة وشكر هذه النعمة سعد في الدنيا والآخرة، ومن ردها وجحدها خسر الدنيا والآخرة»[2].

وبالتالي فإنه من المستحيل أن تكون فضائل الدين الخلقية فيها شيء من العسر والتضييق على الناس، وإنما هي رحمة لمن تبع منهج الإسلام وهديه.

فالهدي الإسلامي كله خلق عظيم، مما جعل الأخلاق الإسلامية تتميز بموافقتها للفطرة التي فطر الإنسان عليها، فهي لا تجرد المرء من غرائزه بل تنظمها بالمنهج القويم الذي يكفل للإنسان سعادته في معاده ومعاشه، ولتجعل منه سيداً على رغباته وغرائزه يوجهها التوجيه الصحيح، لا أن يكون عبداً لها، ولذلك تؤكد التوجيهات الإسلامية الخصائص التي هي من طبيعة البشر ولا تنفيها عنهم أو تجردهم منها أثناء التكاليف الدينية، فالقرآن الكريم يوضح إن من

(١) سورة الأنبياء، آية رقم (١٠٧).
(٢) تفسير القرآن العظيم (٣/٢١٠).

طبائع الإنسان حب المال، وحب الخير والقتور[1] والضعف واليأس والهلع[2].

ففي حب المال، قال تعالى: ﴿وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾[3].

وفي حب الخير الذي هو المال أيضاً، قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾[4].

وفي حب القتور قال تعالى: ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ قَتُورًا﴾[5].

وفي اليأس قال تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَٰهَا مِنْهُ إِنَّهُۥ لَيَـُٔوسٌ كَفُورٌ﴾[6].

وفي العجلة قال تعالى: ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا﴾[7].

وفي الظلم والجهل قال تعالى: ﴿كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾[8].

---

(١) القتر: تقليل النفقة وهو بإزاء الإسراف، المفردات، ص (٣٩٢).

(٢) هلع: إذا جزع وخف، المجموع المغيث (٥٠٧/٣)، ويفسرها ما بعدها من الآية (إذا مسه الشر جزوعا وإذا مسه الخير منوعا) انظر تفسير ابن كثير (٤٤٩/٤).

(٣) سورة الفجر، آية رقم (٢٠).

(٤) سورة العاديات،آية رقم (٨).

(٥) سورة الإسراء، آية رقم (١٠٠).

(٦) سورة هود: آية رقم (٩).

(٧) سورة الإسراء آية رقم (١١).

(٨) سورة الأحزاب، آية رقم (٧٢).

وفي الهلع قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا﴾[1].

وفي الشهوات قال تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ﴾[2].

والله سبحانه وتعالى نظم هذه الغرائز ولم يتركها أو يكبتها، فعلى سبيل المثال نجد أن الإسلام لا يكبح غريزة الجماع وإنما نظمها ليحفظ الأعراض والأنساب، ويجنب الإنسان الأمراض الخلقية، كما حرم الزنى وأباح الزواج من واحدة إلى أربع قال تعالى: ﴿فَٱنكِحُوا۟ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ﴾[3].

بل من رحمته تعالى جعل من الزواج سكناً وألفة وطمأنينة كما قال تبارك وتعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[4].

يقول الأستاذ سيد قطب: ولكن الناس قلما يتذكرون نعمت الله الذي خلق لهم من أنفسهم أزواجاً، وأودع في نفوسهم هذه العواطف والمشاعر، وجعل في

(١) سورة المعارج، آية رقم (١٩).
(٢) سورة آل عمران، آية رقم (١٤).
(٣) سورة النساء، آية رقم (٣).
(٤) سورة الروم، آية رقم (٢١).

تلك الصلة سكناً للنفس والعصب، وراحة للجسم والقلب، واستقراراً للحياة والمعاش، وأنسا للأزواج والضمائز، واطمئناناً للرجل والمرأة على السواء[1]، فأين الكبت في هذا السلوك الخلقي القويم الذي رحم الله به العالم بحفظ أنسابهم وأعراضهم؟

وفي مجال الكسب المادي حرم الإسلام ما يضر بالإنسان من معاملات كالربا، وأباح له البيع المشروع، قال تعالى: ﴿وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ﴾[2] فلم يسلبهم غريزة الكسب المادي، وإنما نظمها في إطار أخلاقي عظيم.

ويتجلى يسر الأخلاق الإسلامية أيضا في المأكل والمشرب الذي لا يستطيع أن يتخلى عنه إنسان أو حيوان أو نبات، فلم يحرم الإنسان من نعيم المأكل وطيب الطعام، وإنما حدده في دائة لا تتجاوز الإسراف، قال تعالى: ﴿وَلَا تُسْرِفُوٓاْ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾[3]، وعلى وجه العموم قال تعالى: ﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْأَخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ﴾[4].

وفي مجال التكليف ليس في المنهج الإسلامي إرهاق و تكليف للإنسان بما لا

(١) في ظلال القرآن (٢٧٦٣/٥).
(٢) سورة البقرة، آية رقم (٢٧٥).
(٣) سورة الأعراف، آية رقم (٣١).
(٤) سورة القصص، آية رقم (٧٧).

يطيق قال تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾[1] «أي لا يكلف أحداً فوق طاقته، وهذا من لطفه تعالى بخلقه ورأفته بهم وإحسانه إليهم»[2] وقال تعالى: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾.

قال ابن كثير: «أي جهدكم وطاقتكم» [3] وقال عليه الصلاة والسلام: (يا أيها الناس عليكم من الأعمال ما تطيقون فإن الله لا يمل حتى تملوا، وإن أحب الأعمال إلى الله ما دووم عليه وإن قل)[4]، وقال ﷺ: (ما نهيتكم عنه فاجتنبوه، وما أمرتكم به فافعلوا منه ما استطعتم)[5]، قال الإمام النووي: «هذا من قواعد الإسلام المهمة ويدخل ما لا يحصى من الأحكام» [6]، وعن عبدالله بن عمرو قال: (دخل علي رسول الله ﷺ فقال: ألم أخبر أنك تقوم الليل وتصوم النهار؟ قلت: بلى، قال: فلا تفعل، قم ونم، وصم وأفطر، فإن لجسدك عليك حقاً، وإن لعينك عليك حقاً وإن لزورك [7] عليك حقا، وإن لزوجك عليك حقاً) [8].

(١) سورة البقرة، آية رقم (٢٨٦).
(٢) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (١/٣٥٠).
(٣) سورة التغابن، آية رقم (١٦).
(٤) البخاري (٦٧/٤) برقم (٥٨٦١)، ومسلم (١/٥٤٠-٥٤١)، برقم (٢١٥-٧٨٢) و اللفظ له.
(٥) مسلم (١٨٣٠/٤) برقم (٦١٣٤).
(٦) صحيح مسلم بشرح النووي (١٠٢/٩).
(٧) الزور: أي الزائر. النهاية (٣١٨/٢).
(٨) البخاري (١١٥/٤-١١٦) برقم (٦١٣٤).

وبهذا يتضح اليسر الخلقي والسماحة الإسلامية في منهج الإسلام، وفي تنظيمه لحياة البشر، على عكس الحال في المذاهب الوضعية كالبوذية مثلا حيث يرى أصحابها أن السعادة لا تكون إلا بالخلاص من الغرائز الجسدية [1]، أو تجد الإباحية كما هو في الغرب [2].

ومن يسر الأخلاق الإسلامية أنها لا تنفي وقوع الإنسان في الخطأ، ولذلك فتحت له باب التوبة والاستغفار حتى لا يعيش في قلق دائم من جراء خطيئته؛ قال تعالى: ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌۗ وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌۗ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾[3].

«فإن ما يجب علينا الاجتهاد في عدم الوقوع في خطأ، وليس هو أن نبلغ في جميع الطروف الصيغة الدقيقة للواجب، وإنما هو أن نبذل جهداً دائباً حتى نزداد معرفة بهذا (الدستور الإسلامي) ونهتدي بهديه»[4]، فعن حنظلة الأسيدي ﷺ قال: قلت (نافق حنظلة يا رسول الله، فقال رسول الله ﷺ: وما ذاك؟ قلت: يا رسول الله نكون عندك تذكرنا بالنار والجنة حتى كأنا رأي عين، فإذا خرجنا من

(١) انظر: حنا الفاخوري، وخليل الجسر، تاريخ الفلسفة العربية (١/٣٠).
(٢) انظر: كتاب أخلاق اليهود، وفاء صادق (١١-٦٠) و (٨١-٩٨).
(٣) سورة الزمر، آية رقم (٥٣).
(٤) محمد عبدالله دراز، دستور الأخلاق في القرآن، ص (٤٤٥).

عندك عافسنا[1] الأزواج والأولاد والضيعات[2] ونيسنا كثيرا، فقال رسول اللهﷺ: والذي نفسي بيده أن لو تدومون على ما تكونون عندي، وفي الذكر لصافحتكم الملائكة على فرشكم وفي طرقكم، ولكن يا حنظلة ساعة وساعة، ثلاث مرات)[3].

فهذه السعة واليسر في الأخلاق الإسلامية على عكس منهج المبتدعة الذين «زعموا أن الطريق في ذلك (أي طريق السلوك) أولا بانقطاع علائق الدنيا بالكلية، وتفريغ القلب منها، وبقطع الهمة عن الأهل والمال والولد والوطن...» [4].

فالانقطاع عن الخلق وعن طلب العلم وإهمال الولد والأهل تخلٍ عن ما أمرنا الله به من العلم والدعوة وإلى الله وتربية الأولاد.

ففي أهمية العلم قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾[5] فهو سبيل وطريق لخشية الله وعبادته على الوجه الذي يرضيه، أما عن مسؤولية

(١) المعافسة: المعالجة والممارسة والملاعبة. النهاية (٢٦٣/٣).
(٢) الضيعات: المعايش، كالصنعة والتجارة والزراعة، النهاية (١٠٨/٣).
(٣) مسلم (٢١٠٦/٤-٢١٠٧) برقم (١٢-٢٧٥٠).
(٤) الغزالي، إحياء علوم الدين (٢١/٣).
(٥) سورة فاطر: آية رقم (٢٨).

التربيـــة؛ قـــال تعـــالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ﴾[1]، وفي مجـال الـدعوة قـال تعـالى: ﴿وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۚ﴾[2].

فكيف يقطع الإنسان ما أمر الله به، ويعسر اليسر ويجعل من السهل صعباً[3].

وبهذا نجد أن اليسر الخلقي في الإسلام يتميز بما يلي:

١- أن الآداب الإسلامية لا تخرج عن بشرية الإنسان ولا تفوق قدراته.

٢- أن الإنسان المسلم مطالب بالآداب والأخلاق الإسلامية في حدود طاقاته الشخصية وإمكاناته الفردية.

(١) سورة التحريم، آية رقم (٦).

(٢) سورة آل عمران، آية رقم (١٠٤).

(٣) لمعرفة مزيد عن انحراف غلاة الصوفية والرد عليهم، انظر كتاب موقف ابن تيمية من التصوف والصوفية لأحمد محمد بناني، ص (١٩٩-٤٤٦).

المبحث السادس:

الآداب والفضائل الخلقية

من مميزات وخصائص الدين الإسلامي أنه تتكامل فيه الآداب الفردية والأسرية والاجتماعية، مما يحقق للفرد تنشئة خلقية

ويقسم ابن قيم الجوزية أنواع الآداب إلى ثلاثة أقسام ، هي [1]:

١- الأدب مع الله سبحانه وتعالى.

٢- الأدب مع رسوله ﷺ وشرعه.

٣- الأدب مع خلقه.

وفي هذا المبحث سنقسم الآداب والفضائل الخلقية في التربية الإسلامية إلى:

أولاً: الأدب مع الله تعالى.

ثانياً: الأدب مع الرسول ﷺ.

ثالثاً: الأدب مع الوالدين.

رابعاً: الأدب مع الأرحام.

(١) ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين، (٢/٣٩١).

خامساً: أدب الجوار.

سادساً: الفضائل الخلقية:

الحياء

الصبر.

الصدق.

التواضع

الرفق والرحمة.

الأمانة.

أولاً: الأدب مع الله تعالى:

من أهم وأسمى جوانب التنشئة الخلقية أن ينشأ الفرد على طاعة الله ﷻ والخوف منه ورجائه ومحبته، والإخلاص له، بتجريد المتابعة لرسول الله ﷺ وإخلاص النية في الأقوال والأعمال لله تعالى، بما ينمي الفطرة السليمة ويفتح لها الطريق المستقيم ويجنبها طريق الغواية فينشأ متأدباً مع الله تعالى.

ومن أدب العبد مع الله تعالى أن يحسن الظن به ﷻ؛ لأن ذلك من واجبات التوحيد، قال ﷺ فيما يروه عن ربه ﷻ: (أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه حيث

يذكرني...)[1] وقد ذم الله تعالى من أساء الظن به؛ فقال تعالى: ﴿يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ الْأَمْرِ مِن شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ﴾[2]، فمن حسن الظن بالله أن يعتقد أن الله مطلع عليه ويعلم أعماله التي تصدر منه وما توسوس به نفسه «ومبنى حسن الظن على العلم برحمة الله وعزته وإحسانه وقدرته وعلمه وحسن اختياره وقوة المتوكل عليه، فإذا تم العلم بذلك أثمر له حسن الظن بالله» [3].

ومن أدب العبد مع ربه ﷻ أن يحبه، فإن «محبته هي أصل دين الإسلام الذي يدور عليه قطب رحاه، فبكمالها يكمل، وبنقصها ينقص توحيد الإنسان»[4] والمحبة تقتضي طاعة الرسول ﷺ واتباع ما جاء به قال تعالى:﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[5] وهذه تسمى آية المحبة [6].

وقال ﷺ: (ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله

(١) البخاري (٣٨٤/٤) برقم (٧٤٠٥) ومسلم (٢١٠٢/٤) و اللفظ له.
(٢) سورة آل عمران: آية رقم (١٥٤).
(٣) سليمان بن عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب، تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد، ص (٦٧١).
(٤) عبدالرحمن حسن آل الشيخ، فتح المجيد شرح كتاب التوحيد، ص (٣٣٢).
(٥) سورة آل عمران، آية رقم (٣١).
(٦) عبدالرحمن حسن آل الشيخ، فتح المجيد شرح كتاب التوحيد، ص (٣٣٢).

أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، و أن يكره أن يعود في الكفر كما يذكره أن يقذف في النار)[1]، «والمراد في الحديث أن يكون الله ورسوله عند العبد أحب إليه مما سواهما قلبياً كما جاء في بعض الأحاديث (وأحبوا الله بكل قلوبكم) فيميل بكليته إلى الله وحده حتى يكون وحده محبوبه ومعبوده، وإنما يحب من سواه تبعاً لمحبته، كما يحب الأنبياء والمرسلين والملائكة والصالحين لما كان يحبهم ربه سبحانه، وذلك موجب لمحبة ما يحبه سبحانه، وكراهة ما يكره، وإيثار مرضاته على ما سواه، والسعي فيما يرضيه ما استطاع وترك ما يكره، فهذه علامات المحبة الصادقة ولوازمها» [2].

ومن أدب العبد مع ربه ﷻ أن يخافه ويرجوه، قال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾[3].

«والخوف من أفضل مقامات الدين وأجلها»[4] وإذا خاف فلا يقنط من رحمة الله، بل يرجوها مع العمل الصالح[5]؛ قال تعالى: ﴿قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن

(١) البخاري (٢٢/١) برقم (١٦) واللفظ له، ومسلم (٦٦/١) برقم (٤٣/٦٧).
(٢) سليمان بن عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب، تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد، ص (٤٧٦).
(٣) سورة آل عمران، آية رقم (١٧٥).
(٤) عبدالرحمن حسن آل الشيخ، فتح المجيد شرح كتاب التوحيد، ص (٣٤٤)
(٥) سليمان بن عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب، تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد، ص (٥٠٨).

رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴾[1].

فلابد أن يتأدب العبد بالخشوع والذل لله ﷻ مع رجاء رحمته ومحبته «فمن عبد الله بالحب وحده فهو زنديق، ومن عبده بالرجاء وده فهو مرجي، ومن عبده بالخوف وحده فهو حروري[2]، ومن عبده بالحب والخوف والرجاء فهو مؤمن موحد»[3].

فمن أدب العبد مع الله تعالى أن يعبده ولا يشرك به شيئاً: وأن يكون لله شاكراً، وله ذاكراً، مفعم قلبه بمناجاة الرحمن[4] وهذا يقتضي الاتباع بأن «تعبده بما أمرك على مقتضى أمره لا على ما تراه من رأيك، ولا يكون الباعث لك داعي العادة»[5] فمن أدب العبودية أن تفرد الله تعالى بالعبادة وبالتوجه إليه وجده، متيقناً أنه رب كل شيء، وخالق كل شيء، متوجهاً له في خضوع وتذلل، صارفاً جميع أنواع العبادة له سبحانه وتعالى، مستجيباً لقول الحق تبارك وتعالى: ﴿قُلْ إِنَّ

(١) سورة الحجر آية رقم (٥٦).

(٢) الزنديق: هو من يبطن الكفر ويظهر الإيمان.
المرجئة: قوم يعتقدون أنه لا يضر مع الإيمان م عصية، كما لا ينفع مع الكفر طاعة.
الحرورية: هم الذين خرجوا على علي ﷺ بسبب التحكيم، حاشية كتاب العبوية لابن القيم، ص (٢٧).

(٣) ابن تيمية، العبودية، ص (٣٧).

(٤) محمد بن الحسين الآجري، أخلاق القرآن، ص (١٢٨).

(٥) ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين (٢/٣٥١).

صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[1].

ومن أدب العبودية التي ينبغي للمربي والداعية أن ينشيء عليها المتربين: التأدب مع كتاب الله تعالى بالوضوء وبحسن القراءة والتدبر وبالصمت والإنصات إذا سمع القرآن يتلى تنفيذاً[2] لقوله تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾[3].

وأن يغرس فيه مراقبة الله والخشية منه، وأنه مطلع على كل صغيرة وكبيرة لا يعزب عنه مثقال ذرة أو أدنى من ذلك في الأرض ولا في السماء، وأنه مطلع على خائنة الأعين وما تخفي الصدور؛ قال تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾[4].

وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴾[5].

وقال تعالى في وصية لقمان لابنه وهو يعظه: ﴿ يَٰبُنَىَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِى صَخْرَةٍ أَوْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِى ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ

(١) سورة الأنعام، آية رقم (١٦٢-١٦٣).
(٢) لمزيد من المعلومات عن آداب قراءة القرآن. انظر: كتاب أخلاق حملة القرآن للآجري.
(٣) سورة الأعراف، آية رقم (٢٠٤).
(٤) سورة الحديد، آية رقم (٤).
(٥) سورة ق، آية رقم (١٦).

لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴾[1].

ثانياً: الأدب مع الرسول ﷺ وسائر الأنبياء عليهم السلام:

ينغرس التأدب مع الأنبياء في الإنسان صغيراً أو كبيراً متى تعرف على أحوالهم وأعمالهم، وما كابدوه من متاعب ومصاعب حتى بلّغوا رسالات ربهم، وهذا يتطلب من المربي أن يستعرض حياة الأنبياء واقفاً عند كل جزئية من حياتهم، مبيناً سلوكهم وأخلاقياته، مستجليا إحسانهم، وطيب كلامهم وتواضعهم ورحمتهم بالناس، و إحسانهم إليهم، وصبرهم على أذاهم في سبيل تبليغ الدعوة.

ومن التأدب مع النبي ﷺ أن يستأثر القلب بحبه؛ إنفاذاً لتوجيهه ﷺ حيث قال: (لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين)[2]، ومحبته ﷺ تقتضي اتباع سنته وما جاء به من عند الله ﷻ، والانتهاء عن كل ما نهى عنه، وعدم إدخال ما ليس منه فيه، قال تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ﴾[3].

وقال تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ

(١) سورة لقمان، آية رقم (١٦).
(٢) البخاري، (٢٢/١) برقم (١٥)، واللفظ له، ومسلم (٦٧/١) برقم (٧٠-٤٤).
(٣) سورة الحشر، آية رقم (٧).

﴿وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾[1] ومحبته والتأدب معه ﷺ تقتضيان الصلاة والسلام عليه إذا ذكر اسمه، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا﴾[2].

«والمقصود من هذه الآية أن الله ﷻ أخبر عباده بمنزلة عبده ونبيه عنده في الملأ الأعلى بأنه يثني عليه عند الملائكة المقربين، وأن الملائكة تصلي عليه، ثم أمر تعالى أهل العالم السفلي بالصلاة والتسليم عليه، ليجتمع الثناء عليه من أهل العالَمَيْن: العلوي والسفلي»[3] وقد وصف ﷺ من لا يصلي عليه بالبخل، فقال: (البخيل الذي من ذكرت عنده فلم يصلِّ علي)[4] وتنشئة هذه المحبة التي توجب الطاعة والاتباع تكون بالاستعراض المتدبر المتأمل في سيرته ﷺ واستخلاص العبر والشمائل الخلقية المبثوثة في كل حياته ﷺ، التي تثير قلوب قارئيها وسامعيها نحو الخير والهدى، ومن سبل التربية أن يستعرض الموجه أو المربي أو الداعية في أي مؤسسة تربوية كيف كان أصحابه ﷺ يتأدبون معه اتباعاً وانقياداً لأوامر الله ﷻ

(١) سورة الأحزاب، آية رقم (٢١).
(٢) سورة الأحزاب، آية رقم (٥٦) .
(٣) ابن كثير، تفسير القرآن الع ظيم، (٥١٤/٣).
(٤) الترمذي (٥١٥/٥)، برقم (٣٥٤٦) وقال: هذا حديث غريب من حديث ثابت عن أنس، وقد روي من غير هذا الوجه عن أنس وأحمد (٢٠١/١)، وقال الألباني: صحيح. صحيح الجامع الصغير (٥٥٧/١) برقم (٢٨٧٨).

قال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ۝١ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجۡهَرُواْ لَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ كَجَهۡرِ بَعۡضِكُمۡ لِبَعۡضٍ أَن تَحۡبَطَ أَعۡمَٰلُكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ ۝٢ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصۡوَٰتَهُمۡ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمۡتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡ لِلتَّقۡوَىٰۚ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٌ عَظِيمٌ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿لَّا تَجۡعَلُواْ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيۡنَكُمۡ كَدُعَآءِ بَعۡضِكُم بَعۡضٗاۚ﴾[2].

قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي: «أي إذا دعوتموه فلا يكن دعاؤكم مجرداً عن الاحترام والتوقير، كما يفعل بعضهم مع بعض، فلا تقولوا: يا محمد، ولكن قولوا: يارسول الله، ولا ترفعوا أصواتكم عنده بل أخفضوها»[3] وبعد وفاته يستمر أيضا ذلك الأدب معه ﷺ فلا نذكر اسمه مجرداً، بل نضيف له شرف الرسالة ونصلي ونسلم عليه، ومن التأدب معه ألا نقدم قولا على قوله، فإنه متى استبانت سنة رسول الله ﷺ وجب اتباعها وتقديمها على غيرها كائن من كان. وهذا أدب واجب مع الله ورسوله، وهو عنوان سعادة العبد وفلاحه، وبفواته تفوته السعادة الأبدية والنعيم السرمدي[4].

(١) سورة الحجرات، آية رقم (١-٣).
(٢) سورة النور، آية رقم (٦٣).
(٣) محمد الأمين الشنقيطي، كتبه عنه أحمد قادري، ص (٢٠٧).
(٤) عبدالرحمن السعدي، تفسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (٦٧/٥).

وقد كان من أخلاق الصحابة ﷺ وتفانيهم في حبه ﷺ إن الفرد منهم يتمنى أن يقتل فيراق دمه دون أن يصاب عليه الصلاة والسلام بأدنى أذى ولو شوكة يشاكها، وقد جاء في قصة خبيب أنه لما وضع المشركون السلاح فيه، وهو مصلوب نادوهخ وناشدوه، أتحب أن محمداً مكانك؟ فقال: لا والله العظيم!! ما أحب أن يفديني بشوكة يشاكها في قدمه[1].

فهكذا كان تأدب الصحابة ﷺ مع النبي ﷺ، وعلى هذا ينشأ الأبناء.

ثالثاً: الأدب مع الوالدين:

ومن الأخلاق الإسلامية أن يعرف الناس حقوق والديهم التي أوجبها الله تعالى على الأبناء للآباء والأمهات، وهي طاعتهم ومحبتهم والتماس رضاهم فيما ليس فيه معصية لله تعالى، والترفق بهما و التودد إليهما، والعطف والحنان عليهما، وعدم التضجر والتأفف من أقوالهما وأفعالهما؛ استجابة لأمر الله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا﴾[2].

(١) الكاندهلوي، حياة الصحابة، ص (٥٢٥).

(٢) سورة الإسراء، آية رقم (٢٣-٢٤).

يقول سيد قطب: بهذه العبارات الندية والصورة الموحية يستجيش القرآن الكريم عواطف ووجدان البر والرحمة في قلوب الأبناء، فالكبر له جلاله، وضعف الكبر له إيحاؤه، وكلمة (عندك) تصور معنى الالتجاء والاحتماء في حالة الكبر والضعف، وأن أول مرتبة من مراتب الرعاية والأدب، ألا يند من الولد ما يدل على الضجر والضيق، وما يشعر بالإهانة وسوء الأدب، والمرتبة الأعلى: أن يكون كلامه لهما مليئا بالإكرام والاحترام[1].

ولهذا جعل ﷺ برهما والقيام بحاجتهما والصبر عليهما جهاد. فعن عبدالله بن عمرو قال: (جاء رجل إلى النبي ﷺ فاستأذنه في الجهاد، فقال: «أحي والداك»؟ قال: نعم. قال: «ففيهما فجاهد»)[2].

وفي إدراك الوالدين كسب عظيم وتجارة رابحة، لأنهما مفتاح للجنة لمن أطاعهما وقام برعايتهما، وقد خسر وخاب من أدرك كلا والديه أو أحدهما فلم يحسن صحبتهما وطاعتهما لينال الجنة ونيعمها، وقد بيّن ذلك رسول الهدى والرحمة حيث قال: (رغم أنفه[3] ثم رغم أنفه، ثم رغم أنفه، قيل: من يارسول الله؟

(١) سيد قطب، في ظلال القرآن (٤/٢٢٢١) ملخص.

(٢) البخاري، (٢/٣٥٩) برقم (٣٠٠٤) ومسلم (٤/١٩٧٥) برقم (٥/٢٥٤٩).

(٣) رغم أنفه وأرغم الله أنفه: أي ألصقه بالرغام وهو التراب. وهذا هو الأصل، ثم استعمل في الذل و العجز عن الانتصاف والانقياد على كره. النهاية (٢/٢٣٨).

قال: «من أدرك والديه عند الكبر، أحدهما أوكلاهما ثم لم يدخل الجنة» [1].

وبر الوالدين عظيم ونصيب الأم أكثر لما تعانيه «ولمالاقته من الألم والتعب والسهر والمشقة، فقد لاقت الأم ثلاثة متاعب شاقة لم يتحملها الأب، أولها مشقة الحمل، وثانيهما مشقة الوضع، وثالثهما مشق الرضاع والتربية»[2]، قال تعالى: ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴾[3].

وعن أبي هريرة ﷺ قال:(جاءرجل إلى رسول الله ﷺ،فقال: يارسول الله من أحق الناس بحسن صحابتي؟ قال: "أمك " قال: ثم من؟ قال:" أمك" قال ثم من؟ قال: " أ مك" قال ثم من؟ قال: " أمك " قال: ثم من؟ قال: "ثم أبوك")[4] «ففي هذا الحديث دليل على أن محبة الأم والشفقة عليها ينبغي أن تكون ثلاثة أضعاف أمثال الأب، لذكر رسول الله ﷺ الأم ثلاث مرات، وذكر الأب مرة واحدة، والسر في ذلك كما قاله ابن بطال: إن الأم تنفرد عن الأب بثلاثة أشياء:صعوبة الحمل، وصعوبة الوضع، وصعوبة الرضاع، فهذه تنفرد بها الأم

(١) مسلم (١٩٧٨/٤) برقم (٢٥٥١/١٠).
(٢) عبدالله عبدالرحيم العبادي، من الآداب والأخلاق الإسلامية، ص (٤٥).
(٣) سورة لقمان: آية رقم (١٤).
(٤) البخاري، (٨٦/٤) برقم (٥٩٧١) واللفظ له، ومسلم (١٩٧٤/٤) برقم (٢٥٤٨/١).

وتشقى بها، ثم تشارك الأب في التربية» [1].

ولأهمية بر الوالدين فإنه لا يمكن أن يجازي الولد والديه مهما عمل من تذلل وخضوع وترفق بهما إلا أن يجدهما مملوكين فيعتقهما؛ قال ﷺ (لا يجزي ولد والداً إلا أن يجده مملوكاً فيشتريه فيعتقه)[2] قال النووي: «لا يكافئه بإحسانه وقضاء حقه إلا أن يعتقه» [3].

ولذا وجبت طاعتهما والتأدب معهما، ومن ذلك: أن لا يدعو أبويه باسمهما، وإنما يقول لهما: يا أبي ويا أمي، وبتلطف في نبرات الصوت ليشعرهما بتذلله لهما، وأن لا يتقدمهما بالجلوس، أو الأكل، أو أن يمشي أمام أبيه فإن ذلك من سوء الأدب وذميم الأخلاق، «وقد رأى أبو هريرة رجلاً يمشي خلف رجل، فقال من هذا؟ قال: أبي، قال: لا تدعه باسمه، ولا تجلس قبله، ولا تمشي أمامه»[4].

ومن هذه التوجيهات الإسلامية يستطيع المربي أن يقدم عرضا تربوياً لبر الوالدين، ويقدم منهجاً عملياً بالقدوة الحسنة التي تتسم بها تصرفاته وحسن

(١) محمد السفاريني، غذاء الألباب (٣٨٦/١).
(٢) مسلم (١١٤٨/٢) برقم (١٥١٠/٢٥).
(٣) النووي، صحيح مسلم بشرح النووي (١٥٣/١).
(٤) ابن مفلح، الآداب الشرعية (٤٥٣/١).

صحبته لوالديه إن كانا على قيد الحياة، وأن يبرهما بالدعاء إن كانا متوفين، ليكون نموذجاً عملياً وأسوة حسنة في ميدان التربية، ومن ناحية أخرى ينشيء أبناءه على الطاعة وحسن الصحبة لوالديهم.[1]

رابعاً: الأدب مع الأرحام:

الرحم في الدلالة اللغوية: هي أسباب القرابة، وأصلها الرّحِم التي هي منبت الولد [2] .

أما الرحم في الدلالة الاصطلاحية:«فهي رحم القرابة من طرفي الرجل، أبيه وأمه، فتجب لهم الحقوق الخاصة وزيادة» [3]، أما صلة الرحم فهي «كناية عن الإحسان إلى الأقربين من ذوي النسب والأصهار، والتعطف عليهم، والرفق بهم، والرعاية لأحوالهم، وكذلك إن تعدوا وأساءوا، وضد ذلك قيطعة الرحم» [4] .

وقال ابن أبي جمرة: «المعنى إيصال ما أمكن من الخير، ودفع ما يمكن من الشر بحسب الطاقة»[5].

(١) لمزيد من المعلومات انظر: غذاء الألباب للسفاريني (١/٣٧٣-٣٩٣).
(٢) ابن منظور، لسان العرب، (١٢/٢٣٢).
(٣) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (١٦/١٦٤).
(٤) الصنعاني، سبل السلام (٤/١٥٣١).
(٥) المرجع السابق (٤/١٥٣٣).

ومن ذلك يتبين أن صلة الأرحام هي: الإحسان إلى ذوي القرابة واحتمال الأذى منهم.

وصلة الأرحام توصل وتقطع بحسب علاقة الفرد مع أرحامه، وقد أمر الله ﷻ بهذه الصلة عن طريق الوسائل المشروعة التي تقوي العلاقة وتنميها، قال تعالى: ﴿ وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴾[1].

قال القاضي عياض: «ولا خلاف أن صلة الرحم واجبة في الجملة، وقطيعتها معصية كبيرة، قال: والأحاديث في الباب تشهد لهذا، ولكن الصلة درجات بعضها أرفع من بعض، وأدناها ترك المهاجرة وصلتها بالكلام ولو بالسلام. ويختلف ذلك باختلاف القدرة والحاجة، فمنها واجب، ومنها مستحب لو وصل بعض الصلة ولم يصل غايتها لا يسمى قاطعاً ولو قصر عما يقدر عليه وينبغي له لا يسمى واصلاً»[2].

وصلة الأرحام من صفات أولي الألباب، وتحصل وتنمو بالمزاورة والمشاركة في الآلام والنوائب والأفراح بالمال والجهد، والتعاطف بالإهداء إليهم والسؤال عنهم وتفقد أحوالهم؛ قال تعالى: ﴿أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ ۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩﴾ ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ ﴿٢٠﴾ وَٱلَّذِينَ

(١) سورة الإسراء: آية رقم (٢٦).
(٢) النووي، صحيح مسلم بشرح النووي (١١٣/١٦).

يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ ﴾[1].

إن صلة الرحم تكون بزيارتهم وتفقد أحوالهم وإكرامهم، والإهداء إليهم والتصدق على فقيرهم، وتعهد مرضاهم ومشاركتهم في مسراتهم، ومواساتهم في أحزانهم وتقديمهم على غيرهم في كل أمر هم أحق به من غيرهم بسبب قرابتهم، أما قطيعتهم فتكون بهجرهم والإعراض عن زيارتهم المستطاعة، وعدم مشاركتهم في مسراتهم، ومواساتهم في أحزانهم، وبتفضيل غيرهم عليهم فيما هم أحق من غيرهم[2]؛ قال تعالى: ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ ﴾[3].

فمنزلة صلة الرحم في الإسلام منزلة عظيمة وشأنها كبير؛ لما جاء عنها في الأحاديث النبوية التي تبين جلال قدرها، وإن صلتها سبب في عطاء الله للواصل، وقطيعتها تؤدي إلى قطيعة الله للقاطع، فقد جاء في صحيح مسلم أنه ﷺ قال: (الرحم معلقة بالعرش تقول من وصلني وصله الله، ومن قطعني قطعه الله)[4] «والمراد تعظيم شأنها وفضيلة واصليها وعظيم إثم قاطعيها» [5].

(١) سورة الرعد: آية رقم (١٩-٢١).
(٢) عبدالرحمن حبنكة الميداني، الأخلاق الإسلامية وأسسها (٢/٣٦-٣٧).
(٣) سورة محمد: آية رقم (٢٢-٢٣).
(٤) البخاري (٤/٩٥-٩٦) برقم (٦٠٢٤) ومسلم (٤/٢٠٠٣-٢٠٠٤) برقم (٢٥٩٣/٧٧)، واللفظ له.
(٥) النووي، صحيح مسلم بشرح النووي (١٦/١١٢).

كما أن صلة الرحم من أبواب بسط الرزق وبركة العمر؛ قال ﷺ: (من أحب أن يبسط له في رزقه وينسأ[1] له في أثره فليصل رحمه)[2].

خامساً: آداب الجوار:

الجار في الدلالة اللغوية:

جاء في لسان العرب: أن الجار الذي يجاورك بيت ببيت، ومن معاني الجار: الشريك في العقار، والجار: الحليف، والجار: الناصر، والجار: الشريك في التجارة [3].

الجار في الدلالة الاصطلاحية:

إن معنى الجار في اللغة لا يختلف عنه في الاصطلاح، «وقد اختلف الناس في حد الجيرة، فكان الأوزاعي يقول: أربعون داراً من كل ناحية، وقاله ابن شهاب»[4].

قال تعالى: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا وَبِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡجَارِ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡجَارِ ٱلۡجُنُبِ﴾[5]

(١) نسأ: النسيء أي التأخير، يقال: نسأت الشيء نسأ وأنسأته إنساء إذا أخرته، النهاية (٥/٤٤).
(٢) البخاري (٤/٨٩) برقم (٥٩٨٥) ومسلم (٤/١٩٨٢) برقم (٢٠/٢٥٥٧).
(٣) ابن منظور: لسان العرب (٤/١٥٤).
(٤) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (٥/١٢١).
(٥) سورة النساء، آية رقم (٣٦).

قال ابن حجر: « الجار القريب من يبنهما قرابة، والجار الجنب بخلافه، وهذا قول الأكثر»[1].

وهذا يعني أن الجيران نوعان: جيران تربطهم علاقة رحم وجوار، وجيران لا تربطهم إلا علاقة الجوار.

ومن المعاني السابقة يتبين أن الجار بمنزلة الشريك لجاره، لقرب المنازل ولأنه الناصر له بعد الله تعالى، فإن أحدقت به النوائب وأفزعته المصائب فأول ما يفزع لجاره بعد الله ﷻ؛ لأنه أقرب الناس مكاناً إليه، فإن كانت طباعهم بأخلاق الإسلام مطبوعة، ساد الجيرة الحب والتسامح والتناصح والعطاء، وتأثر بذلك الصغار الكبار، وإن كانت أخلاقهم على النقيض من ذلك ساد النزاع واستحوذ الخلاف على علاقاتهم، ولم يراعٍ كل منهم حقوق الآخر ومشاعره، وبالتالي يمتد ذلك إلى الصغار فينشؤون على ما تعودوا عليه من الشقاق وسوء الأخلاق مع الجيران.

إذن فعلاقات الجوار تحتاج إلى من يوجهها التوجيه الصحيح حتى يكون تأثيرها الأسري والاجتماعي تأثير خير وبركة، يعم المجتمع بأشمله، والإسلام هو المنهج الوحيد الذي تكفل بمنهجه الرباني إذا طبق أن تسود الأخلاق الفاضلة

(١) ابن حجر، فتح الباري (١/٤٤١).

سائر المجتمع، فيعيش الجميع في سلام ومحبة ووئام.

ومنزلة الجوار في الإسلام كبيرة حيث أمر الله تعالى «بحفظه والقيام بحقه والوصاة برعي بذمته في كتابه وعلى لسان نبيه، ألا تراه ﷻ ذكره بعد الوالدين والأقربين»[1] كما جاء في الآية السابق ذكرها، ولما ورد عن الوصاية به في كثير من التوجيهات النبوية؛ فعن عائشة أم المؤمنين رضي الله تعالى عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: (مازال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه)[2].

فالجوار يتطلب الإحسان إلى الجار والرفق به، وحسن معاشرته والتوسعة عليه بمساعدته إذا احتاج إلى معونة، والرفق بأولاده والنصح لهم وتعهده بالزيارة، وغير ذلك من الآداب الإسلامية التي يمكن إيضاح بعضها فيما يلي:

١ - التعاون على التفقه والتعلم والتواصي بالمعروف والتناهي عن المنكر، لما يترتب على ذلك من التنشئة الاجتماعية المتكافلة، وما ينضوي عليه من التخلق بالأخلاق الإسلامية الحميدة، فقد كان ﷺ يأمر الجيران أن يفقه ويعظ بعضهم بعضاً، فخرّج الهيثمي أنه عليه الصلاة والسلام (خطب ذات يوم فأثنى على طوائف من المسلمين خيراً ثم قال: «ما بال أقوام لا يفقّهون جيرانهم، ولا

(١) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (٥/١٢٠).
(٢) البخاري (٤/٩٤) برقم (٦٠١٤) واللفظ له، ومسلم (٤/٢٠٢٥) برقم (٢٦٢٤/١٤٠).

يعلمونهم، ولا يعظونهم، ولا يأمرونهم، ولا ينهونهم، وما بال أقوام لا يتعلمون من جيرانهم، ولا يتفقهون ولا يتعظون»)[1] وكان الصحابة رضوان الله تعالى عليهم مثالاً لتطبيق التوجيهات النبوية، فكان من حرص عمر ﷺ على العلم أنه كان يتناوب مع أحد جيرانه لتلقي العلم من رسول الله ﷺ، فعن عبدالله بن عباس رضي الله تعالى عنهما (أن عمر قال: كنت أنا وجار لي من الأنصار في بني أمية بن زيد – وهي من عوالي المدينة – وكنا نتناوب النزول على رسول الله ﷺ، ينزل يوماً وأنزل يوما، فإذا نزلت جئت بخبر ذلك اليوم من الوحي وغيره، وإذا نزل فعل مثل ذلك)[2].

فمن لوازم الجيرة: الألفة والتعاون والتناصح والتواصي بالمعروف والتناهي عن المنكر.

٢– **كف الأذى**: إن من واجبات وحقوق الجيرة أن يكف المرء أذاه وأذى صبيانه عن جيرانه سواء باليد أو باللسان أو بغيرهما، فعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رجل: (يا رسول الله، إن فلانة يذكر من كثرة صلاتها وصدقتها وصيامها غير أنها تؤذي جيرانها بلسانها، قال: "هي في النار" قال يا رسول الله: فإن فلانة يُذكر من

(١) نور الدين الهيثمي، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (١/١٦٤).
(٢) البخاري (١/٤٩) برقم (٨٩).

قلة صيامها وصدقتها وصلاتها وأنها تتصدق بالأثوار[1] من الأقط[2]، ولا تؤذي جيرانها، قيل: "هي في الجنة") [3] وقال ﷺ: (والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، قيل: من يا رسول الله؟ قال: الذي لا يأمن جاره بوائقه[4]) [5] وقد نفى ﷺ الإيمان عمن لم يأمن جاره بوائقه، وهي مبالغة تنبئ عن تعظيم حق الجار، وإن إضراره من الكبائر[6].

وقد بين ﷺ أن من الإيمان عدم إيذاء الجار، فقال: (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره)[7].

فهذه توجيهات تربوية نبوية تدل على وجوب كف الأذى عن الجار وعظيم حقه، وأن التمسك بأخلاق الجوار طريق للجنة، وواجب الأسرة والمؤسسات الاجتماعية أن تنمي هذه الآداب في الناشئة.

٣- **التسامح مع الجار**، بالصبر على أذاه، والوقوف معه فيما يحتاج إليه، والتعاون معه حتى في أبسط الأمور، كأن يأذن له بوضع خشبة داره في جداره،

(١) التور: إناء من صفرة، النهاية (٩٩/١).
(٢) الأقط: لبن مجفف يابس مستَحجر يطبخ به. النهاية (١٦٢/١).
(٣) أحمد (٤٤٠/٢).
(٤) بوائقه: أي غوائله وشروره، وأحدها بائقة، وهي الداهية، النهاية (١٦٢/١).
(٥) البخاري (٩٤/٤) برقم (٦٠١٦) واللفظ له، ومسلم (٦٨/١) برقم (٤٦/٧٣).
(٦) ابن حجر، فتح الباري (٤٤٢/١٠).
(٧) البخاري (٩٤/٤) برقم (٦٠١٨) ومسلم (٦٨/١) برقم (٤٧/٧٤).

فقد قال ﷺ: (لا يمنع أحدكم جاره أن يغرز خشبة في جداره)[1].

وهذا الحديث يدل على عظيم حق الجار، وأهمية معاملته بفضائل الأخلاق، كما أنه يترتب على هذه المعاملة آثار سلوكية تنعكس على الناشئة فضلا عن الجيران.

وليس حق الجوار كف الأذى فقط، بل احتمال الأذى، وأن يترفق به، ويبدأه بالسلام، ويعوده إذا مرض، ويعزيه في المصيبة، ويهنئه في الفرح، ويتجاوز عن الأذية، ولا يطلع إلى داره، ولا يضايقه بوضع الخشب على جداره، ولا أن يصب الماء في ميزابه، ولا بطرح التراب في فنائه ولا يتتبعه بالنظر، وعليه أن يستر ما ينكشف من عوراته، ولا يتسمع عليه كلامه، ويلاحظ حوائج أهله إذا غاب [2].

٤- **تعاهده بالعطاء والهدية**: وذلك بأن يتعاهده بالعطاء من طعام البيت لما يترتب على ذلك من المحبة وحسن العشرة ودفع الحاجة والمفسدة «فإن الجار قد يتأذى بقتار قدر جاره، وربما تكون له ذرية، فتهيج من ضعفائهم الشهورة، ويعظم على القائم عليهم الألم والكلفة، ولاسيما إن كان القائم ضعيفاً، أو أرملة، فتعظم المشقة، ويشتد منهم الألم والحسرة» [3] وقد وجه ﷺ الأمة بالمسلمة إلى

(١) البخاري (١٩٥/٢) برقم (٢٤٦٣) ومسلم (١٢٣٠/٣) برقم (١٦٠٩/١٣٦) واللفظ له.
(٢) ابن قدامة المقدسي، مختصر منهاج القاصدين ص (١١٦).
(٣) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (١٢١/٥).

تعاهد الجيران بما قاله لأبي ذر الغفاري ﷺ: (يا أبا ذر، إذا طبخت مرقة فأكثر ماءها وتعاهد جيرانك) [1] .

«فحفظ حقوق الجار من كمال الإيمان، وكان أهل الجاهلية يحافظون عليه، ويحصل امتثال الوصية به، بإيصال ضروب الإحسان إليه بحسب الطاقة كالهدية والسلام وطلاقة الوجه عند لقائه، وتفقد حاله، ومعاونته فيما يحتاج إليه، إلى غير ذلك، وكف أسباب الأذى عنه على اختلاف أنواعه، حسية كانت أو معنوية»[2].

فإذا كان هذا من أخلاق أهل الجاهلية وهم أهل كفر، فالمسلمون أولى بالتمسك بها؛ لأنها من شرع دينهم الإسلامي الحنيف التي أمر بها ﷻ في كتابه وسنة نبيه محمد ﷺ.

وحق الجوار يكون للأقرب؛ فعن عائشة رضي الله عنها قالت: (قلت: يا رسول الله إن لي جارين، فإلى أيهما أهدي؟ قال: إلى أقربهما منك باباً)[3]، كما ينبغي للمسلم أن لا يحتقر شيئا من الطعام فيتردد عن إعطائه لجيرانه، قال ﷺ: (يا نساء المسلمات لا تحقرن جارة لجارتها ولو فرسن[4] شاة) [5] قال ابن حجر: «أي لا

(١) مسلم (٤/٢٠٢٥) برقم (١٤٢/٢٦٢٥).
(٢) ابن حجر، فتح الباري (١٠/٤٤٢).
(٣) البخاري (٢/١٢٩) برقم (٢٢٥٩).
(٤) فرسن: عظم قليل اللحم، وهو خف البعير، وقد يستعار للشاة، فيقال:فرسن شاة. النهاية (٣/٤٢٩).
(٥) البخاري (٤/٩٤) برقم (٦٠١٧)، ومسلم (٢/٧١٤) برقم (٩٠/١٠٣٠).

تحقرن أن تهدي إلى جارتها ولو أنها تهدي لها ما لا ينتفع به في الغالب، ويحتمل أن يكون من باب النهي عن الشيء أمر بضده، وهو كناية عن التحابب والتوادد، فكأنه قال: لتوادد الجارة جارتها بهدية ولو حقرت، فيتساوى في ذلك الغني والفقير، وخص النهي بالنساء؛ لأنهن موارد المودة والبغضاء»[1].

وللأسرة أن تنشيء أفرادها على ذلك من خلال الإيعاز لهم بأن يتعاهدوا جيرانهم بالعطاء مما لديهم من طعام أو فاكهة أو خلافه، حتى يعتادوا ذلك ويشبوا عليه.

والهدية من عوامل الألفة، فهي تجلب المحبة وتوطد العلاقات، وتزيل الأحقاد والأضغان بين الجيران، وهي من الأخلاق الفاضلة، والطباع الطيبة، والسجايا الحميدة، قال ﷺ: (تهادوا تحابوا) [2] وعن عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قالت: (يا رسول الله، إن لي جارين فإلى أيهما أهدي؟ قال: إلى أقربهما منك باباً)[3].

ويأتي دور التنشئة الأسرية في تربية أفرادها على حب جيرانهم ومساعدتهم والتودد إليهم، بشرح مثل هذه الأحاديث النبوية لأفرادها وبيان آداب الاستئذان والدخول عليهم، وتحذيرهم من أذيتهم والتطلع إلى عورتهم وأسرارهم،

(١) ابن حجر، فتح الباري (١٠/٤٤٥).

(٢) أبويعلى (١١/٩) برقم (٦١٤٨) والبخاري في الأدب المفرد برقم (٥٩٤) قال الألباني: حسن صحيح، صحيح الجامع الصغير، رقم (٣٠٠٤)، والإرواء برقم (١٦٠١).

(٣) سبق تخريجه.

والتصنت عليهم، أو التلفت إلى ما عندهم، أو الإخبار بما يرونه، وإن أتوا بخبر ما شاهدوه أو سمعوه أمروا بالسكوت وأفهموا بأن ذلك يؤذي جيرانهم؛ لأنه فيه كشفاً لستر حالهم، ومن جهة أخرى لا يسأل الوالدان الأبناء عن أحوال جيرانهم الخاصة، كأن يقال له: ماذا وجدتهم يفعلون؟ أو ماذا سمعتهم يقولون؟ أو هل رأيت عندهم شيء؟ لأن مثل هذه الأسئلة تنبه الطفل على أن يستقصي الأمور في الزيارات القادمة، ويأتي بالأخبار قبل أن تطلب منه.

ومن سوء التنشئة الخلقية التي تعاني منها بعض الأسر ما تثيره وتشجع عليه صغارها من السلوك العدواني مع أبناء الجيران بقصد الانتقام أو السيطرة، مما يغرس في الطفل السلوك العدواني فيتعامل مع الآخرين على نفس النمط[1].

إن المطلوب في أسلوب التنشئة الإسلامية تعليم الأبناء حقوق الجار، وعدم إيذاء الجار في أهله وعرضه وماله، وإنما ينبغي أن يغض الطرف عن أهل جاره، ويستر زلاتهم، ويتجاوز عن أخطائهم، إلى مثل ذلك من آداب التربية الإسلامية.

(١) عبدالحميد الهاشمي، المرشد في علم النفس الاجتماعي، ص (٣٠٨).

سادساً: الفضائل الخلقية:

- الحياء.

الحياء في الدلالة اللغوية: الحياء: التوبة والحشمة، والحياء بمعنى الاستحياء[1]، وقال الأصفهاني: الحياء انقباض النفس عن القبائح[2].

الحياء في الدلالة الاصطلاحية: هو «خلق يبعث على اجتناب القبيح، ويمنع من التقصير في حق ذي الحق»[3].

والحياء نوعان: فطري، يفطر الإنسان عليه، وكسبي يكتسبه الإنسان، إما بالوعظ والتربية، أو بالمخالطة وما ينتج عنها من مشاكلة باستقباح القبيح، واستقذار المقذورات واستحسان الحسن، أو بالخوف من عقوبة الانحلال وعدم الحياء، قال ابن مفلح: «قال غير واحد قد يكون الحياء تخلقاً واكتساباً كسائر أعمال البر، وقد يكون غريزة، واستعماله على مقتضى الشرع يحتاج إلى كسب ونية»[4] وإلى مثل ذلك أشار ابن رجب بقوله: الحياء نوعان: أحدهما: ما كان خُلقاً وجبلة غير مكتسب، وهو من أجل الأخلاق التي يمنحها الله العبد ويجبله عليها، والثاني: ما كان

(١) ابن منظور، لسان العرب (٢١٧/١٤).
(٢) الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن ص (١٤٠).
(٣) الصنعاني، سبل السلام (١٦٠٦/٤).
(٤) ابن مفلح، الآداب الشرعية (٢٢٦/٢-٢٢٧).

مكتسباً من معرفة الله ومعرفة عظمته، وقربه من عباده، واطلاعه عليهم، وعلمه بخائنة الأعين وما تخفي الصدور، فهذا من أعلى خصال الإيمان، بل هو من أعلى درجات الإحسان[1]؛ لأن صاحبه اكتسبه رغبة في طاعة ومحبة الله، ومنه إخلاص الحياء له، وبذلك فهو من جذور الإيمان لقوله ﷺ: (الإيمان بضع[2] وسبعون شعبة أو بضع وستون شعبة، فأفضلها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان)[3].

فالحياء الكسبي يحتاج إلى جهد تربوي لاكتسابه مع تذكر لرقابة الله تعالى حتى يستحي أن يراه الله على معصية، ولذلك فإن الحياء «وفق الشرع يحتاج إلى اكتساب وعلم ونية، فلذلك كان من الإيمان»[4].

والرسول ﷺ كان أشد الناس حياءً وأكملهم خلقاً، حتى إن أبا سعيد الخدري رضي الله عنه قال: (كان النبي ﷺ أشد حياءً من العذراء[5] في خدرها، فإذا رأى شيئاً يكرهه عرفناه في وجهه)[6].

(١) ابن رجب، جامع العلوم والحكم ص(١٩٠).
(٢) بضع: البضع في العدد ما بين الثلاث إلى التسع، وقيل ما بين الواحد إلى التسع، النهاية (١/١٣٣).
(٣) البخاري (١/٢٠) برقم (٩)، ومسلم (١/٦٣) برقم (٥٨/٣٥) واللفظ له.
(٤) الصنعاني، سبل السلام (٤/١٦٠٦).
(٥) العذراء: الجارية التي لم يمسها رجل، وهي البكر، النهاية (٣/١٩٦).
(٦) البخاري(٤/١١٠) برقم (٦١٠٢) واللفظ له، ومسلم (٤/١٨٠٩-١٨١٠) برقم (٦٧/٢٣٢٠).

وفضل الحياء عظيم وأثره في السلوك كبير؛ لأن دائرته تتسع لكل مجالات حياة الإنسان، في بيته وفي عشيرته، وفي عمله، وفي سوقه، ومع زملائه، ولذلك فهو كله خير، كما قال ﷺ: (الحياء خير كله)[1]، ومن فضل الحياء أنه محبوب عند الله ﷻ كما قال عليه الصلاة والسلام: (إن الله ﷻ حيي ستّير، يحب الحياء والستر فإذا اغتسل أحدكم فليستتر)[2]، والحياء لا يقود الإنسان إلا للخير، ولا يأتيه إلا بالخير.

إن بعض الناس يفهم الحياء فهماً خاطئاً إذ يعتبر الخجل من قول كلمة الحق حياء، والسكوت عن المنكر حياء، وهذا جبن ومفتاح للشر، بينما الحياء مفتاح للخير، وطريق للجنة، فالخجل الذي يتجاوز حده ويصل إلى درجة السكوت عن إنكار المنكر وقول كلمة الحق ليس من الحياء في شيء، بل هو تقصير وضعف وخوف وجبن من قول كلمة الحق «ومن أجل هذا كان الخجل مذموماً لما فيه من تجاوز الحد، ومن هنا ذهب الحكماء قديماً إلى أن الخجل ضعف، و إلى أنه قد يكون سبباً في ضياع الرزق، فقالوا: «الحياء يمنع الرزق» وحياء الرجل في غير موضعه ضعف»[3] قال الصنعاني: «فإن قلت قد يمنع الحياء صاحبه عن إنكار المنكر

(١) مسلم (١/٦٤) برقم (٦١/٣٧).

(٢) أبوداود (٤/٣٠٢) برقم (٤٠١٢)، واللفظ له، والنسائي (١/٢٠٠) برقم (٤٠٦)، ورقم (٤٠٧) وأحمد (٤/٢٢٤)، وقال الألباني: صحيح، صحيح الجامع الصغير (١/٣٦١) برقم (١٧٥٦).

(٣) عبداللطيف العبد، الأخلاق في الإسلام، ص (١٦٦).

وهو إخلال ببعض ما يجب فلا يتم عموم أنه لا يأتي إلا بخير، قلت [أي الصنعاني] قد أجيب عنه بأن المراد في الأحاديث الحياء الشرعي، والحياء الذي ينشأ عن ترك بعض ما يجب ليس حياء شرعياً، بل هو عجز ومهانة، وإنما يطلق عليه الحياء لمشابهته الحياء الشرعي»[1]، ولذلك فإن هناك أموراً لا تعد من الحياء مثل السكوت عن كلمة الحق، كما أن من فساد الخجل أنه يمنع صاحبه من التعلم ويحول بينه وبين التفقه، قال مجاهد: «لا يتعلم العلم مستح ولا مستكبر»[2] ولذلك فإن نساء الأنصار لم يخجلن من تعلم ما يجب على مثلهن معرفته فأثنت عليهن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها فقالت: (نعم النساء نساء الأنصار لم يكن يمنعهن الحياء أن يتفقهن في الدين)[3].

فصلاح البشرية بتنشئة الهيبة والخوف في القلوب من الله تعالى، والحياء من أن يراهم ﷻ على ما لا يرضاه من الأحوال في الأعمال والأقوال قال ذو النون: «الحياء وجود الهيبة في القلب مع وحشة ما سبق منك إلى ربك»[4].

فالحياء يدفع المرء إلى اجتناب القبيح من الأقوال والأفعال وفاءً وحياءً ممن

(١) الصنعاني، سبل السلام (١٦٠٦/٤).
(٢) البخاري (٦٣/١) رقم (بدون).
(٣) البخاري (٦٣/١) رقم (بدون)، ومسلم (٢٦١/١) برقم (٣٣٢/٦١) واللفظ له.
(٤) ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين (٢٧٠/٢).

يُستحى منه، وأفضل ممن يستحي منه، وهو الذي أنعم على الإنسان بنعمه التي لا تعد وإحسانه الذي لا يحد، وإن حصل منه ما ينافي الحشمة رجع فتاب، أ ما الحياء فقط فإنه يزول إذا توارى عنهم أو كان بين من لا يعرفونه، ما لم يكن مصدر الاحتشام طاعة الله وحب الله والخوف من الله.

- **الصبر:**

الدلالة اللغوية للصبر: الصبر: نقيض الجزع، وهو حبس النفس عن الجزع، والتصبر: تكلف الصبر[1].

الدلالة الاصطلاحية للصبر: «هو خلق فاضل من أخلاق النفس، يمتنع به من فعل ما لا يحسن ولا يجمل، وهو قوة من قوى النفس التي بها صلاح شأنها وقوام أمرها»[2] وقال عمر بن عثمان المكي: «الصبر هو الثبات مع الله، وتلقي بلائه بالرحب والدعة[3]»[4].

وقد أثنى الله ﷻ على الصابرين الذين يتلقون المصيبة بالاحتمال وكظم الغيظ وحبس النفس عن الجزع، ويردفون صبرهم بقولهم: إنا لله وإنا إليه

(١) ابن منظور، لسان العرب، (٤/٤٣٨-٤٣٩).
(٢) ابن قيم الجوزية، عدة الصابرين، ص (١٦).
(٣) الدعة: الخفض، مختار الصحاح ص (٧١٤).
(٤) ابن قيم الجوزية، عدة الصابرين، ص (١٧).

راجعون؛ قال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ﴾[1].

كما أمر المولى ﷻ بالصبر وحمل النفس على التصبر وعدم الجزع على ما يصيبها مما لا ترضاه ولا تحبه؛ قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[2] قال الحسن البصري: «أمروا أن يصبروا على دينهم الذي ارتضاه الله لهم وهو الإسلام، فلا يدعوه لسراء ولا ضراء، ولا لشدة ولا لرخاء، حتى يموتوا مسلمين، وأن يصابروا الأعداء الذين يكتمون دينهم، وكذلك قال غير واحد من علماء السلف»[3] وقال تعالى: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾[4].

فالصبر مطية الفلاح والنجاح، وركيزة الفضائل الخلقية ومحورها، إذ إن جميع الفضائل تعتمد في ثباتها على الصبر، ولا يتمكن المرء من التحلي بفضائل الأخلاق ما لم تكن قاعدة الصبر لديه قوية، فالصدق يحتاج من المرء أن يصبر على

(١) سورة البقرة: آية رقم (١٥٥-١٥٧).
(٢) سورة آل عمران: آية رقم (٢٠٠).
(٣) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (١/٤٥٤).
(٤) سورة الكهف: آية رقم (٢٨).

قول الصحيح حتى وإن اعتقد أن فيه مفسدة على بعض أموره، والتواضع يتطلب الصبر عن وسوسة النفس والهوى وحب الزهو، والحياء يتطلب الصبر عن اجتناب القبيح من بذاءة الكلام، وانحراف السلوك ويقاس على ذلك جميع الفضائل الخلقية، ولذلك فإن ثباته في النفس وتعوده مكسب خلقي، وربح عظيم، إذ تنطوي عليه مكارم الأخلاق.

ولا جرم أن جميع خلال الخير وخصال البر وأحوال الطاعة وفضائل الأخلاق؛ إنما هي مرتبطة بالصبر، وراجعة إلى الصبر، ومحملة على الصبر، وجارية مع الصبر كيفما تأملنا، وعلى أي حال تدبرناها، فإنه قطب تدور عليه جميع الأفعال المحمودة[1]، «فالصبر هو الفضيلة التي تمكننا من النهوض بأعباء الفضائل الأخرى التي تتطلب احتمال المشاق»[2].

فالذي يريد النهوض بأخلاقه ويسمو بها لابد أن ينشئ نفسه على الصبر والتصبر حتى يكبح هوى النفس عن الرذائل السلوكية ويتحرر من رق العادات والتقاليد الفاسدة الباطلة، وأن يكون صبره من جانبين صبر مفارقه وصبر ملازمه، فصبر المفارقة لهجر مفسدات السلوك، وصبر ملازمة لملازمة الفضائل

(١) محمد أحمد جاد المولى، الخلق الكامل (٤/٢٩٠).
(٢) أحمد عبدالرحمن إبراهيم، الفضائل الخلقية في الإسلام، ص (١٦٤).

الخلقية، ولإيضاح مجالات الصبر نورد التقسيم التالي باعتبار الأحكام الخمسة[1]:

١- **الصبر الواجب**: وهو ثلاثة أنواع: أحدها: الصبر عن المحرمات، والثاني: الصبر على أداء الواجبات، والثالث: الصبر على المصائب.

٢- **الصبر المندوب**: فهو الصبر على المكروهات، والصبر على المستحبات، والصبر على مقابلة الجاني بمثل فعله.

٣- **الصبر المحظور**: وهو صبر الإنسان على ما يقصد هلاكه من سبع أو حيات أو حريق أو ماء، أو الصبر عن الطعام والشراب حتى الموت.

٤- **الصبر المكروه**: كالصبر عن فعل المستحب والصبر على المكروه.

٥- **الصبر المباح**: وهو الصبر عن كل فعل مستوى الطرفين خُير بين فعله وتركه.

والصبر خصلة خلقية فاضلة لما سبق إيضاحه وتبيانه، ومن يتحلَّ به يطرق باب السعادة، ومن يتركه يطرق باب الشقاء، إذ إن الجرائم والرذائل سببها عدم الصبر عنها، ولذلك فإن من صبر وتصبر في طاعة الله ظفر بمعونة الله كما قال ﷺ: (ومن يتصبر يصبره الله، وما أعطي أحد عطاء خيراً وأوسع من الصبر)[2]،

(١) ابن قيم الجوزية، عدة الصابرين، ص (٣١-٣٣).

(٢) البخاري (١/٤٥٥) برقم (١٤٦٩)، واللفظ له، ومسلم (٢/٧٢٩) برقم (١٠٥٣/١٢٤).

والتحلي بالصبر من عزم الأمور كما قال تعالى: ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾[1]، وجعل الله الأجر الكبير والمغفرة على الصبر مع العمل الصالح، فقال تعالى: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَٱصْبِرُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾[2].

والصابرون يظفرون بمعية الله تعالى لهم، كما قال جلَّ شأنه: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾[3].

وإن الملائكة لتسلم وتهنئ الصابرين على طاعة الله يوم يدخلون عليهم في جنة النعيم؛ قال تعالى: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ﴾[4] أي حلت عليكم السلام والتحية من الله بسبب صبركم الذي أوصلكم إلى هذه المنزلة العالية والجنان الغالية[5].

ومن ثمار الصبر هذا الجزاء العظيم الذي بينه لنا رسول الله ﷺ إذ يقول أنس بن مالك ﷺ سمعت النبي ﷺ يقول: (إذا ابتليت عبدي بحبيبتيه[6] فصبر عوضته

(١) سورة الشورى: آية رقم (٤٣).
(٢) سورة هود: آية رقم (١١).
(٣) سورة الأنفال: آية رقم (٤٦).
(٤) سورة الرعد: آية رقم (٢٣-٢٤).
(٥) عبدالرحمن بن ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (٤٦٩/٢).
(٦) والمراد بالحبيبتين: العينان المحبوبتان؛ لأنهما أحب أعضاء الإنسان إليه لما يحصل له بفقدها من الأسف على فوات رؤية ما يريد رؤيته. انظر: فتح الباري (١١٦/١٠).

منهما الجنة يريد عينيه)[1] ويقول ﷺ: (إذا مات ولد العبد قال الله تعالى لملائكته: قبضتم ولد عبدي؟ فيقولون: نعم، فيقول: قبضتم ثمرة فؤاده؟ فيقولون: نعم، فيقول: ماذا قال عبدي؟ فيقولون: حمدك واسترجع[2]، فيقول الله: ابنو لعبدي بيتاً في الجنة وسموه بيت الحمد)[3]، ولو لم يصبر، وجزع لفاته الثواب، وأمر الله نافذ لا محالة، فثواب الله للصابرين عظيم إذ خصهم بخصال الخير ، فقال تعالى: ﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾[4] وقال تعالى:﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ﴾[5] ونقيض الصبر الجزع بعدم حبس النفس عن التضجر والتسخط، وهو خصلة ذميمة تبعث هيجان الغضب، فإذا ثارت النفس انفكت من قيود التعقل، واسترسلت في غضبها، فينتج عن ذلك الحدة في الكلام، والسرعة والشدة في الملام، وعدم التروي والتعقل في الأمور «فالجزع (وقاك الله) خلة ذميمة، تعظم الخطب، وتوهن النفس، وتدل على خور الطبيعة، وتبعث على

(١) البخاري (٢٥/٤) برقم (٥٦٥٣).
(٢) استرجع: أي قال: إنا لله وإنا إليه راجعون، يقال منه: رجع واسترجع. النهاية (٢٠٢/٢).
(٣) الترمذي (٣٤١/٣) برقم (١٠٢١) واللفظ له، وأحمد (٤١٥/٤) وقال الألباني: حسن، صحيح الجامع الصغير (١٩٩/١) برقم (٧٩٥).
(٤) سورة فصلت: آية رقم (٣٥).
(٥) سورة القصص: آية رقم (٨٠).

مخالفة الشريعة»[1].

وليس الصبر خلقاً سلبياً، وإن معناه الاستسلام على ما يمكن دفعه «فهذا فهم خاطئ، ووهم فاسد، فالصبر كما يكون جهداً نفسياً للتأبي على المعاصي والابتعاد عن السيئات، يكون في كثير من الأحيان جهداً عملياً إيجابياً»[2]، فالصبر هو ضبط النفس عما يعود عليها بالضرر من الأقوال والأفعال في المعاش والمعاد.

- **الصدق:**

الدلالة اللغوية للصدق: الصدق هو ضد الكذب[3].

الدلالة الاصطلاحية للصدق: «هو الإخبار عن الشيء على ما هو عليه في الواقع»[4].

وقيل إن الصدق هو: «استواء السر و العلانية»[5].

ومن ذلك يتبين أن خلق الصدق: هو كل قول أو فعل أو اعتقاد طابق الحقيقة ووافقها.

(١) محمد أحمد جاد المولى، الخلق الكامل، (٢٨٥/٤).
(٢) أحمد الشرباصي، موسوعة أخلاق القرآن، (١٩٤/١).
(٣) الفيروز أبادي، القاموس المحيط (٢٥٢/٣).
(٤) عبداللطيف محمد العبد، الأخلاق في الإسلام ص (١٧٠).
(٥) ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين (٢٨٥/٢).

والصدق من الخصال الخلقية السامية التي اتصف بها الأنبياء عليهم السلام امتدحهم الله تعالى في كتابه حيث قال: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِبۡرَٰهِيمَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيًّا﴾[1].

وقال تعالى: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِدۡرِيسَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيًّا﴾[2].

وقال تعالى: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِسۡمَٰعِيلَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلۡوَعۡدِ وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا﴾[3].

كما أمرنا الحق تبارك وتعالى بالصدق، فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾[4].

«أي اصدقوا والزموا الصدق تكونوا من أهله وتنجوا من المهالك، ويجعل لكم فرجاً من أموركم ومخرجاً»[5]، فالصدق هو مركبة الخير والنجاة، ومطية السعادة، أما الكذب: فهو سفينة الدمار والهلاك، وإن «حيرة البشر وشقوتهم ترجع إلى ذهولهم عن هذا الأصل الواضح، وإلى تسلط أكاذيب وأوهام على أنفسهم وأفكارهم، أبعدتهم عن الصراط المستقيم، وشردت بهم عن الحقائق التي

(١) سورة مريم: آية رقم (٤١).
(٢) سورة مريم: آية رقم (٥٦).
(٣) سورة مريم: آية رقم (٥٤).
(٤) سورة التوبة: آية رقم (١١٩).
(٥) ابن كثير: تفسير القرآن العظيم (٢/٤١٤).

لابد من التزامها»[1] أي بسبب الأكاذيب التي يعيشونها، في الاعتقاد وفي الكلمة وفي السلوك، فأصبحوا في العالم مرجفين بأعلامهم وأفكارهم ومبادئهم التربوية الفاسدة، ولذلك فإن خير مدخل وخير مخرج هو الصدق، وقد أمر الله تعالى رسوله أن يسأله ذلك؛ فقال تعالى: ﴿ وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَانًا نَّصِيرًا ﴾[2].

والصدق كما يكون بالقول يكون بالفعل وبالاعتقاد وفي مختلف الأحوال «فالصدق في الأقوال: استواء اللسان على الأقوال كاستواء السنبلة على الرأس على الجسد، والصدق في الأحوال: استواء أعمال القلب والجوارح على الإخلاص، واستفراغ الوسع وبذل الطاقة، فبذلك يكون العبد من الذين جاءوا بالصدق»[3].

أما دواعي الصدق فمنها العقل والدين والمروءة وحب الثناء.

- **فالعقل**: لأنه موجب لقبح الكذب، لا سيما إذا لم يجلب نفعاً، ولم يدفع ضرراً، والعقل يدعو إلى فعل ما كان مستحسناً، ويمنع ما كان مستقبحاً.
- **الدين**: لأن الشرع ورد بحظر الكذب وإن جر نفعاً، أو دفع ضرراً،

(١) محمد الغزالي: خلق المسلم، ص (٣٥).
(٢) سورة الإسراء: آية رقم (٨٠).
(٣) ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين (٢/٢٨١).

والعقل إنما حظر ما لا يجلب نفعاً ولا يدفع ضرراً، فجاء الشرع زائد على ما اقتضاه العقل من حضر الكذب.

- **المروءة:** فإنها مانعة للكذب باعثة على الصدق.
- **حب الثناء:** وحب الثناء والاشتهار بالصدق يمنع الكذب حتى لا يرد عليه قوله، ولا يلحقه ندم [1] .

ولكن صدق العقل والمروءة وحب الثناء ما لم يؤازرهم موجب الدين للصدق؛ فإن الإنسان يتوارى عن الصدق متى ظن أن في الكذب مصلحة، فخير دواعي الصدق الدين لما يغرسه من ثبات في السلوك والمبادئ، والصدق من علامات النضح وقوة ا لإيمان، وقال بعض الحكماء: «لا يعد الرجل عاقلاً حتى يستكمل ثلاثاً: إعطاء الحق من نفسه في حال الرضا والغضب، وأن يرضى للناس ما يرضاه لنفسه، وأن لا يُرى له زلة عند صحو، وقال أبوالعتاهية: من ضاق عنه الحق ضاقت مذاهبه»[2] وهذه الصفات لا يمكن أن يتصف بها إلا قوي الإيمان صادق الطوية؛ لأن من يعطي الحق من نفسه لم يصرعه غضبه فيظلم ويكذب لينتصر لنفسه، ومن يرضى للناس ما يرضى لنفسه؛ فإنه قوي الإيمان لقوله ﷺ:

(١) الماوردي، أدب الدنيا والدين، ص (٢٦٢-٢٦٣) ملخص.
(٢) ابن مفلح، الآداب الشرعية (١/٤١).

(لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه)[1]، ومن لا يرى له زلة عند صحو، فهذا ممن جعل الله على نفسه رقيباً فيستحيي أن يرى الله منه منكرا، وكلها مبعثها الصدق مع الله.

ومما يؤكد حاجة المجتمع الإنساني لمبدأ الصدق أن شطراً كبيراً من العلاقات الاجتماعية والمعاملات الإنسانية تعتمد على صدق الكلمة وصدق العمل؛ لأن إرادات الناس لا تُعرف إلا من خلال السلوك الصادق، والنيات الواضحة، ولولا الثقة بصدق الكلمة لتفككت معظم الروابط الاجتماعية بين الناس[2]، وهذا يجعل وظيفة التربية مهمة وشاقة؛ لأنها تضطلع بهذا الواجب وتعمل على غرس الفضائل الخلقية من خلال مؤسساتها التربوية في الأسرة والمجتمع، وخير سبيل لذلك ما يتم عن طريق التربية التي تسعى إلى غرس الإرادة القوية في المتربين؛ لأن «التزام الصدق أمر يحتاج إلى إرادة صلبة، وعزيمة قوية وإيمان وطيد، واحتمال كريم لتبعات الصدق»[3]، ومما يقوي هذه الإرادة وينشئها على الصدق الجزاء الذي ينتظر الصادقين، والعقاب الذي ينتظر الكاذبين كما جاء في قوله ﷺ: (عليكم بالصدق فإن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي

(١) البخاري (٢١/١) برقم (١٣)، ومسلم (٦٧/١) برقم (٤٥/٧١).
(٢) عبدالرحمن حبنكة الميداني، الأخلاق الإسلامية وأسسها (٥٣٢/١).
(٣) أحمد الشرباصي، موسوعة أخلاق القرآن (٤٩/١).

إلى الجنة، وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقاً، وإياكم والكذب فإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، وما يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب تحتى يكتب عند الله كذاباً»[1]، وقد أشار الصنعاني إلى ما يستفاد من هذا الحديث في المجال التربوي بقوله: «وإنه بالتدريب والاكتساب تستمر صفات الخير والشر»[2]، فمسؤولية الأسرة والمؤسسات التربوية في المجتمع أن تغرس هذه الفضيلة الخلقية لدى الفرد من خلال التشجيع والإثابة على الصدق والعقاب على الكذب.

- **التواضع:**

الدلالة اللغوية للتواضع: «التواضع: التذلل، وتواضع الرجل ذل، وتواضعت الأرض انخفضت عما يليها»[3].

الدلالة الاصطلاحية للتواضع: «هو لين الجانب والبعد عن الاغترار بالنفس»[4] وقيل: «التواضع: أن يتواضع العبد لصولة الحق»[5]، وقيل:

(١) البخاري (١٠٩/٤) برقم (٦٠٩٤)، ومسلم (٢٠١٢/٤-٢٥١٣) برقم (٢٦٠٧/١٠٥) واللفظ له.

(٢) الصنعاني، سبل السلام (١٦٠٣/٤).

(٣) ابن منظور، لسان العرب (٣٩٧/٨).

(٤) أحمد الشرباصي، موسوعة أخلاق القرآن (٦٨/١).

(٥) ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين (٣٤٦/٢).

«التواضع: عدم الكبر»[1].

والتواضع خصلة خلقية يقسمها ابن قيم الجوزية إلى ثلاثة درجات:

الأولى: التواضع للدين: وهو الانقياد لما جاء به الرسول ﷺ، والاستسلام له، والإذعان بثلاثة أشياء:

١- أن لا يعارض شيئا مما جاء به بشيء من المعارضات.

٢- أن لا يتهم دليلاً من أدلة الدين بحيث يظنه فاسد الدلالة، أو ناقص الدلالة، أو قاصرها، أو أن غيره أكمل منه.

٣- أن لا يجد إلى خلاف النص سبيلاً ألبتة، لا بباطنه، ولا بلسانه، ولا بفعله.

الثانية: أن ترضى بما رضي الحق به لنفسه عبداً من المسلمين أخاً، وأن لا ترد على عدوك حقاً، وأن لا تقبل من المعتذر معاذيره [أي إذا كان الله ﷻ رضي لنفسه أن يكون أخوك المسلم عبداً له، أفلا ترضى أنت به أخاً لك].

الثالثة: أن تتَّبع للحق، فتنزل عن رأيك وعوائدك عند رؤية الحق[2].

وخير موضع للتواضع أن يكون في طاعة الله وخوفاً من الله، وحباً في الله،

(١) الصنعاني، سبل السلام (١٦٠٩/٤).
(٢) ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين (٣٤٧/٢-٣٥١).

فيتواضع لأوامر الله تعالى بالخضوع والتذلل والتطبيق، والانتهاء عما نهى الله تعالى عنه. ويتواضع لإخوانه المسلمين في غير ذل ولا مهانة؛ لأن «للتواضع حدودا، إذا جاوزها كان ذُلاً ومهانة، ومن قصر عنه انحرف إلى الكبر والفخر»[1]. ومن الخطأ تفسير التواضع بالذل، كما أن الركون إلى المسكنة أمام الطغاة والمترفين لا يعتبر تواضعاً؛ لأن التواضع مرتبط بالقدرة والاختيار، ولصولة الحق فقط «فالتواضع إنما يصدق إذا كان عن قدرة، أما إذا رغب الإنسان أو رَهِب أو خاف من شخص فذل له و انكسر معه فليس ذلك من التواضع في شيء»[2]، «ومن التواضع المذموم تواضعك لغني لأجل غناه»[3].

أما التواضع المطلوب فهو مجالسة الفقراء والمساكين وزيارة المرضى ومساعدة الآخرين في حوائجهم وإن كانوا أقل منه في الفضل، وزيارة من هو دونه أو مثله، وطلاقة الوجه للفقير والمسكين والصغير والكبير، وتقديم من هو أكبر في السن والعلم في المشي والدخول والخروج والركوب، قال ابن مسعود ﷺ: «إن من التواضع الرضا بالدون من شرف المجلس، وإن تسلم على من لقيت» وكان سليمان بن داود عليه السلام يجلس في أوضع مجالس بني إسرائيل ويقول مسكين بين ظهراني

(١) ابن قيم الجوزية، الفوائد، ص (١٥٨).
(٢) أحمد الشرباصي، موسوعة أخلاق القرآن (١/٧٥).
(٣) السفاريني، غذاء الألباب (٢/٢٣٢).

مساكين[1]، ومن التواضع مداراة الجاهل بالرفق به في التعليم، وخفض الجناح للمسلمين وترك الأغلاظ لهم[2].

والتواضع من صفات خير المرسلين، والقدوة إنما تكون باقتفاء أثره واتباع شمائله ﷺ، فقد رباه ﷻ على ذلك إذ قال له: ﴿ وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾[3].

فكان ﷺ خير مثال على ذلك حتى قال الله تعالى فيه: ﴿ فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَۖ فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ وَشَاوِرۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِۖ فَإِذَا عَزَمۡتَ فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَوَكِّلِينَ ﴾[4].

وسيرته العطرة وسنته المطهرة تحث على التواضع؛ إذ يقول وهو رسول رب العالمين: (يا أيها الناس عليكم بتقواكم ولا يستهوينكم الشيطان، أنا محمد بن عبدالله،

---

(١) المرجع السابق (٢/٢٣١).

(٢) وهناك فرق بين المداراة والمداهنة، قال ابن بطال: **المداراة** من أخلاق المؤمنين، وهي خفض الجناح للناس ولين الكلمة وترك الإغلاظ لهم في القول، وذلك من أقوى أسباب الألفة، والمداراة مندوب إليها.
أما **المداهنة** فهي محرمة، والمداهن هو الذي يظهر الشيء ويستر باطنه، وفسرها العلماء بأنها معاشرة الفاسق وإظهار الرضا بما هو فيه من غير إنكار عليه. والمداراة هي الرفق بالجاهل في التعليم وبالفاسق في النهي عن فعله، وترك الإغلاظ عليه، حيث لا يظهر ما هو فيه، والإنكار عليه بلطف القول والفعل لاسيما إذا احتيج إلى تألفه ونحو ذلك، فتح الباري (١٠/٥٢٨-٥٢٩).

(٣) سورة الشعراء آية رقم (٢١٥).

(٤) سورة آل عمران: آية رقم (١٥٩).

عبد الله ورسوله، والله ما أحب أن ترفعوني فوق منزلتي التي أنزلني الله ﷻ)[1].

وقال: (لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم فإنما أنا عبده فقولوا عبد الله ورسوله)[2].

ومن تواضعه أنه كان يزور المرضى ويواسيهم فيرسم عليهم من عطفه وحنانه ما يخفف آلامهم، قال سعد بن أبي وقاص ﷺ: (كان رسول الله ﷺ يعودني في عام حجة الوداع من وجع اشتد بي) [3].

وإذا أراد المرء أن يعرف مقدار تواضع نفسه فلابد له من مقياس يقيس سلوكه عليه ليعرف مقدار تواضعه ودرجته، وخر مقياس يعرض المرء أخلاقه عليه هو خلق سيد المرسلين الذي جعله الله لنا قدوة وأسوة حسنة كما قال تبارك وتعالى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾[4].

وأما طريق التواضع فيأتي بالاستعراض الدائم المتواصل لبداية الإنسان ومصيره، وصفات المتواضعين، ومالهم عند الناس من الثناء والقبول، وما أعده الله للمتواضعين الذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً، فقد «افتخر رجلان عند

(١) أحمد (٣/١٥٣-٢٤١) وقال الألباني: صحيح على شرط مسلم، سلسلة الأحاديث الصحيحة برقم (١٥٧٢).
(٢) البخاري (٢/٤٨٩-٤٩٠) برقم (٣٤٤٥).
(٣) البخاري (١/٣٩٩) برقم (١٢٩٥).
(٤) سورة الأحزاب، آية رقم (٢١).

علي بن أبي طالب ﷺ فقال: أتفتخران بأجساد بالية، إن يكن لكما عمل فلكما أصل، وإن يكن لكما خلق فلكما شرف، وإن يكن لكما تقوى فلكما كرم، وإلا فالحمار خير منكما، ولستما خيراً من أحد»[1].

فمن طرق التواضع التذكر المستمر بأن كل من على وجه البسيطة لا محالة زائل ومنتهٍ ولا يبقى إلا وجه رب العالمين، كما قال تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾[2]. فمعرفة النهاية والمصير واستعراضها الدائم ينهض بالقلوب الحية إلى التواضع، فإن كان التكبر على مال، فمصير أحدهما للزوال قبل الآخر، وإن كان على صحة فمصير الجسد التراب، وإن كان على وظيفة فستعود للأجيال، فالشرف في التواضع، قال ابن المبارك: «كان يقال: الغنى في النفس، والكرم في التقوى، والشرف في التواضع»[3]، ومن سبل التواضع تذكر قوله تعالى في وصف المتواضعين في مشيهم وإعراضهم عن سفاهة الجاهلين: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾[4].

فهذه صفات عباد الله المؤمنين فإنهم يمشون من غير استكبار ولا مرح ولا

(١) ابن مفلح، الآداب الشرعية (٢/٢١٠).
(٢) سورة الرحمن: آية رقم (٢٦-٢٧).
(٣) ابن مفلح، الآداب الشرعية (٢/٢٣١).
(٤) سورة الفرقان: آية رقم (٦٣).

أشر ولا بطر، ولا يعني هذا أنهم يمشون كالمرضى تصنعاً ولا رياءً، فقد كان ﷺ إذا مشى كأنما ينحط من صبب وكأنما الأرض تطوى له، وقد كره بعض السلف المشي بتضعف وتصنع، وروى أن عمر ﷺ رأى شباباً يمشي رويداً فقال: ما بالك أأنت مريض؟ قال: لا يا أمير المؤمنين، فعلاه بالدرة وأمره أن يمشي بقوة، وإنما المراد بالهون السكينة والوقار[1].

ومن سبل التواضع: تذكر فضل الله وما أعده للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً، وإنما هدفهم طاعة الله والتواضع له ﷻ، فلا ينازعونه في كبريائه ﷻ؛ قال تعالى: ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾[2] فهذه التذكرة والاستعراض المستمر تفتح في القلب سعة للتواضع، وتغرس فيه حب التواضع.

- **الرفق والرحمة:**

الدلالة اللغوية للرحمة: هي الرقة والتعطف. والمرحمة مثله، وتراحم القوم رحم بعضهم بعضاً، والرحمة: المغفرة [3] .

(١) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (٣/٣٣٦-٣٣٧).
(٢) سورة القصص، آية رقم (٨٣).
(٣) ابن منظور، لسان العرب (١٢/٢٣٠).

الرفق: هو ضد العنف [1] .

الدلالة الاصطلاحية للرحمة: الرحمة رقة في القلب يلامسها الألم حينما تدرك الحواس، أو يتصور الفكر وجود الألم عند شخص آخر، أو يلامسها السرور حينما تدرك الحواس، أو يتصور الفكر وجود المسرة عند شخص آخر[2].

والرحمة ذات علاقة وطيدة بالرفق لا تنفك بعضها عن بعض «فمن يشعر نحو غيره بشعور الرحمة يكون في معاملته رفيقاً لا عنيفاً، إذ يدفعه الرفق به رحمته»[3].

مما سبق يتبين أن الرحمة مصدرها المشاعر الجياشة والإحساس الوجداني الداخلي، فإذا انبعثت في القلب ظهر في سلوك الإنسان رد فعل على شكل تفاعل وانجذاب نفسي بالمشاركة الوجدانية، فيظهر في السلوك الترفق والشفقة في المعاملة، يقول الأصفهاني: «والرحمة رقة تقتضي الإحسان للمرحوم وقد تستعمل تارة في الرقة المجردة وتارة في الإحسان المجرد عن الرقة: نحو رحم الله فلاناً»[4] أي أنها إذا تحولت إلى سلوك كانت رفقاً، وإذا كانت حبيسة الشعور فقط ولم يصاحب ذلك سلوك إيجابي فعليه كانت شفقة وجدانية مشاعرية فقط.

---

(١) المرجع السابق (١١٨/١٠).
(٢) عبدالرحمن الميداني، الأخلاق الإسلامية وأسسها (٥/٢).
(٣) المرجع السابق (٣١٥/٢).
(٤) الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن ص (١٩١).

فالرفق إذاً مصدره الرحمة، والإنسان لا يكون رفيقاً إلا إذا كان رحيماً، فالرحمة هي المصدر الذي يقذف الإنسان ويدفعه على التعاون والتلاحم والتكاتف «فهي قوة تؤلف بين الأفراد فتجعل منهم أسراً متحدة في ميولها وأغراضها»[1] «وتجعل الفرد يرق لآلام الخلق ويسعى لإزالتها، ويأسى لأخطائهم فيتمنى لهم الهدى»[2] ويسعى لذلك بالعمل الصادق النابع من حرصه عليهم.

والرحمة صفة من صفات المولى ﷻ قال تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾[3] وقال تعالى: ﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾[4] وهذه الرحمة للمؤمنين في الدنيا والآخرة «أما في الدنيا فإنه هداهم إلى الحق الذي جهله غيرهم، وبصرهم الطريق الذي ضل عنه غيرهم، وأما رحمته بهم في الآخرة فأمنهم من الفزع الأكبر ويدخلهم الجنة»[5].

وقد امتدح الله ﷻ المتصفين بهذه الخصلة الخلقية الرفيعة؛ قال تعالى: ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ﴾[6] أي تواصوا للخلق من إعطاء محتاجهم، وتعليم جاهلهم، والقيام بما يحتاجون إليه من جميع

(١) محمد أحمد جاد المولى، الخلق الكامل (٢٧٣/٤).
(٢) محمد الغزالي، خلق المسلم، ص(٢١٦).
(٣) سورة الأعراف: آية رقم (١٥٦).
(٤) سورة الأحزاب: آية رقم (٤٣).
(٥) صالح بن فوزان، العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية، ص (٤٧).
(٦) سورة البلد: آية رقم (١٧-١٨).

الوجوه، ومساعدتهم على المصالح الدينية والدنيوية، ويكره لهم ما يكره لنفسه، فهؤلاء هم الذين يقتحمون العقبة إذا اكتملت فيهم مع صفة الرحمة الصفات الأخرى المذكورة في سورة البلد [1].

فالرفق بالناس هو السلوك الخلقي الذي يكشف طوية الرحمة عند الإنسان، وهو الترجمة الحقيقية للتواد والتعاطف بين الناس، فإذا رأى من يتألم من الفقر والعوز رق قلبه عليه، فأشفق عليه، وترفق بحاله بما يستطيع من مساعدة، وإن رأى منحرفاً رق قلبه لحاله، فأسدل إليه النصيحة، وأرشده إلى طريق الهدى والصلاح؛ لينقذه ما يتردى من هلاك، وما ذلك إلا رحمة لحاله ولما هو فيه.

وحالات الرحمة تتفاوت عند الناس بتفاوت إدراكهم لمعنى الرحمة وأحاسيسهم ومشاعرهم، فالبعض يرى أن الرحمة فيمن يحبهم من الأبناء والأقرباء دون غيرهم ممن يستحقون الشفقة والرحمة، فهو لا يشعر بأية مشاركة وجدانية لهم في آلامهم وأحزانهم، وقد تمتد وتتسع عند بعض الناس إلى العشيرة والقبيلة والمدينة، وقد تتسع عند البعض لكل كائن حي يستحق الرحمة والشفقة [2] «إن انطلاق الإنسان عن دائرة أنانية الضيقة إلى دائرة أعم وأشمل، وخروج الإنسان من إطار محبته لنفسه فقط إلى محبة الآخرين الذين هم في الدائرة الأعم الأشمل إنما هو ارتقاء

(١) انظر: تفسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للسعدي (٥/٤١٨-٤١٩).
(٢) عبدالرحمن حبنكة الميداني، الأخلاق الإسلامية وأسسها (٢/٦-٧).

خلقي كريم»[1].

واتساع دائرة الرحمة تجدها متجسدة بكل معانيها في أخلاق رسول الله ﷺ في وعظه وإرشاده، وفي نصحه وصبره على أذى قومه له، وقد وصفه المولى ﷻ بالرحمة فقال: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴾[2].

ولهذا نجد أن أحاديثه عليه الصلاة والسلام جاءت تترى تحث على الرفق كقوله ﷺ: (من لا يرحم الناس لا يرحمه الله ﷻ)[3] وقال عليه الصلاة والسلام: (إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه، ولا ينزع من شيء إلا شانه)[4].

وكان من سلوكه ﷺ الذي يدل على الرحمة بكل معانيها عطفه على الصغار، وما تقبيل الصغار وضمهم إلى الأحضان إلا عنوان الرحمة وهم أحوج ما يكونون إليها في سن الطفولة لعجزهم وصغرهم، كما أنها تغرس فيهم الرفق والتعاطف والشفقة، قال أبوهريرة رضي الله عنه: (قبّل النبي ﷺ الحسن بن علي وعنده الأقرع بن

(١) المرجع السابق (٢/٢٤٩).
(٢) سورة آل عمران: آية رقم (١٥٩).
(٣) البخاري (٤/٣٧٤) برقم (٧٣٧٦)، ومسلم (٤/١٨٠٩) برقم (٦٦/٢٣١٩) واللفظ له.
(٤) مسلم (٤/٢٠٠٤) برقم (٧٨/٢٥٩٤).

حابس، فقال الأقرع: إن لي عشرة من الولد ما قبلت منهم أحداً، فنظر إليه رسول الله ﷺ ثم قال: «من لا يرحم لا يرحم»[1] فهذا توجيه تربوي عملي يبين حبه ورحمته ﷺ للأطفال وعنايته بهم، وغرس الرحمة في قلوبهم برحمتهم وإشعارهم بالشفقة وقيمتها بما يحسونه وبما ينعكس على مشاعرهم من فيض حبه ﷺ، لكن القلوب القاسية هي التي لا تستجيشها آلام الآخرين وأحزانهم، ولا يستثيرهم ضعف الضعيف، وألم المريض، وهرم الكبير، وعجز الصغير، وحاجة الفقير والمسكين، وأن القسوة في خلق الإنسان دليل نقص كبير، وأن القلوب الكبيرة قلما تستجيشها دوافع القسوة، فهي إلى الصفح والحنان أدنى منها إلى الحفيظة والقسوة[2]، والبعض يرى أن الرحمة في مجال التربية هي التساهل في التنشئة بعدم جرح مشاعر المتربي بكلمة قاسية أو بضرب للتأدب، بل إن البعض وصفوا من يتمسك بذلك القسوة والشدة، والرأي هنا لماذا يوصف بالقسوة ولا يوصف نقيضه المتساهل بالتفريط؟ إن الشدة في التأديب إذا كانت في موضعها المناسب فهي رحمة بالمتعلم؛ لأن العبرة بالنتيجة «فالذين ينصحون بعدم إخافة الصبيان يعودون إلى القول بضرورة تعريضهم للمخاوف الطبيعية لينشأ الصبي صلب العود، قوي العزيمة، صادق الإرادة على مجابهة الأخطار، والوقوف أمام

(١) البخاري (٤/٩١) برقم (٥٩٩٧) واللفظ له، ومسلم (٤/١٨٠٨-١٨٠٩) برقم (٦٥/٢٣١٨).
(٢) محمد الغزالي، خلق المسلم، ص (٢١٨).

الصعاب»[1].

ولذلك فإن قطع يد السارق وفق ما أمر به الشرع يُعد رحمة له حتى لا يستمر في ارتكاب الآثام بأكل أموال الناس بالباطل، والقصاص وفق ما أمرت به الشريعة الإسلامية رحمة بمن يقتص منه حتى لا يتطاول على رقاب الناس فتزداد آثامه، وفي نفس الوقت رحمة للمجتمع، وأيضاً رحمة لمن يضمر الشر للآخرين فيرتدع من ألم العقاب الواقع على غيره «فالرحمة ليست حق القساة غلاظ القلوب، وبعبارة أخرى: الرحمة مشروطة بالرحمة، حتى ضميرنا الخلقي لا يتحرك لطلب الرحمة بالقساة مهما كانت درجة سموه الخلقي»[2]، ويجب بغض أهل الشر والكبائر وأعداء الحق والفضيلة لما يحملونه من الأمراض الاجتماعية بعد أن تعذر علاجهم، حتى يعودوا إلى المنهج الصحيح والفضيلة الخلقية الإسلامية، فإن عادوا اتجه القلب نحوهم بالحب والشفقة[3].

- **الأمانة:**

الدلالة اللغوية للإمانة: الأمانة والأمنة نقيض الخيانة، لأنه يؤمن أذاه، ومؤتمن بالقوم: الذي يثقون به ويتخذونه أميناً حافظاً، والأمانة تقع على الطاعة

(١) أحمد فؤاد الأهواني، التربية في الإسلام، ص (١٢٩).
(٢) أحمد عبدالرحمن إبراهيم، الفضائل الخلقية في الإسلام، ص (١٧٧).
(٣) عبدالرحمن حبنكة الميداني، الأخلاق الإسلامية وأسسها (٢/٢٥٢-٢٥٣).

والعبادة والوديعة والثقة[1].

الدلالة الاصطلاحية: «هي رعاية حقوق الله تعالى بتأدية الفرائض والواجبات وترك المحرمات، وحفظ حقوق عباده، لا يطمع المرء في وديعة إذا اؤتمن عليها، ولا ينكر مالاً وكّل إليه أمر حراسته، ولا يستعمل الغش ولا التطفيف في وزن أو كيل ولا يتتبع العورات أو يفشيها، ولا يفتي بغير علم»[2].

«والأمانة في جانبها النفسي خلق ثابت في النفس يعف به الإنسان عما ليس له به حق، وأن أتيحت أمامه ظروف العدوان عليه دون أن يكون عرضة للإدانة عند الناس، ويؤدي به ما عليه أو لديه من حق لغيره، وإن استطاع أن يهضمه دون أن يكون عرضة للإدانة عند الناس»[3].

وقال القرطبي: «الأمانة تعم جميع وظائف الدين على الصحيح من الأقوال، وهو قول الجمهور»[4].

ويعرف الباحث الأمانة بأنها: حفظ الإنسان لما استرعاه الله عليه، والاستعفاف عما لديه من حقوق الناس.

---

(١) ابن منظور، لسان العرب (٢٢/١٣).
(٢) محمد أحمد جاد المولى، الخلق الكامل (١٥٥/٤).
(٣) عبدالرحمن حبنكة الميداني، الأخلاق الإسلامية (٦٤٥/١).
(٤) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (١٦٢/١٤).

فالأمانة واسعة الدلالة متعددة الجوانب، فهي الأمانة في حفظ الودائع، والأمانة في حفظ سر الكلمة، وبذل تمام الجهد فيما يوكل للإنسان من أعمال.

والأمانة من المنظور الواسع شامله لكل ما استرعى الله تعالى الإنسان من تربية وتوجيه وأداء حقوق، وتنفيذ الالتزامات، وتكون فيما منحه الله تعالى للإنسان من جوارح كالسمع و البصر واللسان والعقل، وجميع الحواس والأطراف البدنية، فأمانتها في حفظها من الخيانة، من خيانة الدين وخيانة المسؤولية؛ قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾[1].

«إنها أمانة الجوارح والحواس والعقل والقلب، أمانة يسأل عنها صاحبها، وتسأل عنها الجوارح والحواس والعقل والقلب جميعاً، أمانة يرتعش الوجدان لدقتها وجسامتها كلما نطق اللسان بكلمة، وكلما ذكر الإنسان رواية، أو أصدر حكماً على شخص أو أمر أو حادثة»[2].

وقد أمر الله تعالى بأداء الأمانة، ونهى عن التخلق بأخلاق الخيانة، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّواْ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا﴾[3].

(١) سورة الإسراء: آية رقم (٣٦).
(٢) سيد قطب، في ظلال القرآن (٤/٢٢٢٧).
(٣) سورة النساء: آية رقم (٥٨).

وقال تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا۟ كَاتِبًا فَرِهَٰنٌ مَّقْبُوضَةٌ ۖ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ ٱلَّذِى ٱؤْتُمِنَ أَمَٰنَتَهُۥ وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ ۗ وَلَا تَكْتُمُوا۟ ٱلشَّهَٰدَةَ ۚ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَخُونُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓا۟ أَمَٰنَٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[2].

فأداء الأمانة واجب شرعي يتحتم على كل مسلم بأن يحفظ أمانته مع الله ورسوله ومع الناس، وأن لا يتعامل مع الخائنين بالخيانة نفسها، وإنما يؤدي إليهم أماناتهم لقوله ﷺ: (أد الأمانة إلى من ائتمنك، ولا تخن من خانك) [3].

ونقيض الأمانة الخيانة التي هي سبب الأزمات والغش والخديعة، إذ يرتبط بفقدانها قلة الإنتاج في الأعمال، وضعف المستوى في الأداء، في مختلف الحرف والأعمال، وبفقدانها تكسد التجارة وتتعثر بين الناس لانعدام الثقة في المعاملات.

وبفقدان الأمانة تكثر الجرائم والاختلاسات والفتك بالأعراض، وتبديد حقوق الناس، وقد حاربها الإسلام ليبيدها ويبدد نفوذها بين الناس، فكانت الخيانة في ميزان الإيمان إحدى علامات النفاق، كما قال ﷺ: (آية المنافق ثلاث: إذا

(١) سورة البقرة: آية رقم (٢٨٣).
(٢) سورة الأنفال: آية رقم (٢٧).
(٣) أبوداود (٣/٨٠٤-٨٠٥) برقم (٣٥٣٤) والترمذي (٣/٥٦٤) برقم (١٢٦٤)، والإمام أحمد (٣/٤١٤) وقال الألباني: صحيح. صحيح الجامع الصغير (١/١٠٧) برقم (٢٤٠).

حدث، وإذا وعد أخلف، وإذا ائتمن خان) [1] .

وإذا تفشت الخيانة وفُقدت الأمانة فذلك إنذار بقيام الساعة، وإنها دلالة من دلائلها، فعن أبي هريرة ﷺ عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (فإذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة. قال: كيف إضاعتها؟ قال: «إذا أسند الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة»)[2]، فإسناد الأمور إلى غير أصحابها خيانة ومضيعة للأمانة، ولذلك عندما أراد ﷺ أن يبعث رجلاً لأهل نجران بعث لهم أمين هذه الأمة أبي عبيدة ابن الجراح، وذلك لمكانتها ولأهميتها في شخصية من يتولى زمام الأمور، فعن حذيفة ﷺ قال: قال النبي ﷺ لأهل نجران (لأبعثن عليكم أميناً حق أمين فاستشرف[3] لها أصحاب النبي ﷺ، فبعث أبا عبيدة)[4].

كما أن فقدان الأمانة في مجتمعات اليوم من نتاج التربية التحررية في العقائد والعبادات والعقوبات، ومن نتائج التيارات الاجتماعية المنحرفة.

ومن تساهل الأسرة في التنشئة الإسلامية في حين أن منهج التربية الإسلامية واضح المفاهيم، سهل الأساليب، محقق للأهداف والتطلعات التربوية

(١) البخاري (١/٢٧) برقم (٢٣)، ومسلم (١/٧٨) برقم (١٠٧-٥٩).
(٢) البخاري (١/٣٧) برقم (٥٩).
(٣) استشرف: أي يحقق نظره ويطلع عليه، وأصل الاستشراف: أن تضع يدك على حاجبك وتنظر، كالذي يستظل من الشمس حتى يستبين الشيء، وأصله من الشرف والعلو، كأنه ينظر إليه من موضع مرتفع فيكون أكثر لإدراكه، النهاية (٢/٤٦١-٤٦٢).
(٤) البخاري (٤/٣٥٤) برقم (٧٢٥٤).

السليمة، وممكن التطبيق في كل الأزمان و الأحوال، ولجميع الفئات.

وإن ما تعاني منه مجتمعات اليوم من فقدان للإمانة وانتشار للخيانة في الكلمة، والعمل، والحقوق، والمسؤوليات، وفي الحواس، ما هو إلا نتيجة هجران البشرية لمنهج التربية الإسلامية.

المبحث السابع:
أسس التربية الخُلُقية والحكم الأخلاقي

يتطلب الحديث عن أسس التربية الخُلُقية الوقوف على جانبين: أحدهما يتعلق بالحكم الأخلاقي، لأنه يمثل جانباً مهماً من جوانب التعامل التربوي بين الأفراد، وله انعكاس على العملية التربوية.

والثاني يتعلق بأسس التربية الخُلُقية. وبيان ذلك كالتالي:

أولاً: الحكم الأخلاقي:

المقصود بالحكم الأخلاقي، ما يطلقه الناس على بعضهم البعض من وصف محمود، أو وصف مذموم.

حيث يتفاوت الناس فيما يصدرونه من أحكام على بعضهم البعض، فترى من يُصنع له المعروف على وجه معهود مستمر، وحين يُخْفَق معه مرة يرميك بآخر ما حصل، ويتناسى ما عهد منك من أخلاق، وترى بعض الناس يصف أهل الفضل بما يندر منهم، عن زلة لسان، أو بيان، أو في فعل من الأفعال، وربما رماهم بنقيض فضلهم وشمائلهم الخُلُقية المعهودة منهم.

ولهذا فإن للحكم الأخلاقي اعتباراً في سِيَر الناس، وفي معاملاتهم، وفي

الترابط والتنافر، والتقارب والتباعد، وفي التباغض والتآلف، ومن هنا لزم التأصيل في ذلك على وجه ما جاء به الشرع الحكيم.

فإذا كان السلوك الخُلُقي هو: كل صفة اتصف بها الإنسان في نفسه أو مع غيره، وأصبحت من سجاياه، فإنه بذلك يُستبعد كل تصرف طارئ ليس سجية تطبع بها الإنسان، أو فطر عليها الفرد، لأن الشخص الذي اعتاد الناس منه البخل، حين يظهر عليه الكرم فجأة ابتغاء منفعة، فإنه لا يستحق بهذه الفعلة اليتيمة أن يُطلق عليه رجل كريم؛ لأن هذه الفضيلة وأمثالها تزول بزوال الباعث لها، كما أن الشخص الذي من عادته الكرم إذا فقد هذه الصفة في أحد المواقف لطارئ طرأ عليه، قد يكون مادياً، أو غير ذلك، فلا يُحكم عليه بالبخل؛ لأن في ذلك الحكم جوراً عليه، وقد جاء في صحيح البخاري قوله ﷺ عن ناقته القصواء: (ما خلأت [1] القصواء وما ذاك لها بخُلُق)[2].

قال ابن حجر: فيه جواز الحكم على الشيء بما عُرف من عادته، وإن جاز أن يطرأ عليه غيره، فإذا وقع من شخص هفوة لا يُعهد منه مثلها لا يُنسب إليها [3] فالخطأ يُنسب إليه ولا يُنسب هو للخطأ.

(١) خلأت الناقة خلاء إذا حرنت، والحران أن يقف ولا يتحرك وإن ضُرب. غريب الحديث للحربي (٤/٢).

(٢) البخاري (٢٧٩/٢) برقم (٢٧٣١، ٢٧٣٢).

(٣) ابن حجر، فتح الباري (٣٣٥/٥).

وبهذا فلا يُوصف الإنسان بما يطرأ على تصرفاته من سلوك حميد أو ذميم، وإنما العمدة على ما أصبح له سجية وطبعاً وعادة عُرف بها. وإن كان الخطأ يُنسب إليه، ولا يوصف به على أنه طبيعة له.

وأما ما يتعلق بتطبيق العقوبات الشرعية والحكم القضائي، فيأخذ مجراه وفق شريعة الله تعالى.

ثانياً: أسس التربية الخُلُقية:

تقوم عملية التربية الخُلُقية أثناء تدريسها أو تنشئتها في أذهان المتربين على ما يأتي:

١- تحليل الفضائل الخُلُقية، ببيان ثوابها وفوائدها على الفرد والمجتمع.

٢- تحليل الرذائل الخُلُقية، ببيان عقابها ومضارها الوخيمة على الفرد والمجتمع.

٣- دعم تلك التوجيهات بالحجج والبراهين الواردة في القرآن الكريم، والسنة النبوية، والآثار الواردة عن الصحابة وعلماء الأمة.

٤- ربط تلك التوجيهات بما يُشاهد ويُسمع من تدني في سلوك المجتمعات التي لا تعطي اهتماماً للجانب الأخلاقي. ويكون ذلك باستخدام القصص وضرب الأمثال، وأخذ العبرة من الأحداث والمصائب والكوارث التي تصيب الفاسدين المفسدين.

فإن مراعاة هذه الخطوات أثناء العملية التربوية تُحدث أثراً بالغاً في نفس المتربي، لأنها اشتملت على بيان وتحليل ودعم الأقوال بالحجج والبراهين، مع ربط ذلك بالواقع المشاهد، أو المسموع عنه.

وبهذا تتضح أهمية هذا الأصل الإسلامي العظيم الذي يترجم طوية الإنسان وما تحمله من صفات، وتنعكس في سلوكه وتصرفاته مع نفسه ومع الآخرين، وقد اهتم الإسلام بهذا الأصل اهتماماً عظيماً، فكان هدفاً من أهداف البعثة النبوية التي جاءت لإتمام مكارم الأخلاق.

ولكن بعض الناس يفهمون هذا الأصل على غير مراده وحدوده ومنهجه، فاختلفت الموازين والأحكام بين الناس، ولذلك تضمن هذا الفصل حدوداً وضوابط منهجية لفهم الأخلاق وتطبيقها.

كما أنه يتحتم الأخذ بأسس التربية الخُلُقية حتى يحصل المراد المطلوب.

ملخص:

تناولنا في هذا الفصل تعريف الأخلاق في اللغة والقرآن والحديث وفي مصطلح العلماء، وتبين أن الأخلاق منها فطري، ومنها مكتسب، وإن مصطلح «الأخلاق» يُطلق على الأخلاق الحميدة والأخلاق الذميمة، وتبين اتفاق مدلول الأخلاق في اللغة والقرآن والحديث وفي الاصطلاح.

واستخلصنا بعد ذلك أن الأخلاق الحميدة هي: كل صفة حسنة يتصف بها الإنسان بنية خالصة لله تعالى ووفق منهجه.

وأن الأخلاق الذميمة هي كل صفة على غير منهج الله تعالى أو بنية غير خالصة لله تعالى.

وأما السلوك الخلقي فهو كل صفة اتصف بها الإنسان في نفسه أو مع غيره، وأصبحت من سجاياه، وسواء كانت فطرية أو مكتسبة، وحميدة أو ذميمة.

أما جانب أسس الأخلاق الإسلامية، فقد تبين أن الأخلاق الفاضلة في ميزان الإسلام لا تكتسب قيمتها الخلقية إلا إذا اتصفت بإخلاص النية لله وكانت في إطار المنهج الإسلامي، وتبين أن من أسس الأأخلاق الإسلامية التي تقوم عليها أنها إلزامية، أي ملزمة لكل مسلم بأن يتصف بها، وأنها سهلة وميسرة متوافقة مع فطرة الإنسان، وليس فيها تكليف فوق طاقة الإنسان وقدراته.

وتبين أن الأخلاق الإسلامية تضم في دائرتها جميع الفضائل ا لخلقية كالحياء والصبر والصدق والرفق والرحمة والأمانة، كما أنها توضح أدب العبد مع ربه ﷻ ومع نبيه ﷺ ومع سائر المجتمع.

وبهذا يتضح أن مفهوم الأخلاق الإسلامية شامل لكل مجالات الحياة وعلاقات الإنسان، وأن الأخلاق الإسلامية هي المنهج الأصلح الذي يُحقق السعادة الدنيوية والأخروية للمجتمعات، وأن سبب الانحلالات الخلقية في المجتمعات وتعثر العلاقات بين الناس والتفكك الاجتماعي والفوضى الاجتماعية ما هي إلا نتيجة بعد المجتمعات عن منهج التربية الإسلامية.

الفَصْل الثّاني:

مَسَاوئ الأخْلاق

المبحث الأول: تعريف المساوئ الخلقية وأصولها وضوابطها.

المبحث الثاني: أنواع المساوئ الخلقية.

المبحث الثالث: أسباب الانحرافات الخلقية.

المبحث الرابع: مسؤوليات الانحرافات السلوكية.

المبحث الخامس: المنهج العلاجي لمساوئ الأخلاق.

تمهيد:

فلقد جاءت بعثة النبي محمد ﷺ على حين فترة من الرُّسل، فكانت رحمةً للعالمين، أنار الله تعالى بها ظلام الجهل وانحراف الاعتقاد، وبدد بها مساوئ الأخلاق التي كانت تئن منها الجاهلية، حيث انتشر بينهم شرب الخمر، والربا، والميسر، والكهانة، والطِّيَرة، والاستقسام بالأزلام، والطواف بالكعبة عراة، والعصبية القبلية، والأخذ بالثأر، ووأد البنات خشية العار، وقتل الأولاد مخافة الفقر، والتبرج، والتفاخر بالأنساب.

وبهذا الدين القويم ارتفع شأن من دخل فيه، وأصبحت الريادة والسيادة لهم في كل أمر وشأن، فوصل أصحاب رسول الله ﷺ إلى أعلى درجات الفضائل الخُلُقية، من: صدق، وعدل، وأمانة، ومحبة، ووفاء، وكرم، وشجاعة، وإخلاص، ومتابعة لدين الله تعالى؛ حتى نزلت فيهم آيات تتلى إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

قال تعالى في وصف أخلاقهم: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟

ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنۡهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمَۢا ﴾[1].

وقال تعالى في وصف نزاهة نفوسهم عن الأنانية والأثرة ومحبتهم للإيثار الذي هو من أعلى درجات السلوك الأخلاقي: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلۡإِيمَٰنَ مِن قَبۡلِهِمۡ يُحِبُّونَ مَنۡ هَاجَرَ إِلَيۡهِمۡ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمۡ حَاجَةٗ مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤۡثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ وَلَوۡ كَانَ بِهِمۡ خَصَاصَةٞ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴾[2].

وقال تعالى في مدحهم: ﴿لَّقَدۡ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ يُبَايِعُونَكَ تَحۡتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمۡ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيۡهِمۡ وَأَثَٰبَهُمۡ فَتۡحٗا قَرِيبٗا ﴾[3].

ولقد تألق ذلك الصحب الكرام في أخلاقهم إلى درجة أن المذنب لا يراه أحد إلا الله تعالى، فيأتي مستشعراً بعظم ذنبه، فيقول: يا رسول الله زنيت، وتقول أخرى: يا رسول الله، زنيت طهرني، ويقول آخر: يا رسول الله سرقت.

وبهذا الالتزام الديني سادوا العالم، وفتحوا بلاداً مغلقة، كانوا بها جاهلين، وحطموا قياصرة كانوا منهم وجلين خائفين، فأصبحت رايتهم خفاقة عالية بهذا الالتزام الشرعي.

وعندما دخل الانحراف المجتمعات الإسلامية، وانتشرت المساوئ السلوكية

(١) سورة الفتح:٢٩.

(٢) سورة الحشر:٩.

(٣) سورة الفتح: ١٨.

دب إليها الوهن والضعف، حيث انتشر التبرج والربا وشرب الخمور والمسكرات وغيرها من مساوئ الأخلاق ومنكراتها، فوهنت الأمة وتكالبت عليها الأمم، وجثا على أراضيها الاستعمار، وتمزقت علاقاتها؛ بسبب انحرافها عن دين ربها القويم.

والانحرافات السلوكية لها آثار وخيمة على الفرد، وتمتد إلى الأمة في أساسها الديني، وبنيتها الاقتصادية، وقوتها العسكرية، وترابطها الاجتماعي، وقوتها الصحية والنفسية التي سيوضحها هذا الكتاب - بإذن الله تعالى - والذي نستجلي فيه بتوفيقه وامتنانه الانحرافات السلوكية والتوجيهات التربوية العلاجية والمسؤوليات التربوية الملقاة على عاتق المجتمع والأسرة والدولة وغيرها من الجهات ذات العلاقة.

المبحث الأول:
تعريف المساوئ الخلقية وأصولها وضوابطها

أولاً: تعريف المساوئ الخلقية:

السوء: الفجور والمنكر. و**السيئة**: الخطيئة. والسَّوْأَةُ، والسَّوْآءُ: الخلّة القبيحة، وكل كلمة قبيحة أو فَعْلة قبيحة فهي سوآء[1].

الأخلاق: هي أوصاف الإنسان التي يعامل بها غيره، وهي محمودة ومذمومة[2].

وهي: لصورة الإنسان الباطنة بمنزلة الخَلْق لصورته الظاهرة، وهي: نفسه وأوصافها ومعانيها المختصة بها، ولها أوصاف حسنة وقبيحة[3].

أي أن الأخلاق: هي كل ما يتصف به الإنسان من أوصاف حميدة أو ذميمة، وهي تمثل الصورة الباطنة للإنسان، كخلقته الظاهرة.

ويمكن تعريف المساوئ الخُلُقية بأنها: كل صفة سلوكية قبيحة قولية أو فعلية أو اعتقادية.

---

(١) ابن منظور، لسان العرب (١/٩٦-٩٧).

(٢) ابن حجر، فتح الباري (١٠/٤٥٦).

(٣) ابن مفلح، الآداب الشرعية (٢/٢٠٥).

فمن المساوئ الخلقية: ما يكون فعلاً بالجوارح كاليد والأذن والعين، ونحو ذلك، ومنها ما يكون قولاً باللسان أو البنان، ومنها ما يكون اعتقاداً بالجنان، كمن يبغض بقلبه شيئاً من شرائع الدين، أو يتمنى أن يزول شيئاً من شرائعه، أو أن تحل الرذيلة، وينتشر الفساد، أو يبغض بقلبه أحداً من الصحابة، أو يعتقد في أحد أنه يضر أو ينفع من دون الله ﷻ.

ثانيا: أصول المساوئ الخلقية

تعددت آراء العلماء في تعيين أصول الأخلاق الذميمة. فيرى ابن قيم الجوزية أنها تقوم على أربع: الجهل والظلم، والشهوات، والغضب [1].

ويشير ابن حزم إلى أن أصول المساوئ الخلقية التي تتركب منها كل رذيلة هي أربع: الجور، والجهل، والجبن، والشح [2].

والمتأمل: يجد أن الأصول التي تتولّد منها المساوئ الخُلُقية: الجهل، والشهوات، والغضب. فالجهل: وراء ارتكاب الانحرافات الخلقية.

فالجاهل يرى من خلال جهله الحسن في صورة القبيح، والقبيح في صورة الحسن، والكمال نقصاً، والنقص كمالاً [3].

---

(١) ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين، ص (٣٢١/٢).

(٢) ابن حزم، الأخلاق والسير، ص (٥٩٠)

(٣) ابن الجوزية، مدارج السالكين (٣٢١/٢).

والشهوات التي أسميناها القوة الطلبية تأتي منها المعاصي الطلبية: كالزنا والغش والسُّكر والتعالي ونحو ذلك .

والغضب الذي أسميناها القوة الدافعة، تأتي منه المعاصي الدفاعية: كالضرب، والقتل، واللعن، والظلم، ونحو ذلك.

قال الليث: عن مجاهد: والشهوة والغضب مبدأ السيئات [1].

وبيان ذلك فيما يلي:

١ - الجهل:

هو نقيض العلم، ومنه الجَهَالة وهي أن تفعل فعلاً بغير علم[2].

ولا ينحصر الجهل في عدم العلم بالمصالح والمفاسد، بل يتعداه إلى رد العمل بالعلم والأخذ بضده، وهذا ضرب من ضروب الجهل؛ لأن أقوام بعض الأنبياء وُصِفُوا بالجهل لإنكارهم دعوة أنبيائهم بعد تبليغهم لهم وعلمهم لها وبصدق من أرسل بها.

قال نوح عليه السلام لقومه كما جاء في قول تعالى : ﴿وَيَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ۚ إِنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ وَلَٰكِنِّىٓ

(١) ابن تيمية، الإيمان (٢٩).

(٢) ابن منظور، لسان العرب (١١/١٢٩-١٣٠).

أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ﴾[1]. ومن ذلك قول لوط عليه السلام لقومه كما جاء في قوله تعالى: ﴿أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾[2].

فعدم قبولهم للحق، وَرَدِّه، واتباعهم منكرات الأخلاق، جعلهم يستحقون هذا الوصف الذميم وهو الجهل.

والجهل من أشد عوامل الانحراف السلوكي؛ لأن الجاهل بمرتبة الفضيلة وفضلها يهجرها لاستثقاله لها، ويتلذذ بالرذيلة السلوكية التي تعقبها آلام وحسرات لاستخفافها عليه وتزيين الشيطان له.

فمن كان جاهلاً استسهل السهل لسهولته وإن كان فيه هلكته، واستثقل الثقيل لثقله على نفسه وإن كان فيه فوزه ونجاته في حياته ومعاده، فتجد من يستسهل الزنا لإشباع غريزته، ويستهون قتل النفس المؤمنة لإطفاء غليان غضبه، وينبهر بعادات الغرب وحضارته فيقتدي بهم ويقتفي أثرهم دونما إمعان في مغبة حالهم وما هم فيه من تمزق أخلاقي وأسري واجتماعي.

ولذلك لا شيء أفضل لاستئصال الانحرافات السلوكية من علم الشريعة. وإلى هذا المعنى أشار ابن حزم بقوله: فنعمة العلم في استعمال الفضائل عظيمة، وهو أنه يعلم حسن الفضائل فيأتيها، ويعلم قبح الرذائل فيجتنبها، ويسمع الثناء

(١) سورة هود: ٢٩.

(٢) سورة النمل:٥٥.

الحسن فيرغب في مثله، والثناء الردئ فينفر منه، فعلى هذه المقدمات يجب أن يكون للعلم حصة في كل فضيلة، وللجهل حصة في كل رذيلة [1].

٢ – القوة الطلبية:

ويقصد بالقوة الطلبية: القوة الجاذبة، وهي تشتمل على الهوى والشهوات.

والهوى: هو ميل النفس إلى الشهوة، وسمي بذلك؛ لأنه يهوي بصاحبه في الدنيا إلى كل داهية وفي الآخرة إلى الهاوية [2].

والهوى: أصل من أصول الرذائل السلوكية «فهو عن الخير صاد، وللعقل مضاد؛ لأنه ينتج من الأخلاق قبائحها، ويظهر من الأفعال فضائحها، ويجعل ستر المروءة مهتوكاً، ومدخل الشر مسلوكاً»[3].

فالهوى قائد الإنسان إلى أوكار الرذائل، يسير به إلى حتفه وهلكته؛ لأن الهوى كما قال ابن الجوزي: يدعو إلى اللذة الحاضرة من غير ذكر في عاقبه، ويحث على نيل الشهوات عاجلاً وإن كانت سبباً للألم والأذى في العاجل، ومنع لذات في الآجل[4]. وأما من لم يتبع هواه فإنه ينهى نفسه عن لّذة يعقبها ألمٌ وشهوة

(١) الأخلاق والسيرة، ص رقم (٢٥).

(٢) الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ص (٥٤٨).

(٣) الماوردي، أدب الدنيا والدين، ص (١٩).

(٤) ابن الجوزي، ذم الهوى، ص (١٨).

تورث ندماً.

وقد ذم الله تعالى اتباع الهوى، وأثنى على من نهى نفسه عن الهوى ومن ذلك قوله تعالى : ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾[1]، وقال ﷻ: ﴿يَـٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَـٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ﴾[2]، وقال ﷻ: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا﴾[3]، وقال ﷻ: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٥٠﴾﴾[4].

وقال تعالى محذراً عن الهوى، ومبيناً أثره في عدم العدل: ﴿فَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُوا۟ ۚ﴾[5]، أي: فلا يحملنكم الهوى والعصبية وبغض الناس إليكم على ترك العدل في أموركم وشؤونكم، بل الزموا العدل على أي حال[6]. وهذا نهي وتحذير من الله تعالى عن اتباع الهوى؛ لأنه أصل للجور وعدم العدل.

---

(١) سورة النازعات: ٤٠-٤١.

(٢) سورة ص: ٢٦.

(٣) سورة الكهف: ٢٨.

(٤) سورة القصص: ٥٠.

(٥) سورة النساء: ١٣٥.

(٦) تفسير القرآن، العظيم لابن كثير (١/٥٧٨).

والعدل: أصل في كل فضيلة، والجور: أصل في كل رذيلة، فالذي يبخس الناس حقوقهم لم يعدل في حقهم، والذي يطفف في الميزان جَارَ ولم يعدل، والذي يزني ببنات الناس جَارَ عليهم ولم يعدل، والذي يكذب جَارَ على الناس ولم يخبرهم بالصدق.

وقد أثنى الله تعالى على من ضاد هواه ولم يتبعه، وجعل جزاه الجنة: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾﴾[1].

ونهي النفس عن الهوى ركن من أركان فضائل الأخلاق ودعائمها.

٣ – القوة الدافعة:

يقصد بالقوة الدافعة: القوة الغضبية التي تأتي منها المعاصي الدفاعية. والغضب: هو غليان دم القلب طلباً لدفع المؤذي عنه خشية وقوعه، أو طلباً للانتقام ممن حصل منه الأذى بعد وقوعه [2].

والإنسان مزود بطبيعة الغضب، إذ لو فقدها لتبلد الإحساس، ولأصبح لا تثيره نخوة لدينه وعرضه، ولفسدت شجاعته وأصبحت جبناً، فهو سلاح ذو حدين. قال ابن قيم الجوزية: فللغضب حد: هو الشجاعة المحمودة والأنفة

(١) سورة النازعات: ٤٠-٤١.

(٢) ابن رجب، جامع العلوم والحكم (١٣٨).

من الرذائل والنقائص، وهذا كماله، فإذا جاوز حده تعدى صاحبه وجار، وإن نقص عنه جبن ولم يأنف من الرذائل[1].

ولكن هذه القوة الغضبية تكون أصلاً للمساوئ الخُلُقية إذا تجاوز بها المرء الحدود المعتبرة، فيطفو الغاضب عن مكياله فتنتفخ أوداجه، فيزبد ويرعد، فلا يملك نفسه، فتخرج البذاءة من لسانه، وتنطلق يده في غير موضعها الصحيح، ويجور في حكمه نتيجة غضبه، فيتكلم بما لا يعقل ولا يريد في حالة صحوته، ويفعل ما يندم عليه في حالة رضاه. فهو: أصل للقتل، وأصل للسبّ واللعن والشتم والضرب ولكل فعل أو قول خبيث.

فالغضب من القوى التي تحمل الإنسان على الكبر والحقد والحسد والعدوان والسفه[2] وكلها من مساوئ الأخلاق، وقد جاء في الحديث: (أن رجلاً قال للنبي ﷺ: أوصني، قال: لا تغضب. فردد مراراً، قال: لا تغضب) [3].

وقال عليه الصلاة والسلام: (ليس الشديد بالصُّرعة، إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب)[4]. وقال علي بن أبي طالب ﷺ: وحَدُّ الحلم ضبط

(١) الفوائد، ص (١٥٦).

(٢) مدارج السالكين (٢/٣٢٢).

(٣) البخاري (٤/١١٢) برقم (٦١١٦).

(٤) البخاري (٤/١١٢) برقم (٦١١٤)، ومسلم (٤/٢٠١٤) برقم (١٠٧-٢٦٠٩).

النفس عن هيجان الغضب[1].

ثالثاً: ضوابط المساوئ الخلقية

الضابط: هو ما يحزم الشيء ويطوقه ويجعله رهين قيوده[2]. وأما ضوابط المساوئ الخُلُقية؛ فالمقصود بها: مقيدات ومحددات السلوك المنحرف.

فإذا أخلّ الإنسان في سلوكه بهذه الضوابط مجتمعة، أو منفردة أصبح سلوكه منحرفاً، حتى وإن كان ظاهر السلوك محموداً، كما يتضح من الضوابط الآتية:

أولاً: الضابط المنهجي:

يقصد به موافقة السلوك الأخلاقي لمنهج الكتاب والسنة. فالأصل في الضابط الأخلاقي المحمود الالتزام السلوكي بالفضائل الخُلُقية وفق ما جاء بها الإسلام، وأصل الضابط للمساوئ الخلقية، مخالفة الالتزام بالفضائل الخُلُقية والإتيان بأضدادها. أي هو ارتكاب أضداد الفضائل الخُلُقية، أو مجاوزة الحد فيها، أو القصور عنها. وتفصيل ذلك فيما يلي:

١ - ارتكاب أضداد الفضائل الخلقية، وهو على الإجمال: بذل الأذى لا كفه، ومنع الندى لا بذله، والرد على الأذى لا احتماله، وعبوس الوجه لا

(١) الماوردي، أدب الدنيا والدين، ص (٢٥٢).

(٢) خالد الحازمي، من أهداف التربية الإسلامية، ص (٤٢).

طلاقته. وعلى التفصيل: الكذب بدل الصدق، والخيانة بدل الأمانة، والعقوق بدل البر، والجزع بدل الصبر، والزنا بدل التعفف، ونحو ذلك.

٢ - مجاوزة الحد في الفضائل الخُلُقية، أو القصور عنها يجعلها من المساوئ الخُلُقية كالإكرام -مثلاً-: فإن أسرف فيما ينبغي تقديمه، تجاوز به الحد، وهذا مذموم، وإن قصر عن حد الكرم صار بخلاً. قال الماوردي: فإذا كانت لمحاسن الأخلاق حدود مقدرة ومواضع مستحقة، فإن تجاوز بها الحد صار ملقاً، وإن عدل بها عن مواضعها صارت نفاقاً، والملق ذل، والنفاق لؤم [(١)].

وخلاصة الضابط المنهجي: هو متابعة منهج المصطفى ﷺ بلا زيادة ولا نقصان، فما نقص المصطفى ﷺ في خُلُق، بل أتى بتمام مكارم الأخلاق على الوجه الذي كُلِّف به من ربه ﷻ، حتى وصفه الله تعالى بأتم وصف وأكمله؛ فقال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[(٢)].

وقد أمر الله تعالى: بمتابعة منهج النبي ﷺ فقال: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾[(٣)]، وقال ﷺ في

(١) الماوردي، أدب الدنيا والدين، ص (٢٤٣).

(٢) سورة القلم: ٤.

(٣) سورة الحشر: ٧.

وجوب اتباع منهجه: (من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد)[1]، وقال عليه الصلاة والسلام: (من أحدث في أمرنا هذا ما ليس فيه فهو رد) [2].

ثانياً: الضابط الأخلاقي:

فحتى يحظى العمل الموافق في ظاهره لمنهج المصطفى ﷺ بالقبول، ويبتعد عن دائرة مساوئ الأخلاق، فلابد أن يكون الباعث إليه الطاعة لله تعالى بإخلاص النية له سبحانه وتعالى، وليس لأسباب فاسدة، تُدْخِلُهَا في مساوئ الأخلاق؛ لأن المرء قد يعمل العمل من الفضائل الخُلُقية، ولكن ليقال: فلان مجاهد، وفلان عالم، وفلان محسن، فيفسد هذا العمل ويعتبر من مساوئ الأخلاق. قال ﷺ: (أول الناس يقضى يوم القيامة عليه، رجل استشهد فأتى به، فعرفه نعمه فعرفها، قال فما عملت فيها؟ قال: قاتلت فيك حتى استشهدت، قال: كذبت، ولكنك قاتلت لأن يقال: جرئ فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار، ورجل تعلم العلم وعلمه وقرأ القرآن، فأتى به فعرفه نعمه فعرفها. قال فما عملت فيها؟ قال: تعلمت العلم وعلمته، وقرأت فيك القرآن. قال: كذبت، ولكنك تعلمت العلم ليقال: عالم، وقرأت القرآن ليقال: هو قارئ،

(١) مسلم (٣/١٣٤٣-١٣٤٤) برقم (١٨-١٧١٨).

(٢) البخاري برقم (٢٦٩٧) (٢/٢٦٧) ومسلم (٣/١٣٤٣) برقم (١٧/١٧١٨). واللفظ للبخاري.

فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار، ورجل وسّع الله عليه وأعطاه من أصناف المال كله، فأتى به فعرفه نعمه فعرفها. قال فما عملت فيها؟ قال: ما تركت من سبيل تحب أن ينفق فيها إلا أنفقت فيها لك. قال كذبت، ولكنك فعلت ليقال هو جواد فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه، ثم ألقي في النار)[1].

فلابد مع المتابعة لمنهج المصطفى ﷺ من إخلاص النية. لقوله عليه الصلاة والسلام: (إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله، فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها، أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه)[2].

(١) صحيح مسلم (٣/١٥١٣-١٥١٤) برقم (١٥٢-١٩٠٥).

(٢) البخاري (١/١٣) برقم (١،٥٤،٢٥٢٩) ومسلم (٣/١٥١٥) برقم (١٥٥-١٩٠٧).واللفظ للبخاري.

المبحث الثاني
أنواع المساوئ الخلقية

تتعدد المساوئ الخُلُقية وتتنوع بحسب نوعها، وبحسب مصادرها وفداحتها، وعقوبتها. ولكثرتها فإنه يصعب أن يلم بها سِفْرٌ واحد، ولذلك فإنه من المناسب في هذا المقام ومع هذا الكتاب أن تؤخذ نماذج منها وفق القيم التالية، وبحسب مصادرها، والتي هي:

- المساوئ اللفظية.
- المساوئ السمعية والبصرية.
- المساوئ العملية الفعلية.
- المساوئ القلبية.

أولاً: المساوئ اللفظية:

ويقصد بها المساوئ التي ينطق ويتلفظ بها اللسان الذي قال عنه ﷺ: (إن العبد ليتكلم بالكلمة ما يتبين فيها، يزل بها في النار أبعد مما بين المشرق)[1]. وقالﷺ: (وهل يكب الناس في النار على وجوههم أو على مناخرهم إلا حصائد

(١) البخاري (١٨٧/٤) برقم (٦٤٧٧).

ألسنتهم)[1].

فكل كلمة يتلفظ بها المرء تكتب له أو عليه، قال تعالى: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾[2]. وآفات اللسان اللفظية كثيرة من أبرزها ما يأتي:

الغيْبة

مفهوم الغيبة

الدلالة اللفظية للغيبة:

المعنى اللغوي:

أن يذكر الإنسان غيره بما فيه من عيب من غير أن أُحْوجَ إلى ذكره[3].

المعنى الاصطلاحي :

لقد وضحت السنة النبوية المعنى الشرعي، للغيبة كما جاء في الحديث النبوي: (أتدرون ما الغيبة؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: ذكرك أخاك بما يكره، قيل أفرأيت إن كان في أخي ما أقول؟ قال: إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته، وإن لم يكن فيه فقد بهته)[4].

---

(١) الترمذي (١٥/٥) برقم (٢٦١٦)، وأحمد في المسند (٢٣١/٥)، حديث صحيح، صحيح الجامع الصغير وزيادته (٩١٣/٢)، برقم (٥١٣٦-١٦٤٣).

(٢) سورة ق: ١٨.

(٣) الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ص (٣٦٧).

(٤) مسلم (٢٠٠١/٤) برقم (٢٥٨٩/٧٠).

والغيبة تعني: ذكر المرء بما يكره، سواء كان في بدن الشخص أو دينه أو دنياه أو نفسه أو خُلُقه أو ماله أو ولده أو زوجته أو خادمه، أو حركته أو طلاقته أو عبوسته أو غير ذلك مما يتعلق به ذكر سوء، سواءً ذكر باللفظ أو بالرمز أو بالإشارة[1].

بواعث الغيبة:

١ - قد يكون سبب الغيبة كره المغتاب وبغضه، وفي اغتيابه تشّفٍ منه وتفريغ لشحنات الكره التي تفور وتغلي بداخله، ويقصد باغتيابه تحطيم شخصيته ومكانته بين الناس، وإنزالها إلى درجات أدنى، وقد أشار إلى ذلك الغزالي -رحمه الله- بقوله: فالأول أن يشفي الغيظ، وذلك إذا جرى سبب غضب به عليه، فإنه إذا هاج غضبه يشتفي بذكر مساوئه، فيسبق اللسان إليه بالطبع إن لم يكن ثم دين وازع[2].

٢ - وقد يكون سبب الغيبة مجاراة الجلساء من الأصحاب والرفقاء بغية اكتساب ودهم واستبعاداً لكرهه واستثقاله،قال صاحب الإحياء في معرض تعداده لأسباب الغيبة: موافقة الأقران، ومجاملة الرفقاء ومساعدتهم على الكلام، فإنه إذا كانوا يتفكهون بذكر الأعراض فيرى أنه

(١) الصنعاني، سبل السلام (١٥٨٣/٤).

(٢) الغزالي، إحياء علوم الدين (١٤٠/٣).

لو أنكر عليهم أو قطع المجلس استثقلوه ونظروا عنه، فيساعدهم ويرى ذلك من حسن المعاشرة[1].

٣ - أن يكون الهدف من الغيبة، أن يرفع نفسه بتنقيص غيره، فيقول: فلان جاهل أوفهمه ركيك وكلامه ضعيف[2].

آفات الغيبة:

١ - أن من يغتاب قد ارتكب فعلاً محرماً، حتى أن الشارع شبه صاحبها بمن يأكل لحم أخيه ميتاً. قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾[3].

قال الزجاج: وبيانه أن ذكرك بسوءٍ مَنْ لم يحضر، بمنزلة أكل لحمه وهو ميت لا يحس بذلك. قال أبو يعلى: وهذا تأكيد لتحريم الغيبة؛ لأن أكل لحم المسلم محظور؛ ولأن النفوس تعافه من طريق الطبع، فينبغي أن تكون الغيبة بمن-زلته في الكراهة[4].

---

(١) المصدر السابق.

(٢) المصدر السابق (١٤١/٣٠).

(٣) سورة الحجرات: ١٢.

(٤) ابن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير (١٨٥/٧).

٢ - أن عذاب الغيبة أليم، ووقعه شديد، وقد وصفه لنا رسول الله ﷺ بقوله: (لما عُرج بي مررت بقوم لهم أظافر من نحاس يخمشون وجوههم وصدروهم فقلت: من هؤلاء يا جبريل؟ فقال هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون في أعراضهم)[1].

٣ - أن صفة الغيبة ليست من شعار المؤمنين. قال ﷺ: (يا معشر من آمن بلسانه ولم يدخل الإيمان قلبه، لا تغتابوا المسلمين، ولا تتبعوا عوراتهم، فإنه من اتبع عوراتهم، يتبع الله عوراته، ومن يتبع الله عورته يفضحه في بيته)[2].

التوجيهات التربوية العلاجية

من التوجيهات التربوية العلاجية لآفة الغيبة:

١ - أن يستشعر الذي يغتاب الناس عذاب الله وشدته وآلامه، وعدم قدرته على تحمل ذلك، وأن الغيبة تجلب سخط الله تعالى.

٢ - أن يستشعر ويتصور قبحها ومردودها عليه عندما ينوي اغتياب شخص، ويتذكر أن صاحبها كمن يأكل لحم أخيه وهو ميت، والإنسان

(١) أبو داود (١٩٤/٥) برقم (٤٨٩٠) قال الألباني: صحيح، صحيح سنن أبي داود برقم (٤٠٨٢-٤٨٧٨).

(٢) أبو داود (١٩٤/٥-١٩٥) برقم (٤٨٨٠) قال الألباني صحيح، في صحيح الجامع الصغير (١٣٢٣/٢) برقم(٧٩٨٥) وقال: حسن صحيح، في صحيح سنن أبي داود برقم (٤٠٨٣-٤٨٨).

بطبعه يجفل من أكل لحم الإنسان الحي فكيف بالميت.

٣ - أن يتجنب صحبة السوء التي تَنْشَطُ وتتلذذ باغتياب الناس، ويستبدلهم بالأخيار الذين يُعينونه على إقامة دينه.

٤ - أن يتذكر أن من صفات المسلم أن يسلم المسلمون من لسانه ويده، وأن يهجر ما نهى الله عنه، كما جاء في الحديث عن رسول الله ﷺ أنه قال: (المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه)[1].

٥ - أن يعلم علم اليقين أن ثناء الناس عليه، وذم من يكرهه أو ينافسه لن ينفعه بشيء -إن لم يكتبه الله له-، ولن يرفعه من مكان إلى مكان، وإنما يجلب له ذلك كره الناس ومقتهم له؛ لأنهم يدركون أن هذا الشخص سيغتابهم مثل ما اغتاب غيرهم، وقد يُذكر ذلك للآخرين فيفشي أمره فيحذره الناس، ويوجفون منه خيفة، ويشيرون إليه بما فيه من صفات النفاق.

٦ - أن يعمل الآباء والمربون في المنزل والمدارس وسائر المؤسسات الاجتماعية على التخلق بالأخلاق الإسلامية، ومعاتبة من يغتاب الناس، وعدم

(١) البخاري (١/٢٠-٢١) برقم (١٠) واللفظ له، ومسلم (١/٦٥) برقم (٤١/٦٥).

السماع منهم، وإظهار الضجر، وقبح الجرم وفداحته، قال ﷺ: (من رد عن عرض أخيه رد الله عن وجهه النار يوم القيامة)[1].

النّمِيمَة

الدلالة اللفظية للنميمة

المعنى اللغوية:

هي الوشاية، قال تعالى: ﴿هَمَّازٍ مَّشَّآءٍۭ بِنَمِيمٍ﴾[2]، وأصل النميمة: الهمس والحركة الخفية [3].

المعنى الاصطلاحي:

والنميمة: هي السعي بين الناس بالإفساد، لتحريض الناس بعضهم على بعض، والإيقاع بهم، وشحن قلوبهم بالعداء والضغينة[4].

قال العلماء: النميمة: نقل كلام الناس بعضهم إلى بعض على جهة الإفساد بينهم[5].

(١) الترمذي (٤/٢٨٨) "برقم (١٩٣١) وقال أبو عيسى هذا حديث حسن، ورواه أحمد (٦/٤٥٠) وقال الألباني: صحيح، صحيح سنن الترمذي رقم (١٥٧٥-٢٠١٣).
(٢) سورة القلم: آية رقم (١١).
(٣) الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ص(٥٠٦).
(٤) عبد الرحمن حبنكه الميداني، الأخلاق الإسلامية وأسسها (٢/٢٤٦-٢٤٧).
(٥) النووي، صحيح مسلم بشرح النووي (٢/١١٢).

فالنميمة من فساد الخلق وخساسة النفس؛ لأنها مصدر الفرقة بعد الألفة والبغضاء بعد المحبة، والعدواة بعد المسالمة، فبها تقطع العلاقات وتمزق أواصر المحبة، وتجلب لصاحبها العناء وكره الناس له.

بواعث النميمة:

١ - قد تكون بواعث النميمة الحسد، كأن يحسد النمام صداقة صديقين فيعمد إلى إفسادها بالسعي بينهما بالنميمة، لزرع الشكوك بينهما، ومن ثم الإيقاع بينهما.

٢ - وقد يكون الباعث عليها لآمة الطبع، وانحطاط النفس، وحب هتك الأستار، وإفشاء الأسرار، وهي: من أكره الخلال الذميمة، تدل على نفس سقيمة، وطبيعة لئيمة، مشفوقة بهتك الأستار وإفشاء الأسرار وإدخال الأضرار[١].

آفات النميمة:

١ - أن الرسول ﷺ قال في النمام: (لا يدخل الجنة نمام) [٢]، قال النووي في معناه:

(١) أحمد محمد جاد المولى، الخلق الكامل (٤/٤٣٦).
(٢) مسلم (١١/١٠١) برقم (١٠٥/١٦٨).

أحدهما: يُحمل على المستحل بغير تأويل مع العلم بالتحريم.

والثاني: لا يدخلها دخول الفائزين والله أعلم [1].

٢ - أنه لا يستريح من عذاب القبر، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (مر النبي ﷺ على قبرين فقال: إنهما ليعذبان، وما يعذبان في كبير، ثم قال: بلى أما أحدهما فكان يسعى بالنميمة، وأما أحدهما فكان لا يستتر من بوله، قال: ثم أخذ عوداً رطباً فكسره باثنتين، ثم غرز كل واحد على قبر، ثم قال لعله يُخففُ عنهما ما لم ييبسا)[2].

٣ - وصف صاحبها بأبشع الصور، بأنه من شرار الناس، وأنه ذو وجهين يأتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه، قال ﷺ: (وتجدون شر الناس ذا الوجهين الذي يأتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه)[3].

قال القرطبي: إنما كان ذو الوجهين شر الناس؛ لأن حاله حال المنافق؛ إذ هو متملق بالباطل وبالكذب، مدخل الفساد بين الناس. وقال النووي: هو الذي يأتي كل طائفة بما يرضيها، فيظهر لها أنه منها ومخالف لضدها، وصنيعه نفاق، ومحض كذب وخداع وتحيل على الإطلاع على أسرار

(١) النووي، صحيح مسلم بشرح النووي (١١٣/٢).

(٢) البخاري (٤٢٣/١) برقم (١٣٧٨).

(٣) البخاري (٥٠٣/٢) برقم (٣٤٩٤)، ومسلم (٢٠١١/٤) برقم (٢٥٢٦/١٠٠).

الطائفتين[1].

٤ - كما أنها أداة لإنفصام الروابط الاجتماعية في الجماعات، وقطع صلة الأرحام في الأسر، وبين الأصدقاء، ونشر العداوة والبغضاء بين الناس.

٥ - إضافة لما لصاحبها من وعيد شديد أظهرتها وبينتها الأحاديث النبوية السالفة الذكر، فإنها تجعل الفرد منبوذاً في مجتمعه، مكروهاً بين رفاقه وأقرانه، ويتجنبه من هم على غير شاكلته.

واجبات من حُملت إليه النميمة، وهي ستة أمور[2]:

١ - أن لا يصدقه؛ لأن النمام فاسق.

٢ - أن ينهاه عن ذلك وينصحه ويقبح له فعله.

٣ - أن يبغضه في الله تعالى.

٤ - أن لا يظن بأخيه الغائب ظن السوء.

٥ - أن لا يحمله ما حكى له على التجسس والبحث عن ذلك.

٦ - أن لا يرضى لنفسه ما نهى النمام عنه، فلا يحكي نميمته عنه، فيقول: فلان حكى كذا فيصير به نماماً، ويكون آتياً ما نهى عنه.

---

(١) ابن حجر، فتح الباري (١/٤٧٥).

(٢) الغزالي ، أحياء علوم الدين (٣/١٤٩-١٥٠) النووي، صحيح مسلم بشرح النووي (٢/١١٣).

التوجيهات التربوية العلاجية

من التوجيهات التربوية العلاجية ما يأتي:

١ – أن يتذكر الإنسان حال النمام، وموقف التوجيهات الإسلامية منه، كأن يتخيل ما آل إليه النمام من العذاب في القبر، ويتذكر ما قاله ﷺ: (لا يدخل الجنة نمام) [(١)].

٢ – أن ينهاه من حُمِلَت إليه النميمة، وينصحه ويرشده، ويذكّره بالأحاديث النبوية، وما تؤدي إليه النميمة من الإفساد بين الناس.

٣ – أن يحب لأخيه المسلم ما يحب لنفسه، فيسأل نفسه هل يحب أن ينم عنه أحد؟ فكذلك الناس لا يرضون ذلك، قال ﷺ: (لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه)[(٢)].

٤ – أن يبرز دور المسجد والإعلام والمؤسسات التربوية المختلفة في إستئصال مضار النميمة على الفرد والمجتمع.

٥ – أن يتحلى بالصبر، وحبس جماح النفس عن النميمة واعتيادها.

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) البخاري (١/٢١) برقم (١٣)، ومسلم (١/٦٧) برقم (٥/٧١).

الكذب

مفهوم الكذب:

المعنى اللغوي:

الكذب: نقيض الصدق[1].

المعنى الاصطلاحي:

قال الصنعاني: الكذب ما خالف الواقع[2].

والكذب الإخبار عن الشيء بخلاف ما هو عليه[3].

بواعث الكذب:

إن الأسباب التي تؤدي إلى الكذب، وترمي بصاحبه في أحضان هلكته عديدة، ذكر بعضها الماوردي، ونقل عنه محمد أحمد جاد المولى[4]، فمن بواعث الكذب:

١ - أن يكذب المرء لجلب نفع متوهم، أو دفع ضرر متوقع؛ اغتراراً بخداع

(١) ابن منظور، لسان العرب (٧٠٤/١).

(٢) الصنعاني، سبل السلام (١٦٠٢/٤).

(٣) محمد أحمد جاد المولى، الخلق الكامل (٤٣٩/٤)، والماوردي، أدب الدنيا والدين، ص(٢٦٢).

(٤) الماوردي، أدب الدنيا والدين، ص (٢٦٣-٢٦٤)، محمد أحمد جاد المولى، الخلق الكامل (٤٤٠/٤-٤٤٢).

النفس الأمارة بالسوء، واستسلاماً للهوى، فيكون ذلك أبعد لما يرجو وأدنى مما يخشى.

٢ - وقد يكذب المرء ليكون مستعذباً وكلامه مستظرفاً عندما لا يجد في الصدق حديثاً مستظرفاً وكلاماً مستعذباً.

٣ - وقد يكذب للتشفي من عدوه والنكاية به، فيصفه بالقبائح وينسب إليه أقوالاً وأفعالاً هو منها برئ.

٤ - أن تكون دواعي الكذب قد ترادفت عليه حتى ألفها، فصار الكذب له عادة ونفسه إليه منقادة.

٥ - وقد يكذب المرء كذبة فتضطره إلى كذبات أخرى لمداراتها وسترها وعدم كشفها.

٦ - ولعل من أهم الأسباب نقص الدين والفهم الخاطئ للشرع، فذو الدين لا يجد لنفسه مبرراً للكذب.

٧ - وقد يكذب المرء بدافع حب العظمة، والظهور والبروز، فيكذب ليضع نفسه في مكانة عالية.

وهناك أسباب وبواعث أخرى على الكذب، فمن الناس من يكذب للتنشئة التي نشأ فيها، والأسلوب الذي تربى عليه، ولما يشاهده من أفراد أسرته ومجتمعه من استحسانهم للكذب، واستخدامه في تعاملهم مع أبنائهم وسائر الخَلْق،

فيستحسنه المتربي لتوهمه بأنه قد يدفع عنه الضرر ويجلب له النفع، وما حسب أنها تكتب عليه كذبة، «وفي نفس الوقت عودوه عن طريق الإيحاء والمحاكاة والقدوة السيئة على قبح العادات» [1].

ولذلك نهى الرسول ﷺ أن يكذب المرء على ابنه، فعن عبد الله بن عامر ﷺ قال: (أتانا رسول الله ﷺ في بيتنا وأنا صبي، قال فذهبت أخرج لألعب فقالت أمي: يا عبد الله تعال أعطك، فقال رسول الله ﷺ: ما أردت أن تعطيه؟ قالت: أعطيه تمراً، فقال رسول الله ﷺ: أما أنكِ لو لم تفعلي كتبت عليك كذبة) [2].

آفات الكذب:

١ - أنه من علامات النفاق؛ قال ﷺ: (آية المنافق ثلاثة: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا عاهد غدر)[3].

٢ - أن الكذب وسيلة وطريق يهدي إلى الفجور، والفجور يهدي إلى النار، كما قال ﷺ: (إن الكذب يهدي إلى الفجور وإن الفجور يهدي إلى النار ولا يزال الرجل يكذب حتى يكتب عند الله كذاباً)[4].

(١) عبد الله ناصح علوان، تربية الأولاد (١/ ١٧٤).

(٢) أحمد (٣/٤٤٧).

(٣) البخاري (١/٢٧) رقم (٣٣)، ومسلم (١/٧٨) برقم (١٠٧/٥٩).

(٤) البخاري (٤/١٠٩) برقم (٦٠٩٤) ومسلم (٤/٢٠١٢ -٢٠١٣) برقم (١٠٥/٦٠٧).

٣ - يجب للمرء كثرة الحديث والإخبار بكل ما يسمع، وقد نهى ﷺ عن ذلك فقال: (كفى بالمرء إثماً أن يحدث بكل ما سمع)[١].

٤ - أن الكذب أساس السيئات، ودلالة على فساد الأخبار، حيث إن الكلام الخبري هو المميز للإنسان، ومن ثم يصير الكاذب أسوأ حالاً من البهيمة[٢]، وهو أحد سبل الفساد في المجتمعات، وأن مشكلة العالم اليوم تبدأ من فقدان الصدق وانتشار الكذب: الكذب في الأقوال، والكذب في الأعمال، والكذب في النيات، والكذب في المظاهر[٣].

٥ - يؤدي إلى فساد العلاقات الاجتماعية في الأسرة، وجماعة العمل، وجماعة الأصدقاء وبين أفراد المجتمع كافة، بسبب الكذب الذي يثير الشك والريبة في صدق الأقوال والأفعال، فيؤدي إلى الزعزعة النفسية، والريبة فيمن يتعامل معهم، فتحدث الفجوة بين الناس.

---

(١) مسلم (١/١٠) برقم (٥/٥).

(٢) محمد عبد الله عفيفي، النظرية الخلقية عند ابن تيمية، ص(٥١٨).

(٣) مصطفى السباعي، أخلاقنا الاجتماعية، ص (٨٤) .

التوجيهات التربوية العلاجية

من التوجيهات التربوية لمعالجة الكذب، ما يأتي:

١ - أن يعلم الإنسان ويستشعر دائماً وجود ملكين يكتبان ما يصدر عنه من خير أو شر، وأن كل شيء محسوب عليه، قال تعالى: ﴿إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾[1].

٢ - أن يلتزم الآباء والمربون بالصدق في الحديث، والوفاء بالوعد مع أبنائهم، حتى لا يعتادوا الكذب وينشؤا عليه، وتقل ثقتهم في والديهم ومربيهم، من أساتذة وموجهين، وربما سلكوا ذلك المسلك في معاملاتهم اليومية مع إخوانهم وأقرانهم، فإذا كبروا على ذلك أصبح لهم سجية.

٣ - معرفة ثواب الصدق، فهو يهدي إلى البر، والبر يهدي إلى الجنة، وهذا حافز يحفز إلى التحلي بخلق الصدق في القول والعمل، وفي النيات وفي المظاهر، وقد قال ﷺ: (لا يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقاً)[2]، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ

(١) سورة ق: ١٧-١٨.
(٢) سبق تخريجه.

وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾[1].

كما أن الصدق من صفة الأنبياء، وقد امتدح الله تعالى إبراهيم عليه السلام ووصفه بالصدق. قال تعالى: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِبۡرَٰهِيمَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيًّا﴾[2].

٥ - أن تؤدي الأسرة والمؤسسات التربوية والاجتماعية المختلفة دورها في إيضاح وتبيان مضار الكذب على الفرد والمجتمع.

(١) سورة التوبة: ١١٩.

(٢) سورة مريم: ٤١.

اللَّعن والسّبّ

مفهوم اللعن والسب

اللّعن: الطرد والإبعاد على سبيل السخط، وذلك من الله تعالى في الآخرة عقوبة، وفي الدنيا انقطاع من قبول رحمته وتوفيقه، ومن الإنسان دعاء على غيره[1].

والسَّبُّ: الشتم: وهو مصدر سَبَّه يسُبُّه سبَّاً: شتمه [2].

والسب واللعن من الأخلاق السيئة التي يحاربها الإسلام ويمقتها ويحذر منها، لما تؤدي إليه من البغضاء والعداوة، وقد تؤدي بالمتسابين إلى التلاحم بالأيدي، وهو سلوك فاحش بذئ يمقته أصحاب الذوق السليم فضلاً عن حرمته، وهو من الأبواب المؤدية إلى الأذى والبهتان؛ لأن اللاعن أو الساب يؤذي المسبوب، والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴾[3].

بواعث اللعن:

١ – قد يكون سبب اللعن والسَّبِّ التشفي، وهو نابع من الكره الذي يحمله الساب للمسبوب، ولشدة كراهيته يصفه بأقبح الصفات وأشنعها، أو

(١) الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ص (٤٥١).

(٢) ابن منظور، لسان العرب (١/٤٥٥).

(٣) سورة الأحزاب: ٥٨.

يلعنه إما جاهلاً بالمعنى أو عارفاً به وبمدلوله، ويقصد بذلك إيذائه، وقد نوه الغزالي رحمه الله تعالى عن ذلك بقوله: والباعث على الفحش إما قصد الإيذاء، وإما الاعتياد الحاصل من مخالطة الفساق، وأهل الخبث واللؤم، ومن عاداتهم السبّ [1].

٢ - وقد يكون الباعث لذلك فوران الغضب ووصوله إلى درجة الغليان والهيجان فيتكلم الإنسان بحقد وكراهية دون أن يدرك عواقب ما يقول.

٣ - وقد يكون الباعث للسب واللعن الاعتياد الحاصل من مخالطة الفساق وأهل الخبث واللؤم، ومن عاداتهم السبَّ [2]. وهذه من الأخلاق السيئة التي غالباً ما تسمع من الصغار والكبار في الشوارع والأسواق وأماكن التجمعات.

من آفات اللعن:

١ - أن السباب يعتبر فسوقاً في حق الساب. فقد قال ﷺ: (سباب المسلم فسوق وقتاله كفر) [3]، وقال النووي معلقاً: «فسبّ المسلم بغير حق

(١) الغزالي، إحياء علوم الدين (١١٨/٣).

(٢) المصدر السابق (١١٨/٣).

(٣) البخاري (٩٩/٤) برقم (٦٠٤٤).

حرام بإجماع الأمة، وفاعله فاسق كما أخبر به النبي ﷺ»[1].

٢ - إن إثم اللعن عظيم وشناعته على لسان المسلم كبير، وقد قال ﷺ: (ولعن المؤمن كقتله)[2].فالحديث دل على تغليظ تحريم لعن المسلم. وهذا لا خلاف فيه. قال الإمام أبو حامد الغزالي وغيره: لا يجوز لعن أحد من المسلمين ولا الدواب، ولا فرق بين الفاسق وغيره، ولا يجوز لعن أعيان الكفار حياً أو ميتاً إلا من علمنا بالنص أنه مات كافراً كأبي لهب وأبي جهل وأشباههما.

ويجوز لعن طائفتهم كقولك: لعن الله الكفار، ولعن الله اليهود والنصارى وأما قوله ﷺ: (لعن المؤمن كقتله) فالظاهر أن المراد أنهما سواء في أصل التحريم، وإن كان القتل أغلظ، وهذا هو الذي اختاره الإمام عبد الله بن المازري، وقيل غير هذا مما ليس بظاهر [3].

٣ - لا يكون اللعانون شفعاء يوم القيامة حتى يشفع المؤمنون في إخوانهم الذين استوجبوا العذاب. قال ﷺ: (لا يكون اللعانون شفعاء ولا شهداء يوم القيامة) [4].

---

(١) النووي، صحيح مسلم بشرح النووي (٢/٥٤).

(٢) البخاري (٤/٩٩) برقم (٦٠٤٧) ، ومسلم (١/١٠٤) برقم (١٧٦-١١٠) وللفظ له.

(٣) صحيح مسلم، بشرح النووي (٢/١٢٥).

(٤) مسلم (٤/٢٠٠٦) برقم (٨٥-٢٥٩٨).

ومعنى الحديث: لا يشفعون يوم القيامة حتى يشفع المؤمنون في إخوانهم الذين استوجبوا النار، ولا شهداء، فيه ثلاثة أقوال [1]:

أ - أصحها وأشهرها: لا يكونون شهداء يوم القيامة على الأمم بتبليغ رسلهم إليهم الرسالات.

ب - لا يكونون شهداء في الدنيا، أي لا تقبل شهادتهم لفسقهم.

ج - لا يرزقون الشهادة، وهي القتل في سبيل الله.

٤ - ارتداد السب والشتم على الشاتم إذا لم يكن المسبوب مستحقاً لذلك. قال ﷺ (لا يرمي رجل رجلاً بالفسوق ولا يرميه بالكفر إلا ارتدت عليه إن لم يكن صاحبه كذلك) [2]. وقال ﷺ: (إن العبد إذا لعن شيئاً صُعدت اللعنة إلى السماء فتغلق أبواب السماء دونها ثم تهبط إلى الأرض فتغلق أبوابها دونها، ثم تأخذ يميناً وشمالاً فإذا لم تجد مساغاً رجعت إلى الذي لُعِنَ فإن كان لذلك أهلاً وإلا رجعت إلى قائلها) [3].

ولفداحة أمر اللعن وبذاءته فقد نُهي عن لعن الدواب وغيرها، وجاء في

---

(١) صحيح مسلم، بشرح النووي (١٤٩/١٦).

(٢) البخاري (٩٩/٤) برقم (٦٠٤٥).

(٣) أبو داود (٢١٠/٥-٢١١) برقم (٤٩٠٥) واللفظ له. وأحمد (٤٠٨/١) والحديث حُسن، سلسلة الأحاديث الصحيحة (٢٦٤/٣-٢٦٥) برقم (١٢٦٩) وأيضاً في صحيح سنن أبي داود، برقم (٤٠٩٩-٤٩٠٥).

تبويب صحيح مسلم "باب النهي عن لعن الدواب وغيرها"[1]. وذكر الحديث الذي رواه عمران بن حصين. قال: (بينما رسول الله ﷺ في بعض أسفاره، وامرأة من الأنصار على ناقة. فضجرت فلعنتها، فسمع ذلك رسول الله ﷺ. فقال: خذوا ما عليها ودعوها فإنها ملعونة، قال عمران: فكأني أراها الآن تمشي في الناس، ما يعرض لها أحد) [2].

التطبيقات التربوية العلاجية

من التطبيقات التربوية العلاجية لآفة اللعن:

١ - أن ينظر المرء إلى إثم اللعنة وعاقبتها، فإنها إن لم تجد مساغاً رجعت إلى قائلها، وكذلك عليه أن يتأمل ويتدبر أحاديث المصطفى ﷺ التي سبقت الإشارة إليها في هذا الموضوع.

٢ - أن يتأمل نهي رسول الله ﷺ عن لعن الدابة، وأنه أطلق ناقة المرأة التي لعنتها؛ لأنها أصبحت ملعونة. فمن باب أولى أن لا يلعن المسلم أخاه المسلم أو يشتمه.

٣ - أن ينظر ويتأمل في صفات السب واللعن، وخساستهما عند الفضلاء

(١) مسلم (٤/٢٠٠٤) برقم (٤٩٠٥).

(٢) مسلم (٤/٢٠٠٤) برقم (٨٠-٢٥٩٥).

والعقلاء من الناس، فإن تأملها أحس بقبحها وبذاءة لفظها، فاستقبحها، وتأفف أن يخرج ذلك من فيه.

٤ - أن ينظر الإنسان إلى السبب الباعث لهذا الشتم واللعن، فيعالجه بضده، فإن كان سببه الاعتياد، استبدله بضده، وإن كان من الرفاق استعاض عنهم بخير منهم.

٥ - أن يصلح الإنسان سريرته ونيته مع الناس، وأن لا يحمل لهم غيظاً ولا كيداً ولا حسداً، طالباً وراغباً في ثواب الله ورحمته؛ فذلك يعينه على عدم السب والشتم واللعن.

الألفاظ الشركية والبدعية

الشرك: شرك الإنسان في الدين ضربان:

الشرك الأكبر: وهو أن يجعل الإنسان لله نداً في ربوبيته، أو أولوهيته، أو في أسمائه وصفاته [(١)].

الشرك الأصغر: وهو الرياء، وفي الحديث (أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر، فَسُئل عنه، قال: الرياء) [(٢)].

البدعة: إيراد قول لم يستن قائلها وفاعلها فيه بالشريعة [(٣)].

ومن أمثلة ذلك ما يلي:

١ - الحلف بغير الله:

الحلف: هو القسم.

والحلف أو القسم يكون من الشخص على وجهين: إما بالله تعالى وبأسمائه وصفاته، وهذا لا شيء ولا محذور فيه. وحلف بغير الله تعالى، وفي هذا النوع قال

(١) محمد بن صالح العثيمين، القول المفيد على كتاب التوحيد (١/١٣٩).

(٢) أحمد (٣/٧).

(٣) الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ص (٣٩).

عليه الصلاة والسلام: (من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك) [1].

فدل الحديث على أن الحلف بغير الله شرك، وفيه دليل على خطورة الحلف بغير الله، كأن يحلف المرء بالنبي ﷺ أو بالشرف أو بالأنبياء؛ لأن القسم يدل على تعظيم المقسوم به، والتعظيم لله تعالى لا لغيره. فحري بالأمة المسلمة أن تربي أبناءها على ما يحب الله تعالى ويرضاه لا على ما يكره ويبغض.

٢ - قول ما شاء الله وشئت:

ومن المساوئ اللفظية أن يقول المسلم: ما شاء الله وشئت، فيعطف مشيئة المخلوق على مشيئة الخالق سبحانه وتعالى بحرف (الواو) ففي هذا شرك؛ لما جاء عن النبي ﷺ: (أن يهودياً أتى النبي ﷺ فقال: إنكم تنددون وإنكم تشركون تقولون: ما شاء الله وشئت، وتقولون والكعبة. وأمرهم النبي ﷺ إذا أرادوا أن يحلفوا أن يقولوا: ورب الكعبة، ويقولون: ما شاء الله ثم شئت) [2].

وفي الحديث عن عمرو بن شرحبيل عن عبد الله قال: (سألت النبي ﷺ أي الذنب أعظم عند الله؟ قال: أن تجعل لله نداً وهو خلقك) [3].

---

(١) الترمذي (٤/٩٣-٩٤) برقم (١٥٣٥) وأحمد (٢/٦٩).

(٢) النسائي (٧/٦) برقم (٣٧٧٣) وأحمد (٦/٣٧١) وصححه الألباني سلسلة الأحاديث الصحيحة برقم (١٣٦).

(٣) البخاري (٤/٤٠٩) برقم (٧٥٢٠).

ففي حديث عمرو دلالة على عظيم الشرك. وفي الحديث الأول دليل على أن قول ما شاء الله وشئت شرك، وللمرء أن يقول: ما شاء الله. وهو أولى وأفضل من قول ما شاء الله ثم شئت، والله أعلم.

٣ - الاستهزاء بكلام الله:

ومن أبغض المساوئ اللفظية إصدار الكلمات التي تحمل في طياتها الاستهزاء بكلام الله تعالى. قال ﷻ فيمن كان يستهزئ بآياته من المنافقين: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ ۚ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةًۢ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴾[1].

جاء في التفسير أن طائفة من المنافقين في غزوة تبوك قالوا طعناً في المسلمين وفي دينهم: ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء - يعنون النبي ﷺ وأصحابه - أرغب بطوناً وأكذب ألسنةً وأجبن عند اللقاء، ونحو ذلك. فجاءوا يعتذرون إلى النبي ﷺ ويقولون: (إنما كنا نخوض ونلعب) قال تعالى: ﴿قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴾.

فإن الاستهزاء بالله ورسوله: كفر مخرج عن الدين؛ لأن أصل الدين مبني

(١) سورة التوبة: ٦٥-٦٦.

على تعظيم الله وتعظيم دينه ورسوله، والاستهزاء بشيء من ذلك مناف لهذا الأصل ومناقض له أشد المناقضة[1].

فليحذر المسلم من الكلمة السيئة المستهزئة بكلام الله تعالى وبرسوله وبدينه سبحانه وتعالى.

٤ - سب الدهر:

إن سبّ ولعن وشتم الدهر من مساوئ الأخلاق. لِمَا جاء عن النبي ﷺ أنه قال: (قال الله ﷻ: يؤذيني ابن آدم يسبّ الدهر. وأنا الدهر، وأقلب الليل والنهار)[2] وفي رواية (لا تسبوا الدهر، فإن الله هو الدهر)[3].

والدهر: هو الزمن على أساس أنه فاعل للمصائب.

وأنا الدهر: أي أنا رب الدهر المتصرف به وبما يقع فيه.

فيخبرنا -سبحانه وتعالى- في هذا الحديث القدسي: أن ابن آدم قد يرتكب ما يكره الله تعالى ومن ذلك سبّ الدهر، ونسبة المصائب إليه؛ وذلك لأن الله تعالى هو مالك الدهر، والمتصرف به، وبما يقع فيه، فيكون سبّ الدهر سباً لمالكه. وفي الرواية

(١) ابن سعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (٢/٢٦١-٢٦٢).

(٢) مسلم (٤/١٧٦٢) برقم (٢٢٤٦).

(٣) المصدر السابق (٤/١٧٦٣) برقم (٢٢٤٦)

الثانية: ينهى النبي ﷺ عن سبّ الدهر مخبراً أن الله تعالى هو مالك الدهر والمتصرف به، وبما يقع فيه مؤكداً بذلك ما جاء في الحديث القدسي[1].

٤ - سبّ الرّيح:

لما كان الإسلام يأمر بمكارم الأخلاق وينهى عن سفاسفها. نهى رسول الله ﷺ عن شتم الريح ولعنها، وذلك أن الريح مخلوقة من مخلوقات الله، لا تسكن ولا تتحرك ولا تنفع ولا تضرّ إلا بأمر الله تعالى، فيكون شتمها شتماً لمدبرها وهو الله سبحانه وتعالى [2].

قال عليه الصلاة والسلام: (لا تسبّوا الريح، فإذا رأيتم ما تكرهون فقولوا: اللهم إنا نسألك من خير هذه الريح وخير ما فيها، وخير ما أُمرت به ونعوذ بك من شر هذه الريح، وشر ما فيها وشر ما أمرت به) [3].

فتأمل أيها المسلم إلى التربية الإسلامية العظيمة، وهي تربي المسلم على حسن الألفاظ مع مخلوقات الله تعالى، والبعد عن مساوئ الألفاظ. فحري بالمؤمن أن يطهر ألفاظه من مساوئ الأخلاق، مربياً لها على فضائل الأخلاق مع

(١) محمد بن عبد العزيز القرعاوي، الجديد في شرح كتاب التوحيد، ص (٣٨١).
(٢) المصدر السابق (٤٢٦).
(٣) الترمذي (٤/٤٥١-٤٥٢) برقم (٢٢٥٢).

ربه ﷻ، ومع نبيه ﷺ ومع خلق الله تعالى أجمعين.

من البواعث التي تدفع للوقوع في الألفاظ الشركية والبدعية :

١ - البيئة، وذلك بأن يولد الإنسان، أو يعيش في بيئة يكثر فيها الشرك والبدع، فيتأثر بها، حيث يدرج لسانه على تلك الألفاظ، كقول بعضهم: والنبي ، وبشرفي، وحياة ابني.

٢ - تزيين الشيطان للإنسان بعض الألفاظ السيئة.

٣ - الاعتقاد بأن بعض الألفاظ غير الشرعية تحقّق بعض المطالب، أو تمنع بعض المصائب.

٤ - الاقتداء ببعض الجهال الذين هم في ثوب العلماء، بما يصدرونه من ألفاظ بدعية وشركية.

٥ - التأثر بأهل الأديان الأخرى نتيجة المخالطة والمعايشة.

آفاتها:

١ - أن الشرك الأكبر محبط للعمل؛ قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾[1].

٢ - أن الله لا يغفر لمن أشرك معه ومات عليه ولم يتب منه؛ قال الله تعالى:

(١) سورة الزمر: ٦٥.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا﴾[1].

٣ - أنه موجب لعذاب الله تعالى؛ قال عليه الصلاة والسلام: (من مات وهو يدعو من دون الله نداً دخل النار)[2].

٣ - أنه يجعل قلب المرء متعلقاً بالمخلوقات في الأسباب، دون الخالق، وذلك في رجاء الخير، ودفع الشر.

٤ - أنه يحط من خُلُق الإنسان وسلوكه، فيجعل المرء ينكسر للمخلوقين متذللاً لهم، كما يتذلل المخلوق لخالقه.

٥ - أنه يحط من عقل المرء، ويتدرج به نحو الضعف والهوان؛ لأنه يتعلق قلبه في طلب الخير ودفع الشر بالأحجار والأشجار والدواب، ويخاف منها ويرجوها ويحبها، وهي مخلوقات مثله لا تضر ولا تنفع إلا بإرادة الله تعالى، والله تعالى يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٞ فَٱسۡتَمِعُواْ لَهُۥٓۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخۡلُقُواْ ذُبَابٗا وَلَوِ ٱجۡتَمَعُواْ لَهُۥۖ وَإِن يَسۡلُبۡهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيۡـٔٗا لَّا يَسۡتَنقِذُوهُ مِنۡهُۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ

(١) سورة النساء: ٤٨.

(٢) البخاري (١٩٦/٣) برقم (٤٤٩٧).

وَٱلْمَطْلُوبُ ﴾[1].

العلاج

من الأسباب العلاجية ما يلي:

١ - العلم والعمل بالتوحيد؛ لأن الجهل أساس الوقوع في الشرك بنوعيه، ويحصل العلم بالتعلم والسؤال، ومخالطة أهله.

٢ - أن يعرف المرء منزلة التوحيد التي من حققها دخل الجنة، كما قال ﷺ: (من لقي الله لا يشرك به شيئاً دخل الجنة، ومن لقيه يشرك به دخل النار)[2].

٣ - العلم بأن الألفاظ الشركية والبدعية لا تحدث إلا من الجهّال الذين يجهلون حقيقة التوحيد وفضله، والمسلم يأنف أن يكون من الجاهلين.

٤ - وجود القدوة الصالحة التي تؤكد بالقول والفعل حقيقة التوحيد؛ لأن الناس يحتاجون القدوة في كل وقت وحين، فقوم موسى وهم مع نبيهم عندما تجاوزوا البحر، ورأوا المشركين عاكفين على أصنام لهم طلبوا من موسى المماثلة، ولكن موسى النبي الذي يمثل القدوة الصالحة نهاهم،

(١) سورة الحج: ٧٣.

(٢) مسلم (١/٩٤) برقم (١٥٢-٩٣).

وبيّن لهم حقيقة ذلك، قال تعالى: ﴿وَجَٰوَزۡنَا بِبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡبَحۡرَ فَأَتَوۡاْ عَلَىٰ قَوۡمٖ يَعۡكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصۡنَامٖ لَّهُمۡۚ قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهٗا كَمَا لَهُمۡ ءَالِهَةٞۚ قَالَ إِنَّكُمۡ قَوۡمٞ تَجۡهَلُونَ ﴿١٣٨﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٞ مَّا هُمۡ فِيهِ وَبَٰطِلٞ مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾[1]:

٥ - وجود المناهج الدراسية التي تربي الناشئة على العقيدة الصحيحة والألفاظ السليمة.

(١) سورة الأعراف: ١٣٨-١٣٩.

ثانياً: المساوئ السمعية والبصرية :

إن نعمة البصر عظيمة، ونعمة السمع جليلة فهما وسيلتان للتعلم.فالإنسان يشاهد آيات الله الكونية ببصره، ويتلذذ بما أودعه الله تعالى في هذه الدنيا من مرئيات، ويعرف بمسمعه الجُمَلَ والكلمات، ويميز بين الأصوات، ويزداد علماً وفهماً وموعظة بما يسمع ويرى. وإزاء هذه النعم العظيمة يتحمل الإنسان مسؤوليتها، وتبعات استخدامها، فلا يحل للمؤمن أن يستخدم السمع والبصر إلا فيما يرضى الله -عز وجل-، فكيف به لو حُرِمَ منها؟.

فإن من المساوئ السلوكية أن يستخدم المرء هذه الحواس فيما حرم الله ﷻ ، والتي بيانها فيما يلي:

استماع المعازف

المعازف: الملاهي، واحدها مِعْزَف ومِعْزَفة.

والعزف: اللعب بالمعازف، وهي الدفوف وغيرها مما يضرب.

والعازف: اللاعب بها والمغني [1].

ونقل القرطبي عن الجوهري: أن المعازف: الغناء، والذي في صحاحه أنها آلات اللهو، وقيل: أصوات الملاهي، وفي حواشي الدمياطي، المعازف الدفوف،

(١) ابن منظور، لسان العرب (٩/٢٤٤).

وغيرها مما يضرب به، ويطلق على الغناء عزف، وعلى كل لعب عزف[1].

حكمها:

قال تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡتَرِي لَهۡوَ ٱلۡحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ ﴾[2].

و"لهو الحديث": الغناء في قول ابن مسعود وابن عباس وغيرهما، وهو ممنوع بالكتاب والسنة، والتقدير من يشتري ذا لهو أو ذات لهو. قال القرطبي: هذه إحدى الآيات الثلاث التي استدل بها العلماء على كراهية الغناء والمنع منه. والآية الثانية: قال تعالى: ﴿وَأَنتُمۡ سَٰمِدُونَ﴾[3]، قال ابن عباس هو الغناء بالحميرية. أسمدي لنا أي غني لنا. والآية الثالثة: قوله تعالى: ﴿ وَٱسۡتَفۡزِزۡ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتَ مِنۡهُم بِصَوۡتِكَ ﴾[4]. قال مجاهد: الغناء والمزامير[5].

ومن السنة قوله ﷺ: (ليكونن من أمتي أقوام يستحلون الحر والحرير والخمر والمعازف)[6].

---

(١) ابن حجر، فتح الباري (٥٥/١٠).

(٢) سورة لقمان: ٦.

(٣) سورة النجم: ٦١.

(٤) سورة الإسراء: ٦٤.

(٥) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (٣٦/١٤).

(٦) البخاري (١٣/٤) برقم (٥٥٩٠).

فهذه الآيات القرآنية والحديث النبوي الكريم وفهم العلماء لهذه النصوص تبين للمرء حكم الإسلام في ذلك.

وهذا بخلاف استماع الأناشيد الخالية من المعازف، والكلام السيئ البذيء، كما كانت العرب، تصنعها في أسفارها. قال القرطبي: الغناء المعتاد المشتهر به، والذي يحرك النفوس ويبعثها على الهوى والغزل، والمجون الذي يحرك الساكن ويبعث الكامن، فهذا النوع إذا كان شعر يُشبب فيه بذكر النساء ووصف محاسنهم وذكر الخمور والمحرمات لا يُختلف في تحريمه؛ لأنه اللهو والغناء المذموم بالاتفاق.

فأما ما سلم من ذلك فيجوز القليل منه في أوقات الفرح كالعرس والعيد وعند التنشيط على الأعمال الشاقة، كما كان في حفر الخندق، وحَدْو أنجشه وسلمة بن الأكوع، فأما ما ابتدعه الصوفية اليوم من الإدمان على سماع المغاني بالآلات المطربة من الشبابات والطار والمعازف والأوتار فحرام [1].

البواعث:

إن بواعث استماع المعازف متعددة، وباتباعها يفسد المرء، وباجتنابها يفوز بالفلاح، ومن أبرز بواعثها ما يأتي:

(١) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (٣٨/١٤).

١ - تشجيع الفاسدين لأصحاب الأصوات الندية بأن يستخدموها في الغناء، وإغراؤهم بالمال والتشجيع والشهرة.

٢ - الرغبة في الشهرة عن طريق الغناء، وحب الانغماس في الشهوات.

٣ - البيئة التربوية التي يعيش فيها الفرد، سواء كانت الأسرة أو المدرسة، أو الحي، فإذا كانت هذه البيئات تشجع استعمال واستماع المعازف نشأ الفرد على حبها، والولوع بسماعها.

٤ - المخالطة لأهل المعازف والمحبين لها، يدفع المرء لمجاراتهم.

٥ - الجهل بأحكام الشريعة في ذلك، وتزيين بعض من ينتسب للعلم الشرعي استماع ذلك من خلال الأحكام الإباحية للغناء، وتأويل النصوص على غير حقيقتها.

آفاتها:

إن آفات المزامير الغنائية خطيرة على الفرد والأسرة والمجتمع في الدنيا والآخرة، كما يتضح فيما يلي:

١ - أنها تصد المرء عن ذكر الله تعالى؛ لأنها وسيلة لذلك؛ قال تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡتَرِي لَهۡوَ ٱلۡحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ

لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾[1]، قال ابن القيم: إنك لا تجد أحداً عني بالغناء وسماع آلاته إلا وفيه ضلال عن طريق الهدى علماً وعملاً، وفيه رغبة عن استماع القرآن إلى استماع الغناء [2].

٢ - أن الغناء المعزوف يحرك القلوب نحو الفواحش والمجون. قال ابن القيم: فهو قرآن الشيطان والحجاب الكثيف عن الرحمن، وهو رقية اللواط والزنا، وبه ينال العاشق الفاسق من معشوقه، كاد به الشيطان النفوس المبطلة، وحسنه لها مكراً منه وغروراً [3].

٣ - تُرد به شهادة المشتغل بالغناء، قال القرطبي: الانشغال بالغناء على الدوام سَفَه تُرد به الشهادة، فإن لم يدم لم تُرد [4].

٤ - أنه ينبت النفاق في القلب، قال عبد الله بن الإمام أحمد: سألت أبي عن الغناء؟ فقال: الغناء ينبت النفاق في القلب، لا يعجبني،ثم ذكر قول مالك: إنما يفعله عندنا الفساق [5].

٥ - ومن آفاته أن كل ما يثمر عنه محرم، فالاستئجار عليها باطل، وأكل المال

(١) سورة لقمان: ٦.

(٢) ابن القيم، إغاثة اللهفان (٢٥٩/١).

(٣) المصدر السابق (٢٤٢/١).

(٤) القرطبي، الجامع الأحكام القرآن الكريم (٣٨/١٤).

(٥) ابن القيم، إغاثة اللهفان (٢٤٨/١).

به باطل بمنزلة أكله عوضاً عن الميتة والدم، وأنه لا يجوز للرجل بذل ماله للمغني، ويحرم عليه ذلك [١].

٦ - كذلك من آفاته: أنه ينقص الحياء ويزيد في الشهوة، ويهدم المروءة قال يزيد بن الوليد: يا بني أميه إياكم والغناء، فإنه ينقص الحياء، ويزيد في الشهوة، ويهدم المروءة [٢].

٧ - أنه مدعاة الشهوات وطريق الزنا؛ لأنه خمرة العقل، فكم حرة بالغناء صارت من البغايا، وكم من حر صار به عبداً للصبيان والصبايا، وكم من غيور تبدل به اسماً قبيحاً بين البرايا، وكم من ذي غنى وثروة أصبح بسببه على الأرض بعد المطارف والحشايا، وكم من معافى تعرض له فأمسى وقد حلت به أنواع البلايا [٣].

التوجيهات العلاجية:

١ - كثرة تلاوة القرآن الكريم وتدبره فإنه لذة للمؤمنين، وأنس من كل وحشة، واطمئنان من كل فزع، وفرح من كل همّ وحزن، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ

(١) المصدر السابق (١/٢٤٦).

(٢) المصدر السابق (١/٤٦٣).

(٣) المصدر السابق (١/٢٦٥)

ٱلْقُلُوبُ ﴾[1].

٢ - البعد عن مواطن الغناء وأماكنه وأهله، فإن المخالطة توجب المشاكلة والمؤانسة.

٣ - الاشتغال بالقراءة المفيدة التي تبني العقل، وتزيده نوراً وضياءً.

٤ - التنشئة والتربية الإسلامية الصحيحة في البيت والمدرسة.

٥ - بيان حكم ذلك للناس من فوق منابر المساجد ووسائل الإعلام.

(١) سورة الرعد: ٢٨.

التجسس

مفهوم التجسس:

المعنى اللغوي للتجسس:

التجسس: التفتيش عن بواطن الأمور، وأكثر ما يقال في الشر، وقيل: البحث عن العورات، والجاسوس الذي يتجسس [1].

المعنى الاصطلاحي:

التجسس: هو التبحّث، وهو تفسير أبي عبيدة [2].

التجسس على الناس هو تتبع عوراتهم وهم في خلواتهم، إما بالنظر إليهم وهم لا يشعرون، وإما باستراق السمع وهم لا يعلمون، وإما بالإطلاع على مكتوباتهم ووثائقهم وأسرارهم وما يخفونه عن أعين الناس دون إذن منهم [3].

إن التجسس على المسلمين وتتبع عثراتهم وعوراتهم وتحسس تحركاتهم وسكناتهم وأقوالهم وأفعالهم من الرذائل التي نهى الإسلام عنها، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ

(١) ابن منظور، لسان العرب، (٣٨/٦) مادة: جسس.

(٢) ابن حجر، فتح الباري (١٤٣/٦).

(٣) عبد الرحمن حبنكه الميداني، الأخلاق الإسلامية وأسسها (٢٣٩/٢).

﴿أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾[1] .

والتجسس: "بالجيم" هو البحث، ومنه قيل رجل جاسوس، إذا كان يبحث الأمور، "وبالحاء" هو ما أدركه الإنسان ببعض حواسه [2].

قال ﷺ: (يا معشر من قد أسلم بلسانه ولم يفضِ الإيمان إلى قلبه لا تؤذوا المسلمين ولا تعيروهم، ولا تتبعوا عوراتهم فإنه من تتبع عورة أخيه المسلم تتبع الله عورته، ومن تتبع الله عورته يفضحه ولو في جوف رحله)[3]، وقال ﷺ: (إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث، ولا تحسسوا، ولا تجسسوا ولا تناجشوا ولا تحاسدوا، ولا تباغضوا ولا تدابروا، وكونوا عباد الله إخواناً) [4].

ومن الناس من تنشرح أساريره إذا تأمل وأطلق شعاع بصره ليخترق الثقوب في الأبواب والنوافذ، ويتطلب عورات المسلمي،ن ويتلذذ بتلك اللحظات التي يُكْتَبُ له بها السيئات. قال ﷺ: (من اطلع في بيت قوم بغير إذنهم ففقأوا عينه فلا دية له ولا قصاص)[5].

---

(١) سورة الحجرات: ١٢.

(٢) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (٢١٨/١٦).

(٣) أبو داود (١٩٤/٥-١٩٥) برقم (٤٨٨٠)، والترمذي (٣٣١/٤-٣٣٢) برقم (٢٠٣٢) واللفظ له، وأحمد (٤٢٤/٤)، قال أبو عيسى: هذا حديث حسن غريب.

(٤) سبق تخريجه.

(٥) النسائي (٦١/٨) برقم (٤٨٦٠). وقال الألباني: صحيح، صحيح الجامع مع الصغير (١٠٤٥/٢) برقم (٦٠٤٦-١٩٩٣)، وانظر: صحيح سنن النسائي برقم (٤٥١٦).

وعن ابن شهاب أن سهل بن سعد الساعدي أخبره أن رجلاً اطلع في جحر في باب رسول الله ﷺ ومع رسول ﷺ مِدْرَى يحك به رأسه، فلما رآه رسول الله ﷺ قال: (لو أعلم أنك تنظرني لطعنت به في عينك، وقال رسول الله ﷺ إنما جعل الإذن من أجل البصر) [1].

قال النووي -رحمه الله-: وفي هذا الحديث جواز رمي عين المتطلع بشيء خفيف، فلو رماه بشيء خفيف ففقأها فلا ضمان إذا كان قد نظر في بيت ليس فيه امرأة محرم، والله أعلم [2].

أنواع التجسس

ومن أنواع التجسس:

التجسس الحربي على الأعداء وعتادهم وعددهم وتحركاتهم ابتغاء تفويت فرصة انتصارهم، ونوع آخر: تجسس الدولة على أهل الريبة، ولهذه المسائل أحكامها في الإسلام[3]، ونوع ثالث: تجسس الناس بعضهم على بعض، وهو المقصود هنا.

(١) البخاري (٢٧٤/٤) برقم (٦٩٠١)، ومسلم (١٦٩٨/٣)، برقم (٤٠-٢١٥٦).

(٢) صحيح مسلم، بشرح النووي (١٣٨/١٤).

(٣) للإطلاع على الأحكام الفقهية للتجسس، وأنواعه كالتجسس على الأعداء في الحرب، وتجسس الدولة على أهل الريبة إذا تبين ذلك واتضح الصحيح، انظر: كتاب التجسس وأحكامه في الشريعة الإسلامية، لمحمد راكان الدغمي، الناشر دار السلام، وهي عبارة عن رسالة ماجستير، قدمت لكلية الشريعة والقانون بجامعة الأزهر عام ١٩٨١م.

من آفات التجسس:

١ - من تجسس فقد ارتكب محرماً وأتى ما نهى الله عنه. قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُواْ﴾[1].

٢ - أن المتجسس على المسلمين يعرض نفسه لفضيحة يفضحه الله بها، ولو في رحله، كما قال ﷺ: (فإنه من تتبع عورة أخيه المسلم تتبع الله عورته ومن تتبع الله عورته، يفضحه ولو في جوف رحله) [2].

٣ - أنه يثير الشحناء والبغضاء والعداوة بين المتجسس والمتجسس عليه.

٤ - أن من يتطلع على عورات المسلمين ينشغل بها؛ فيجلب لنفسه المتاعب والمصاعب بالانشغال بما لا يعنيه عن ما يهمه.

٥ - أن التجسس يجلب لصاحبه كراهية المجتمع وخوفهم منه، ومن نشر أسرارهم التي حصل عليها سراً عن طريق التجسس.

التوجيهات التربوية العلاجية

من التوجيهات التربوية العلاجية للتجسس ما يأتي:

١ - أن يبرز دور الأسرة والمؤسسات الاجتماعية في التوعية من خطورة

(١) سورة الحجرات: ١٢.

(٢) سبق تخريجه.

التجسس على عورات المسلمين، وما يعود عليهم من الشقة وسوء النية والشحناء بسبب استرقاق السمع بالتصنت والتجسس بالحواس المختلفة، وإشاعة أسرارهم التي قد تؤدي إلى التفكك الاجتماعي.

٢ - أن يتذكر من تُسَوِّلُ له نفسه التجسس على عورات المسلمين عقاب الله وفضيحته له ولو في جوف رحله.

٣ - أن يضع الميزان الخلقي الإسلامي بأن يحب للمسلمين ما يحب لنفسه ويبغض لهم ما يبغضه لنفسه؛ لأن ذلك من كمال الإيمان، قال ﷺ: (لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه) [(١)]، فعليه أن يتصور ذلك باستمرار ويطبقه في تعامله.

٤ - أن يتذكر أن هناك فئة من الناس تسمو أخلاقهم عن التجسس، بل تصل إلى التغافل عن عورات الناس إذا انكشفت. قال عروة بن الورد[(٢)]:

وإن جارتي أَلْوَت رياحٌ ببيتها تغافلت، حتى يسترَ البيت جانبه

وقال عنتر بن شداد وهو جاهلي [(٣)]:

وأغض طرفي ما بدت لي جارتي حتى يواري جارتي مأواها

فكيف بمن يتتبع عورات الناس وهو مسلم؟ وقد أنف عنه عقلاء الجاهلية.

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) عروة بن الورد، ديوان عروة بن الورد والسمؤل، دار صادر، بدون سنة النشر، بيروت، ص (١٩).

(٣) عنتر بن شداد، أشعار عنتر العبسي، تقديم وشرح محمد عبد المنعم خفاجي، ص (٨٦).

النظر إلى ما نهى الله تعالى عنه

المعنى اللغوي:

النظر: حِسُ العين، وهو تأمل الشيء [1].

الحرام: نقيض الحلال، وجمعه حُرُم [2].

والحرام الممنوع منه، إما بتسخير إلهي، وإما بمنع قهري [3].

المعنى الاصطلاحي:

النظر الممنوع هو: التأمل بحس العين فيما نهى الله تعالى عنه.

بواعث النظر كثيرة ومتعددة، أهمها الآتي:

١ - حب استطلاع الشيء والتحقق منه وصفاً أو حجماً أو لوناً أو قدراً.

٢ - التلذذ والاستمتاع بمشاهدة المنظور.

٣ - استقطاب المنظور، وجذب مودته بالنظر إليه واستمالة قلبه.

٤ - كون المنظور ملفتاً للنظر، لجماله أو قبحه.

---

(١) ابن منظور، لسان العرب (٥/٢١٥).

(٢) المصدر السابق (١٢/١١٩).

(٣) الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ص (١١٤).

آفات النظر إلى المحرمات:

النظر نعمة من الله تعالى فإذا استخدمه المرء في غير ما أحله الله تعالى له كان وبالاً وشراً على صاحبه، يجلب له آفاتاً وأضراراً، وهي:

١ - في النظر المحرم معصية للخالق سبحانه وتعالى، وعدم الشكر لهذه النعمة التي أمر الله تعالى بِغَضِّهَا. قال تعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾[1].

٢ - النظر وسيلة خطيرة، وطريق لارتكاب المحرمات، فنظرة الرجل للمرأة أو المرأة للرجل غير المَحْرَم. قد تولد شراً، وتثير شهوة، قال ﷺ: (النظرة سهم من سهام إبليس مسمومة)[2].

٣ - النظر المحرّم جالب للقلق والاضطراب، فكم من قلب ساكن مطئمن في بعد عن الشر، انطلقت منه نظرة إلى محرم بأسلوب مباشر، عن طريق تلفاز أو مجلة، فاجتثته من طمأنينته إلى براكين الشر والفساد، والقلق والاضطراب، والتفكير والأحزان والآلآم والحسرات.

٤ - في النظر المحرم إشغال للفكر عن طاعة الله تعالى، وعن ما يفيد المرء في حياته

(١) سورة النور: ٣٠-٣١.

(٢) الحاكم، المستدرك، (٤/٣١٤) وقال: هذا حديث صحيح الإسناد، ووافقه الذهبي.

ومعاده، فكم من نظرة محرمة أشغلت صاحبها عن أداء عبادة، أو إقامة سنة نبوية، أوصرفته عن مهنته ومصدر رزقه.

٥ – أن النظر المحرم قد يؤدي إلى مرض القلوب وإضعاف إرادتها للخير.

المنهج التربوي العلاجي

من الأساليب العلاجية التربوية التي تصلح من أطلق بصره نحو المحرمات ما يلي:

١ – أن يعرف المرء ويدرك أن مِنْ نِعَمِ الله تعالى على الإنسان أنْ زوّده المنعم تبارك وتعالى بعينين يبصر بهما الأشياء، ويستمتع بهما فيما أباحه الله تعالى، ومن حق النعمة أن تُشْكَر ولا تكفر. ويكون شكرها بحجبها عما حرم الله تعالى، وأن يلهج القلب واللسان، بالثناء على الله تعالى إذ لم يفقده نعمة البصر.

٢ – أن يدرك الإنسان مسؤوليته عن جوارحه، والتي منها البصر. قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾[1].

٣ – إن غض البصر له عواقب حميدة، قال ﷺ: (النظرة سهم من سهام إبليس مسمومة، فمن تركها من خوف الله أثابه عز وجل إيماناً يجد حلاوته في

(١) سورة الإسراء: ٣٦.

قلبه)[1].

وأن من غض بصره عن المحرمات أطلق الله نور بصيرته وقلبه، فرأى به ما لم يره من أطلق بصره ولم يغضه عن محارم الله تعالى [2].

٤ - العلم بأن النظر وسيلة للتعلم واكتساب المعارف والعلوم، والانتفاع به في أمور الدنيا والدين، وبالتالي يجب على المرء أن لا يسلطه في ما حرم الله تعالى.

٥ - البعد عن الوسائل المثيرة للنظرة المحرمة، كالأسواق، والاختلاط، ومشاهدة الصور في الصحف، والمجلات، والتلفاز.

(١) سبق تخريجه.

(٢) ابن قيم الجوزية، إغاثة اللهفان (١/٦٠-٦١).

ثالثاً: المساوئ العملية الفعلية:

ويقصد بها السلوكيات المنحرفة التي تعتمد في ممارستها على الجهد البدني المتكلف: كالزنا، والسرقة، والتبرج، واستخدام المخدرات، ونظراً لكثرتها فيمكن ذكر أخطرها.

الأعمال الشركية:

لقد تبيّن لنا في المساوئ اللفظية مفهوم الشرك وأسبابه وعلاجه، ونكتفي هنا بذكر أمثلةٍ على أنواع الأعمال الشركية العملية، وهي:

١ - الذبح لغير الله تعالى:

من أنكر وأبشع مساوئ الأخلاق ما يتعلق بتعامل العبد مع ربه ﷻ، ومن ذلك أن يصرف شيئاً مما هو لله تعالى إلى غيره كالذبح لغير الله تعالى، وهذا شرك. قال ﷻ: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[1]. فالآية الكريمة دلت على أن الذبح، وهو النسك لا يصح إلا لله تعالى، وصرفه لغيره شرك.

ومن الناس من تربى على أن يذبح للجن والشياطين لدفع ضرر أو جلب نفع، وفي هذا شرك بالله تعالى، ومن واجب المسلم أن يربي نفسه على التوحيد الخالص

(١) سورة الأنعام: ١٦٢-١٦٣.

لله تعالى، وينشئ أهله وذويه على ذلك، حتى يفوز بالفلاح في الدنيا والآخر.

٢ - تعليق التمائم:

ومن المساوئ السلوكية المخالفة لعقيدة التوحيد تعلق القلب بالتمائم التي تعلق على الإنسان أو الحيوان أو السيارة لدفع العين والحسد، ولجلب الخير والشفاء، قال ﷺ محذراً أمته من هذه الأعمال الشركية: (إن الرُّقى والتمائم والتّولة شرك)[١].

والتميمة: ما يعلق من خَرز ونحوه على الصبيان اتقاء العين.

والتّولة: ما يوضع بزعم أنه يحبب المرأة إلى زوجها. والرجل إلى زوجته.

والرّقى: ويشرع منها ما توفرت فيه ثلاثة شروط:

أ - أن تكون بكلام الله تعالى وأسمائه وصفاته، أو دعاء الله والاستعاذة به.

ب - أن تكون بلسان عربي يفهم معناها.

ج - أن لا يعتقد أن التمائم تنفع بذاتها وإنما بقضاء الله وقدره[٢].

٣ - الغلو في قبور الصالحين:

إن قصد القبور من أجل تعظيمها لهو شرك سواء بالطواف بها أو اتخاذ المساجد عليها، أو طلب الغوث من أهلها؛ لأن ذلك عبادة، والعبادة لا يصرف شيء منها إلا لله تعالى، وجاء في الحديث الصحيح: (اللهم لا تجعل قبري وثناً

(١) أحمد (٣٨١/١) وصححه الحاكم ((٤١٨/٤) ووافقه الذهبي.

(٢) محمد القرعاوي الجديد في شرح كتاب التوحيد، ص (٩١).

يعبد، اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد)[1].

فالحديث أوضح أن الرسول -ﷺ-دعا ربه أن لا يجعل قبره وثناً يعبد من دون الله، وهذا في حق قبره، وهو أفضل البشر، فكيف بقبر من هو دونه ؟! لذلك فإن من واجب المسلم أن يعبد الله كما أمره، ويربي نفسه على التوحيد الخالص.

الانحرافات الجنسية

مفهوم الانحرافات الجنسية:

من الانحرافات الجنسية التي يقع فيها بعض الناس: الزنى، والسحاق، واللواط، وهي أمراض جاهلية حرَّمها الإسلام وحاربها، وقبل البدء في إيضاحها لابد من تعريفها.

الزنى: فهو كل وطء وقع على غير نكاح صحيح ولا شبهة نكاح ولا ملك يمين، وهذا متفق عليه بالجملة من علماء المسلمين [2].

ويُعرف أيضاً بأن يأتي رجل وامرأة بفعل الجماع من غير أن تكون بينهما علاقة الزوجية المشروعة[3]، ويعرف أيضاً بأنه غيبوبة حشفة الرجل في فرج امرأة لا تحل

(١) الموطأ (٨٥).

(٢) ابن رشد القرطبي ، بداية المجتهد ونهاية المقتصد (٤٦٧/٢)

(٣) المودودي، تفسير سورة النور، ص (٣٨).

له [1].

اللواط: مصدر لاط الرجل لواطاً، ولاوط أي عمل عمل قوم لوط.

وقولهم: لَوَّط فلان إذا تعاطى فعل قوم لوط[2].

السحاق: فهو الدق، أو دون الدق، والسَّحْقُ: الثوب البالي، والسُّحْقُ البعد، امرأة ساحقة: نعت سوء[3]، وهو مباشرة دون إيلاج[4].

بواعث الانحرافات الجنسية:

فيما يلي أهم البواعث المؤدية إلى الانحرافات الجنسية:

١ - التصورات الخاطئة:

قد يتوهم المرء أن التلذذ الجنسي مع عدد غير محدود من الجنس الآخر، يحقق له اللذة والمتعة، وما حسب أن هذا التصور يبعده عن اللذة الحقيقية في عفة وصون من يأتيها بدون مشارك يكدر لذة الغيرة، من خلال الزواج الشرعي.

وإلى التصورات الخاطئة أشار ابن الجوزي بأن الخَطْرة [5]. إذا لم تتدارك

(١) الشنقيطي، تفسير سورة النور، ص (٢٥).

(٢) الراغب الأصفهاني، لمفردات في غريب القرآن، ص (٤٥٦).

(٣) الفيروزي أبادي، القاموس المحيط (٢٤٤/٣) مادة سحق.

(٤) سيد سابق، فقه السنة (٤٢٦/٢).

(٥) الخَطرْةُ: ما يخطر في القلب، المعجم الوسيط (٢٤٣/١) مادة: خطر.

تولـدت عنهـا الفكـرة، وإن لم تتـدارك بـالرجوع إلى الله خـالطتها الوسوسـة وامتزجت بها، فتولدت عنها الشهوة [1].

٢ - المثيرات الإعلامية:

ومما يثير فاحشة الجنس بأنواعها، ويضرم نارها تلك المثيرات الإعلامية والأدبية من صحف ومجلات وتلفزة، والتي تبثُّ وتعرض صورة الفتنة والخلاعة من الجنسين، وكذلك الكتابات الأدبية والقصص الغرامية التي تتبناها دور النشر، وتحتضنها أرفف المكتبات التجارية لتسويقها، وإلى ذلك أشار المودودي بأن الهيجان الجنسي منبعه من تأثير الأدب، والصور، والسينما، والمسرح، والرقص، والجرائد اليومية، والأسبوعية، والمجلات الشهرية التي تظهر بقصص ومقالات متناهية في الفحش، وصور عارية فاضحة؛ لأن ذلك أدعى لشيوعها وانتشارها [2].

والمتأمل في نتاج الوسائل الإعلامية اليومية في البلدان الإسلامية يجد أنها لا تقل شراسة عن مثيلاتها في أوربا، حيث تغلف بغلافٍ يحمل صورة نساء يتم اختيارهن حسب درجة جمالهن وتأثيرهن في من ينظر إليهن، ويؤازر ذلك بالإعلانات الدعائية لبعض المنتجات المقرونة بفتيات وفتيان يثيرون الفتنة والشهوة لدى الجنسين.

---

(١) ابن الجوزي، ذم الهوى، ص (١٢٠).

(٢) أبو الأعلى المودودي، الحجاب الدار السعودية، ص (٩٣).

٣ - التبرج:

ومما يزيد إثارة الفتنة الجنسية تبرج النساء، وخروجهن متزينات متعطرات متكشفات مظهرات للحُسْن والمفاتن، بالإضافة إلى الاختلاط بين الجنسين والخلوة بالأجنبية، وهو باب للشيطان؛ ولذلك حذرنا الإسلام من الخلوة بالأجنبية؛ فقال ﷺ: (لا يخلونّ رجل بامرأة إلا مع ذي محرم، فقام رجل: فقال: يا رسول الله، امرأتي خرجت حاجة، واكتتبت في غزوة كذا وكذا، قال: ارجع، فحج مع امرأتك)[١].

كما أن أبواب العمل المفتوحة للنساء مع الرجال ضاعفت من الاختلاط والاحتكاك، وسهلت النظر والحديث والابتسامة، وفتحت باب الفتنة، وأججت نار الشر، فساهم ذلك في انحطاط المستوى الخلقي، وظهر التمرد على الحجاب والاحتشام.

٤ - الغناء والمعازف:

ومما يثير الشهوة الجنسية سماع الغناء والمعازف فهي: «خمر النفوس، تفعل بالنفوس أعظم مما تفعل حُمَيّا[٢] الكؤوس»[٣] كما أنها تفسد النفوس، وتزين للسامعين إتيان فاحشة الزنى أو السحاق أو اللواط «لأن الغناء رقية الزنى، وهو

(١) البخاري (٣/٣٩٥) برقم (٥٢٣٣) واللفظ له، ومسلم (٢/٩٧٨) برقم (١٣٤١/٤٢٤).
(٢) حُمَيّا الكأس: أول سَوْرَتِها، مختار الصحاح، ص (١٥٨). وسورة الشراب أي وثوبه في الرأس.
(٣) ابن تيمية، الفتاوى (١٠/٤١٧).

أعظم الأسباب لوقوع الفواحش [1]، فلعمر الله كم من حُرة صارت بالغناء من البغايا، وكم حر أصبح به عبداً للصبيان والصبايا»[2].

٥ - التأخر في الزواج:

ومن البواعث للزنى واللواط صعوبة الزواج، واشتراط الشروط الصعبة الواهية التي لا قيمة لها في بناء البيت الزوجي، كاشتراط وظيفة معينة أو مواصفات ومقاييس جمالية صعبة التحقيق، فيضيع الوقت، وكل من الفتى والفتاة يبحثان وراء أوهامهما وأحلامهما، حتى إذا ضاعت الفرصة، وانحل حزام الأمان أمام الشهوة العارمة وقعا في الحرام، واتجها لطريق البغي والفساد؛ ولذلك حدد الإسلام معايير الاختيار؛ فقال ﷺ: (إذا جاءكم من ترضون دينه وخُلُقه فأنكحوه، إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد. قالوا: يا رسول الله، وإن كان فيه؟ قال: إذا جاءكم من ترضون دينه وخُلُقه فأنكحوه. ثلاث مرات) [3].

وقال ﷺ: (تنكح المرأة لأربع: لمالها، ولحسبها، ولجمالها، ولدينها، فاظفر بذات الدين تربت يداك) [4].

---

(١) المصدر السابق (١٠/٤١٧-٤١٨).

(٢) ابن قيم الجوزية، إغاثة اللهفان (١/٢٦٥).

(٣) الترمذي (٣/٣٩٥) برقم (١٠٨٥). وقال أبو عيسى: هذا حسن غريب، وقال الألباني: حسن صحيح، سنن الترمذي، برقم (٨٦٦ - ١٠٩٧).

(٤) البخاري (٣/٣٦٠) برقم (٥٠٩٠)، مسلم (٢/١٠٨٦) برقم (٥٣/١٤٦٦) واللفظ له.

٦ - انشغال الزوجين عن بعضهما البعض:

وأيضاً من بواعثها: غياب وانشغال الزوج عن زوجته بأمور دنياه، وكذلك انشغال الزوجة عن زوجها، وبالتالي قد يعمد أحدهما أو كلاهما إلى إشباع الفاقد بالموجود ممن انحطت أخلاقهم واتصفوا بالبغاء وإتيان الفاحشة.

٧ - التربية الفوضوية:

من بواعث الفاحشة الجنسية التربية الفوضوية: فإن الله سبحانه وتعالى عندما جعل الباعث الجنسي قوياً يدفع المرء إلى إشباعه وابتغائه ليستمر النسل البشري، ولكن من الناس أناساً عندما قويت إرادتهم الجنسية اجتالتهم عواطفهم إلى ابتغاء ذلك في ما حرم الله تعالى جرياً وراء لذة موقوتة، محطمين أسوار الحياء والحشمة، فمنهم من طلبها في الزنى، ومنهم من كبر اعوجاجه وطلبها في اللواط.

وهذا «الإحساس الجنسي هو أعنف الأحاسيس التي تخطر في نفس الفرد»[1] فإذا لم تهذبها وتروضها التربية الإسلامية انفلتت من عقالها، وأصبحت كالسائمة تهيم بين الأعشاب، وتأكل من كل شجرة، وفي كل أرض بلا قيود ولا أسوار، وأولئك لم يتزودوا بأصول التربية الإسلامية السمحة، وإنما كان منهجهم كما يقول سيد قطب: على طريقة جديدة تمنع الكبت من المشاعر، بإطلاق الحرية إلى أبعد الحدود، وصار الفتى والفتاة ينطلقان مع شهوة الجسد، ولا يحس كل منهما

(١) محمد قطب، الإنسان بين المادية والإسلام، ص (٢١٠).

أنه قد أتى منكراً يحاسبه عليه أحد: لا الضمير، ولا المجتمع، ولا الدولة، ولا الدين [1].

ويقول المودودي: وإن لحرية النساء أيضاً يداً لا تنكر في إيجاد هذه الأحوال، وقد بلغ من ضعف رعاية الآباء ورقابتهم لبناتهم أنه قد تَهَيَّأَ لهن من الحرية والانطلاق ما لم يكن ميسوراً حتى للأبناء قبل ثلاثين أو أربعين عاماً [2].

من آفات وعواقب الانحرافات الجنسية ما يأتي:

١ - أنها تجلب الإثم والعقاب، وقد قرن الله تعالى الزنى بالشرك، وقتل النفس. قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾﴾ [3].

فلما كانت مفسدة الزنى من أعظم المفاسد، وهي منافية لمصلحة نظام العالم في حفظ الأنساب وحماية الفروج وصيانة الحرمات كانت تلي مفسدة القتل في الكبر [4].

---

(١) المصدر السابق، ص (٢٢٥).

(٢) أبو الأعلى المودودي، الحجاب ، ص (١٢٨).

(٣) سورة الفرقان: ٦٨.

(٤) ابن قيم الجوزية، الداء والدواء، ص (٢٦٤) ملخص.

وعقاب الزناة من غير المحصنين الجلد دون رأفة أو شفقة عليهم. قال تعالى: ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجْلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِاْئَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[1].

وقال ﷺ: (خذو عني، خذو عني، قد جعل الله لهن سبيلاً، البكر بالبكر جلد مائة ونفي سنة، والثيب بالثيب جلد مائة والرجم) [2].

وأما إذا كان متزوجاً أو سبق وأن تزوج فحده الرجم سواءً الزانى أو الزانية، فقد رجم ﷺ الغامدية وماعز رضي الله عنهما، [3] وإن كان عبداً أقام عليه الحد أيضاً، قال ﷺ: (إذا زنت أمة أحدكم فتبين زناها، فليجلدها الحد ولا يُثرب عليها، ثم إن زنت فليجلدها الحد، ولا يثرب عليها، ثم إن زنت الثالثة فتبين زناها فليبعها ولو بحبل من شعر) [4].

قال تعالى: ﴿فَإِذَآ أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَٰحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى ٱلْمُحْصَنَٰتِ مِنَ ٱلْعَذَابِ﴾[5].

وأما اللوطي فيُستأُصل من المجتمع، الفاعل والمفعول به، قال ﷺ: (من

(١) سورة سورة النور:٢.

(٢) مسلم (١٣١٦/٣) "رقم (١٦٩٠/١٢).

(٣) انظر: المصدر السابق (١٣٢١/٣ - ١٣٢٢) رقم (١٦٩٥/٢٢).

(٤) البخاري (٢٦٠/٤) برقم (٦٨٣٩)، ومسلم (١٣٢٨/٣) برقم (١٧٠٣/٣٠) واللفظ له.

(٥) سورة النساء: ٢٥.

وجدتموه يعمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول به، ومن وجدتموه وقع على بهيمة فاقتلوه واقتلوا البهيمة)[1].

وأما صفة الحد فقد قيل: يحرق بالنار، وقيل: يرمى من أعلى بناء منكّساً، وقيل: يرجم[2].

٢ - ومن آفات الزنى أنه يوجب الفقر، ويقصر العمر، ويكسو صاحبه سواد الوجه، ويورث المقت بين الناس، ويشتت القلب ويمرضه إن لم يُمته، ويجلب الهم والحزن والخوف؛ ولذلك شرع فيه القتل على أشنع الوجوه وأفحشها وأصعبها [3]؛ ولذلك تعارف الناس عن الأوربيين عدم غيرتهم على نسائهم حتى أصبح "زنى الأب بابنته والأخ بأخته لا يثير أي استغراب"[4].

وإذا تأملت غيرةُ المسلمين الذين يأبون على أهلهم فاحشة الجنس وجدتها في أوج قوتها وعنفوانها، قال سعد بن عبادة ﷺ: لو رأيت رجلاً مع امرأتي لضربته

(١) أبو داود (٤/٦٠٧-٦٠٨) برقم (٤٤٦٢)، والترمذي (٤/٤٧) برقم (١٤٥٦) وابن ماجه (٢/٨٥٩) برقم (٢٥٦١). وقال الألباني: صحيح، صحيح الجامع الصغير (٢/١١٢١) برقم (٦٥٨٩ - ٢٢٥٧) وأيضاً صحيح الترمذي للالباني برقم (١١٧٧-١٤٩٧).

(٢) انظر: سبل السلام للصنعاني (٤/١٢٨٤-١٢٨٥).

(٣) ابن قيم الجوزية، الداء والدواء، ص (٢٨٦) ملخص.

(٤) توفيق محمد عز الدين، دليل الأنفس بين القرآن الكريم والعلم الحديث، ص (٤١٠).

بالسيف غير مُصْفَح[1]، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال: (أتعجبون من غيرة سعد؟ فوالله لأنا أغير منه، والله أغير مني، ومن أجل غيرة الله حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن...)الحديث [2].

٣ - إذا تفشى الزنى في قوم نزل عليهم غضب الله وسخطه وعذابه، قال ﷺ: (إذا ظهر الزنى والربا في قرية فقد أحلوا بأنفسهم عذاب الله)[3].

٤ - وأما اللواط فهو فاحشة تأباها النفس، وتنفر منها الطباع السليمة التي لم تنحرف عن الفطرة التي فطر الله تعالى الناس عليها، فهو فاحشة أول من قام بها قوم لوط. قال تعالى: ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[4].

وقد وصف الله أهل اللواط بأنهم مجرمون، قال تعالى:﴿ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾[5].

كما وصف أصحاب هذا العمل بأنهم قوم سوء فاسقين، وأن عملهم من

(١) يقال: أصفحه بالسيف إذا ضربه بعرضه دون حده فهو مُصْفح. النهاية (٣/٣٤).

(٢) البخاري (٤/٣٨٧) برقم (٧٤١٦)، ومسلم (٢/١١٣٦) برقم (١٧/١٤٩٩).

(٣) الحاكم، المستدرك على الصحيحين، (٢/٢٣٧) وقال: حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير (١/١٧٨) برقم (٦٧٩).واللفظ له.

(٤) سورة الأعراف: ٨٠.

(٥) سورة الأعراف: ٨٤.

الخبائث، قال تعالى: ﴿وَلُوطًا ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَت تَّعْمَلُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ ۗ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَٰسِقِينَ﴾[1]، فالله سبحانه وتعالى وصف قوم لوط بأشنع الصفات وأقبحها؛ وذلك لقبح هذه الجريمة الخُلُقية، ولخروجها عن الطبع السليم الذي طبع عليه الإنسان.

٥ - واللواط مهلكة لأهله بغضب الله وسخطه وعقابه، وفي إهلاك قوم لوط آية وعبرة، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ ﴿٨٢﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ ۖ وَمَا هِىَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾[2].

فصورة العقاب مؤلمة حيث اقتلع قرى قوم لوط وجعل عاليها سافلها، وأمطر عليهم حجارة متتابعة، وهي صورة للتدمير الكامل الذي يقلب كل شيء، ويغير المعالم ويمحوها[3].

٦ - ومن أخطار الجنس على قوة الأمة العسكرية إذا انتشر بين عسكرها أنه يُضعف الجسم ويُنهكه، ودليل ذلك تجربة فرنسا المريرة حيث أدى الانحراف الجنسي في الجيش الفرنسي إلى اضمحلال قواهم الجسدية،

(١) سورة الأنبياء: ٧٤.

(٢) سورة هود: ٨٢-٨٣.

(٣) سيد قطب، في ظلال القرآن (٤/١٩١٥).

وتدرجها إلى الضعف يوماً فيوماً، فمنذ أوائل القرن العشرين وحكام الجيش الفرنسي يتساهلون في شروط مستوى القوة والصحة البدنية المطلوبة في المتطوعة للجند الفرنسي، فقد كان عدد الجنود الذين اضطرت الحكومة إلى أن تعفيهم من العمل، وتبعثهم إلى المستشفيات في السنتين الأولين من سنين الحرب الأولى لإصابتهم بمرض الزهري خمسة وسبعين ألفاً، وابتلى بهذا المرض في آن واحد (٢٤٢) جندياً في ثكنة متوسطة [1].

٧ - ومن آفات الانحرافات الجنسية على الجسم، ظهور الأمراض وانتشارها في الجسم، كمرض الزهري، فإنه يصيب جميع أنسجة الجسم وأعضائه، ويسبب نوعاً من البكتريا تسمى (الحلزونيات) تنتقل من شخص إلى آخر عن طريق الاتصال الجنسي، وهو مرض مميت إذا أصاب القلب أو الجهاز العصبي المركزي، وهناك مرض آخر وهو (السيلان) في الذكور والإناث يسبب حرقاناً شديداً عند البول، وقد يؤدي إلى التهاب في المفاصل، وعجز مفصلي دائم عند الذكور والإناث، وهناك مرض (الجرانيولوما الأربية) ويصيب عادة الأعضاء الجنسية الخارجية وما حولها، ويلتئم

(١) أبو الأعلى المودودي، الحجاب، ص (١٠١-١٠٢) ملخص.

بصعوبة، وإذا لم يعالج يؤدي إلى عجز شديد، وفقدان الوزن ثم الوفاة [1].

ومن الأمراض الحديثة التي ظهرت في عام ١٤٠٢هـ - ١٩٨١م مرض فقدان المناعة (الايدز) والذي ينتقل عن طريق الزنى واللواط وعمليات نقل الدم، وأكثر المصابين به من الشواذ جنسياً، وهو عبارة عن فيروس يقضي على الخلايا البيضاء، فيجرد الجسم من جهاز الدفاع، فاسحاً الطريق أمام هجوم الكائنات الدقيقة التي تسبب مختلف الالتهاب وحالات السرطان، وقد بلغ من انتشاره في أمريكا أن الإصابات تتراوح ما بين (١٠و١٢) إصابة يومياً [2].

والسمة المشتركة بين أمراض الزنى والبغاء واللواط أنها أمراض معدية تنتقل من المصاب إلى غيره بالزنى، وأحياناً بمقدماته، كما تتميز بصعوبة تشخيصها واكتشاف جرثومتها [3].

٨ - الزاني لا يليق به أن ينكح إلا زانية، قال تعالى: ﴿ٱلزَّانِى لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ ۚ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [4].

(١) عبد الرحمن واصل، مشكلات الشباب الجنسية والعاطفية تحت ضوء الشريعة الإسلامية، ص (١٤٨-١٥١) ملخص.
(٢) توفيق محمد عز الدين، دليل الأنفس بين القرآن الكريم والعلم الحديث،ص(٤٠٨-٤٠٩) ملخص.
(٣) المصدر السابق، ص (٤٠٧) ملخص.
(٤) سورة النور: ٣.

إن الزاني ما لم يتب فإنه لا يليق به إلا زانية أو مشركة، ولا تليق له امرأة مؤمنة صالحة أبداً، ولا يجوز لأهل الإيمان أن يزوجوه بناتهم مع علمهم بفجوره وخلاعة إزاره، وكذلك المرأة إن لم تتب فإنه لا يليق بها إلا زان أو مشرك، ولا يليق لها رجل مؤمن صالح عفيف البتة.

وهذا الحكم إنما ينطبق على أولئك الزناة من الرجال والنساء الذين لا يرتدعون عن عادتهم ولا يتوبون عنها، وأما الذين يتوبون ويصلحون أنفسهم فلا ينطبق عليهم هذا الحكم؛ لأن صفة الزنى لا تبقى ملصقة بهم بعد توبتهم وإصلاحهم أنفسهم [1].

من هذا يتبين كيفية قيام التربية الإسلامية بمعالجة هذا الانحراف السلوكي منذ بداية تكوين الأسرة بما يتوافق مع طبيعة الجرم والإصرار عليه، بعدم تزويج الزناة بالعفيفين والعفيفات، وفي حالة الإقلاع والتوبة الصحيحة والطهر يصبح وتصبح كغيرهما من المسلمين في حكم النكاح، فهو علاج اجتماعي لبتر انتشار الفساد، وعلاج نفسي واقعي ليحس الزناة ويشعرون بنبذ المجتمع لصنيعهم الخبيث.

(١) أبو الأعلى المودودي، تفسير سورة النورة، ص (٨٩).

التوجيهات التربوية العلاجية:

فيما يتعلق بالتوجيهات التربوية العلاجية الخاصة بالزنا، فالإسلام يضع لها ما يأتي:

١ - تربية نساء المسلمين على الحشمة والوقار، التحجب وعدم التبرج والاختلاط، ويكون ذلك من زايتين:

أ - بيان حكم التبرج والاختلاط وضرر السفور، ونشر ذلك بين الناس.

ب - تربية الأجيال على الحشمة وعدم الاختلاط استجابة لله وللرسول لما يحيا القلوب من موت الجهل والمعاصي،قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ يُدۡنِينَ عَلَيۡهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّۚ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَن يُعۡرَفۡنَ فَلَا يُؤۡذَيۡنَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا﴾[1].

٢ - تنشئة الشباب على الخشونة وعدم الميوعة وكراهية التشبه بالنساء في الملبس والزينة والمشي وطريقة الكلام؛ لأن ذلك قد يقودهم إلى الشعور بالأنوثة نتيجة اعتيادهم عليها، ومن ثم يستسهلون الانحراف الجنسي كاللواطة. قال ابن عباس رضي الله عنهما: (لعن رسول الله ﷺ المتشبهين من الرجال بالنساء والمتشبهات من النساء بالرجال)[2].

(١) سورة الأحزاب: ٥٩.

(٢) البخاري (٤/٧١)، برقم (٥٨٨٥).

٣ - تربية النفس والنشء على غض البصر، وبيان فوائده وعوائده على الإنسان، والتي منها:

أ - حلاوة الإيمان وقيمته بالنسبة لطمأنينة النفس وراحتها، فإن من ترك شيئاً لله عوضه عز وجل خيراً منه. قال ﷺ: (النظرة سهم من سهام إبليس مسمومة فمن تركها من خوف الله أثابه عز وجل إيماناً يجد حلاوته في قلبه) [١].

ب - نور القلب وصحة الفراسة، فكما أنه أمسك نور بصره عن المحرمات أطلق الله نور بصيرته وقلبه، فرأى به ما لم يره من أطلق بصره، ولم يغضه عن محارم الله، وهذا الأمر يحسه الإنسان في نفسه.

ج - قوة القلب وشجاعته، فيعطيه الله تعالى بقوته سلطان النصرة كما أعطاه بنوره سلطان الحجة فيجمع له بين السلطانين [٢].

د - إن في غض البصر تزكية للإنسان؛ لأن البصر رائد القلب كما أن الحمى رائد للموت[٣]، قال تعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ

(١) الحاكم، المستدرك على الصحيحين (٤/٣١٤) وقال: هذا حديث صحيح الإستاد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي في التلخيص.

(٢) انظر: ابن قيم الجوزية، إغاثة اللهفان (١/٥٩-٦١) ملخص.

(٣) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (١٢/١٥١).

﴿وَيَحْفَظُواْ فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾[1].

٥ - البعد عن المثيرات الجنسية كمشاهدة الصور والجلوس مع قرناء السوء، وسماع رقية الزنى (المعازف) التي تؤجج السعرات الحرارية لطلب فاحشة الجنس، وذلك لتأثيرها النفسي في حب الوصال والجماع، كما أن سماع الغناء استحلال لما حرم الله. كما قال ﷺ: (ليكونن أقوام من أمتي يستحلون الحِرَ[2] والحرير والخمر والمعازف[3])[4].

٦ - إيضاح ونشر مخاطر الخمر وأضراره، فهو أحد بواعث الانحراف الجنسي، لغياب عقل العاقل عن وعيه وإدراكه، وتعطيل دوره ومهمته، فيأتي السكران وينفِّذ ما يجول في تصوراته وخواطره تحت وطأة تأثير المسكرات والمخدرات.

٧ - علاج المصابين بهذه الانحرافات الجنسية بأساليب التربية الإسلامية المختلفة كالترهيب والترغيب، ولنا في الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التأثير النفسي الكبير على أولئك المنحرفين، ففيها أسلوب ضرب الأمثال

(١) سورة النور: ٣٠.

(٢) الحرا: الزنا، وأهل اللغة لم يذكروا هذه اللفظة بهذا المعنى، فتح الباري (١٠٥٥).

(٣) المعازف: آلات اللهو، المصدر السابق (١٠/٥٥).

(٤) البخاري (٤/١٣) برقم (٥٥٩٠).

كقوم لوط[1] وأسلوب القصة التي تشرح عفاف يوسف عليه السلام عندما راودته امرأة العزيز [2] والحوار المقنع كحواره ﷺ للذي جاء يستأذنه في الزنى [3].

٨ - التطبيق العملي للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حسب المواقف كما فعل ﷺ مع الفضل بن العباس رضي الله عنهما، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (أردف رسول الله ﷺ الفضل بن عباس يوم النحر خلفه على عجز [4] وكان الفضل رجلاً وضيئاً [5] فوقف النبي ﷺ للناس يفتيهم وأقبلت امرأة من خثعم وضيئة تستفتي رسول الله ﷺ فطفق الفضل ينظر إليها وأعجبه حسنها فالتفت النبي ﷺ والفضل ينظر إليها فأخلف بيده، فأخذ بذقن الفضل فعدل وجهه عن النظر إليها) [6].

ويتجلى التطبيق العملي للتربية الإسلامية فيما يحث عليه رسول الله ﷺ في كل موقف يتطلب توجيهاً ونصحاً وإرشاداً، فلم يترك الفضل ﷺ يوجه بصره صَوْب

(١) انظر: سورة العنكبوت، آية رقم (٢٨-٣٥) وسورة الشعراء، آية رقم (١٦٠-١٧٥) وسورة هود، آية رقم (٨٠-٨٣).

(٢) انظر: سورة يوسف، آية رقم(٢٣-٣٤).

(٣) أحمد (٥/٢٥٦-٢٥٧) وصححه الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة برقم (٣٧٠).

(٤) العجز: هو مؤخر الشيء، النهاية (٣/١٨٥).

(٥) الوضاءة: الحُسن والبهجة، المصدر السابق (٥/١٩٥).

(٦) البخاري (٤/١٣٥-١٣٦) برقم (٦٢٢٨).

تلك المرأة وإنما علَّمه درساً مباشراً أشعره فيه بما ينبغي له إزاء الأجنبيات، لخطورة النظر، فعن جرير بن عبد الله قال: (سألت رسول الله ﷺ عن نظر الفجاءة، فأمرني أن أصرف بصري) [1] فإذا شُوهِدَ الفرد يطيل النظر أو يتبع النظرة النظرة على ما حرم الله فإنه ينهى عن ذلك في حينه حتى ينغرس فيه ثوب الحياء والعفة، ويعرف بأن الناس ترمقه وتلاحظه وتمقت فعلته.

٩ - ومن دواعي اللواط والسحاق رؤية الرجل عورة الرجل، والمرأة عورة المرأة، فينبغي أن يحرص المرء على أن لا يرى عورته أحد، لقوله ﷺ: (لا تنظر المرأة إلى عورة المرأة ولا ينظر الرجل إلى عورة الرجل) [2].

ومنها: الفخذ؛ لقوله ﷺ: (إن الفخذ عورة)[3] لكن بعض الناس لا يجد غضاضة في أن يُظهر جل فخذه أمام الناس، ولا سيما عند من يلعبون الألعاب الرياضية على مختلف أنواعها وأشكالها؛ ولذلك لابد من تربية هذه الأجيال على هَدْي الإسلام، وتوجيههم التوجيه السليم، لتسمو هممهم وأخلاقهم عن الرذائل وأسبابها وبواعثها.

١٠ - بيان خطر اللواط على الفرد والمجتمع، وبيان قصة قوم لوط كيف

---

(١) مسلم (١٦٩٩/٣) برقم (٢١٥٩/٤٥).

(٢) ابن ماجه(٢١٧/١) برقم(٦٦١)، وصححه الألباني، صحيح سنن ابن ماجه برقم (٥٣٨-٦٦١).

(٣) أبو داود (٣٠٣/٤) برقم (٤٠١٤) والترمذي (١٠٢/٥) برقم (٢٧٩٥) واللفظ له، أحمد (٤٧٨/٣-٤٧٩)، وصححه الألباني، صحيح سنن الترمذي برقم (٢٢٤٥-٢٩٥٩).

أهلكهم الله، وأخذ الحيطة والحذر من الدعوة الغربية للواط، وأما علاجه فهو من طريقين:

أحدهما: حسم مادته قبل حصولها، بغضّ البصر، وامتثال أمر الله، وبالتالي يسد على الشيطان مدخله إلى القلب، إضافة إلى ما في ذلك من إشغال للقلب بمصالحه.

الثاني: استئصاله بعد نزوله بأن يُشغل قلبه بما يبعده عن ذلك، ويحول بينه وبين الوقوع فيه، بخوف مقلق، أو بحب مزعج؛ لأن النفس لا تترك محبوباً إلا لمحبوب أعلى منه، أو خشيةَ مكروهٍ حصوله أضر عليها من فوات هذا المحبوب، وأن يكون قوي العزيمة صابراً بما يمكنه من ترك هذا الفعل [1].

١١ - أن يبرز دور الإعلام والمدارس والجامعات ومؤسسات المجتمع التربوية والاجتماعية في مكافحة الرذيلة الجنسية بالعلاج والوقاية.

١٢ - ضرورة توجيه الإعلام إلى بناء الأخلاق، بعيداً عن الإثارات والمغريات التي تهدم الأخلاق، خاصة فيما يبثه من غناء وصور تؤدي إلى إفساد المجتمع.

(١) ابن قيم الجوزية، الداء والدواء، ص (٣٠٦-٣١٠) ملخص بتصرف.

المسكرات والمخدارت

من الانحرافات السلوكية التي تتنافى وتتعارض مع الأخلاق الإسلامية شرب الخمور والمخدرات لما لها من أضرار وعواقب وخيمة في الدين والمال والجسد والسلوك و المجتمع . وقبل البدء في الموضوع لابد من تبيانها وتعريفها:

مفهوم المسكرات المخدرات:

المعنى اللغوي:

السُّكْر: حالة تعرض بين المرء وعقله، وأكثر ما يستعمل ذلك في الشراب، والسكران، خلاف الصاحي، والسكر نقيض الصحو [1].

الخمر: خامر الشيء قاربه وخالطه [2]. قال ابن الأعرابي: «وسميت الخمر خمراً؛ لأنها تُركت فاختمرت، واختمارها تغير ريحها. ويقال: سميت بذلك لمخامرتها العقل» [3].

المخدرات: الخَدّرُ من الشراب والدواء: فتور يعتري الشارب وضعف [4].

(١) ابن منظور، لسان العرب (٤/٣٧٢).

(٢) المصدر السابق (٤/٢٥٤).

(٣) المصدر السابق (٤/٢٥٥).

(٤) المصدر السابق (٤/٢٣٢).

المعنى الاصطلاحي:

الخمر: كل شيء يستر العقل يسمى خمراً، وسميت بذلك لمخامرتها للعقل وسترها له [١]. «وهو ما أسكر من العصير أو من النبيذ أو من غير ذلك»[٢].

وهي مواد ناتجة عن الاختمارات التي تحدث في المواد السكرية الموجودة في بعض النباتات كالشعير والتمر والعنب والتفاح وبعض أنواع البصل.. الخ[٣].

السُّكْر: لذة ونشوة يغيب معها العقل الذي يحصل به التمييز فلا يعلم صاحبه ما يقول [٤].

والمسكرات: هي جميع الأشياء التي يشملها اسم الخمر [٥].

المُخدرات: أي مواد يتعاطاها الكائن الحي، بحيث تعدل وظيفة أو أكثر من وظائفه الحيوية[٦].

---

(١) الشوكاني، نيل الأوطار (١٣٩/٧).

(٢) الصنعاني، سبل السلام (١٣١١/٤).

(٣) صالح عبد العزيز آل منصور، موقف الإسلام من الخمر، ص(٢٧).

(٤) ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين (٣١٩/٣).

(٥) عبد الله بن أحمد قادري، الإسلام وضروريات الحياة، ص (١١٩).

(٦) سعود عبد العزيز التركي، العوامل المؤدية إلى تعاطي المخدرات والمنظور الإسلامي لمواجهتها، مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ص (٤٣٧)، نقلاً عن محمد محمود الهواري، المخدرات من القلق إلى الاستعباد، عمادة البحث العلمي، العدد الأول رجب ١٤٠٩هـ، فبراير ١٩٨٩م. قطر كتاب الأمة، ص(٢٣) شوال ١٤٠٧هـ.

ومن ذلك يتبين أن العلاقة بين الخمر والسكر والمخدرات علاقة كبيرة ووطيدة، مؤداها غياب العقل عن وعيه الصحيح. فالسكر: هو الحالة التي تصيب العقل نتيجة الخمر أو المخدرات، من نشوة ونشاط غير طبيعي، أو فتور أو غياب الوعي العقلي نتيجة المؤثر الخارجي. والخمر والمخدرات: هما اللذانِ يفعلان ذلك.

بواعث استخدام المسكرات والمخدرات:

لا يقدم المرء على عمل إلا بدافع يدفعه ويشده إلى إتيان ذلك العمل، سواء كان بمحض إراداته، أو كان بدافع خارجي، كأن يجبره شخص بالقوة الجبرية على إتيان ذلك الفعل، ومن الناحية السلوكية في حياة الإنسان، فإن البواعث: هي النابعة من الإرادة المطلقة للفرد؛ لأنها نتيجة ميول شخصية عاطفية أودت به للانحراف، أما ما هو خارج الإرادة: فإن الإنسان قد يُكره على إتيان فعل ولا يستطيع المقاومة، حيث يكون مسلوباً في إرادته، ومن تلك البواعث والدوافع لتعاطي الخمور والمسكرات ما يأتي:

١ - اتباع الهوى والبحث عن اللذة لوقتها -بغض النظر عن عواقبها- يدفعان الفرد إلى تحسسها، والتماسها، وإتيانها للتلذذ والنشوة بها، وعادة ما يكون ذلك عند من قل تمييزهم، وهذا ليس لضعفهم العقلي وعدم تبصرهم، ولكن لطغيان الهوى على العقل، فيندفع وراء إشباع شهواته، وإلى هذا المعنى أشار ابن قيم الجوزية بقوله: «فالسكر يجمع معنيين:

وجود لذة، وعدم تمييز، وقاصد السكر قد يقصدهما جميعاً، وقد يقصد أحدهما، فإن النفس لها هوى وشهوات تلتذ بإدراكها، والعلم بها في تلك اللذات من المفاسد العاجلة والآجلة يمنعها من تناولها، والعقل يأمرها بأن لا تفعل، فإذا زال العلم الكاشف المميز والعقل الآمر الناهي: انبسطت النفس في هواها وصادفت مجالاً واسعاً »[1].

٢ - ضعف البصيرة بأضرار المخدرات والمسكرات، «والجهل بما يرمي إليه الاستعمار من القضاء على المجتمع الإسلامي بتصدير هذه السموم لهم»[2]، وتهريبها لاصطياد ضعفاء البصيرة، والفتك بهم، مما يجعلهم يقدمون على تناولها وترويجها فيما بينهم، حتى إذا ضعفوا واستكانوا، أتوهم مستعمرين وفي اقتصادهم راغبين.

٣ - البصيرة الخاطئة في التصور بأن هذه المسكرات تقوي الناحية الجنسية، فيبحث عنها من يعاني من ذلك، في حين أن الواقع الطبي أثبت خلاف ذلك، وأثبت أنها مضعفة للجنس، ومدمرة للحيوانات المنوية وجالبة لكثير من العلل والأمراض[3].

٤ - الانتعاش الاقتصادي وما أدى إليه من فائض مادي.

---

(١) ابن القيم الجوزية، مدارج السالكين (٣/٣٢٠).

(٢) فرج زهران، المسكرات أضرارها وأحكامها، دراسة مقارنة في الشريعة الإسلامية، ص(٢٢٨).

(٣) المصدر السابق، ص(٢٢٨) ملخص.

٥ - انتشار عادة السفر إلى الدول الغربية وغيرها.

٦ - استقدام أعداد كبيرة من العمالة الأجنبية[1] مما ساعد على نشر العادات والمفاهيم الفاسدة، وترويج المسكرات والمخدرات، سواءً من خلال الحديث عنها أو عن أماكنها في بلادهم أو من خلال تهريبها.

آفات المسكرات والمخدرات:

آفات المخدرات والمسكرات جمة وأكثر من أن تحصى إلا في بحث مستقل بها؛ لأن آفاتها تصيب الدين، والمال، والعقل، والنفس بالأمراض، وتؤدي إلى زعزعة المجتمع والأمن، وسوف يُقْتَصُر هنا على أبرزها وأهمها:

١ - أنها تغير الخُلُق؛ لأن نشوة الخمر تسري في عروق السكران، فتسوء أخلاقه لهذيانه، وتكشف أسراره وأسرار غيره، وقد كانت جواسيس الأعداء تعتمد على الخمر في كسب المعلومات الخطيرة.

٢ - أنها توقف النمو العقلي والجسدي، وهو من أهم مقومات الأخلاق وأركانها؛ إذ إنه إذا غاب العقل فسد الخلق بالضرورة لعدم قدرته على ضبط السلوك.

٣ - أنها تُعرض صاحبها للأمراض المعدية، وتفتك بصحته، وأجهزته

(١) انظر سعود عبد العزيز التركي، العوامل المؤدية إلى تعاطي المخدرات والمنظور الإسلامي لمواجهتها، مجلة جامعة الإسلامية محمد بن سعود الإسلامية، ص(٤٢٢-٤٢٣) عمادة البحث العلمي، العدد الأول، رجب ١٤٠٩هـ فبراير ١٩٨٩م.

الجسمية.

٤ - تحوِّل المخمور إلى حالة بهيمية.

٥ - أنها تصد صاحبها عن ذكر الله وإقام الصلاة[١]، قال تعالى:﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾[٢].

فالمسكرات والمخدرات تحرم المرء من تلاوة القرآن وحضور حلقات العلم ومجالسة الصالحين ومعاشرتهم؛ لأنه يَنْفِر منهم بسبب اختلاف الطباع وتباين الرأي.

٦ - تجلب له السفاهة والحماقة والغضب المخالفة للتعقل وحسن الخلق والطباع، فلا تسمع إلا أقوالاً لاغية ومنكرة، ولا ترى إلا حركات مزرية؛ لأن العقل يتعطل، فتبقى النفوس تحت تصرف الخيال، فتنبعث إرادتها من غير تعقل، فيقتل أو يُقتل أو يعتدي أو يعتدى عليه[٣].

ولا فرق في هذا الانحطاط السلوكي النفسي بين من يتناول قليله أو كثيره فقد أثبتت التجارب في مختبرات فسيولوجية في جامعات "مونبولي، والجزائر،

(١) عبد الرحمن الدوسري، تربية الإسلام وادعاءات التحرر، ص (٣١٢-٣١٩) ملخص.

(٢) سورة المائدة:٩١.

(٣) محمد الخضر حسين، رسائل الإصلاح (٢/٢٣-٢٥) ملخص.

وليون" أنه قد تكون كمية الخمر قليلة جداً، لكن الخمر قادر بتلك الكمية أن يحدث تغيراً في التوازن النفسي[1]. والإسلام حرم كثيره وقليله، قال ﷺ: (ما أسكر كثيره فقليله حرام) [2].

٧ - إن شجرة التبغ لا يقربها حيوان ولا طائر؛ لأنهم بغريزتهم يعرفون ضررها[3] فإذا كان الحيوان يُدرك بفطرته خطورة هذه الشجرة فما بال أصحاب العقول عنها يبحثون، وبها يستمتعون، ومن أجلها يخسرون الدين والمال؟ فهل الحيوان أعقل منهم بفطرته؟ إن الجواب يكمن في أن ما أصاب هؤلاء المدمنين والمتعاطين للمسكرات والمخدرات من انحراف فطرتهم بسبب سوء تربيتهم في الأسرة والمجتمع.

٨ - أنها تسبب الضعف الجنسي بضمور المبيض عند المرأة وضمور وتصلب الخُصي عند الرجل، حيث قال أحد الباحثين عن إدمان (الغول) أنه أثناء تشريح مدمني السكر لم يشاهد الحيوانات المنوية في ٨٦٪ من الحوادث التي قام بتشريحها[4].

---

(١) توفيق الخضر عز الدين، دليل الأنفس بين القرآن الكريم والعلم الحديث، ص(٤١٢).

(٢) أبو داود(٤/٨٧) برقم (٣٦٨١)، الترمذي (٤/٢٥٨) برقم (١٨٦٥)، واحمد (٢/٩١) قال الألباني: حسن صحيح، صحيح سنن الترمذي برقم (١٥٢٠-١٩٤٣).

(٣) محمد جميل زينو، التوجيهات الإسلامية لإصلاح الفرد والمجتمع، ص(٤٠٠).

(٤) صالح عبد العزيز آل منصور، موقف الإسلام من الخمر، ص (٢٥).

وقد لوحظ كذلك وجود علاقة مباشرة بين التدخين وداء "الأنورسما" وهو تمدد الأوعية الدموية الذي يصيب عادة الشريان الأورطي كما يشكل داء السرطان المستعصي حتى الآن على العالم [1].

والغولية: مرض خطير يصيب المدمنين على شرب الخمور مسبباً فيهم اضطرابات جسمية ونفسية شديدة، وهي بالإضافة إلى ذلك مرض اجتماعي وبيل يفتك بأبناء المجتمع، فيهلك أجسامهم ويشوه عقولهم ويفقدهم قيمهم الخلقية، جاعلاً منهم عناصر ضارة بالمجتمع الإنساني [2].

٩ - أنها تسبب الاضطرابات النفسية بالشعور باليأس والقنوط والقلق وعدم الاستقرار والخوف من أمور عادية بسيطة، وهذا يؤدي إلى فقدان القيم الخُلُقية ويؤدي إيضاً إلى الجنون، حيث لوحظ أن ٥٠٪ من المصابين بالجنون من مدمني الخمر [3].

١٠ - أنها شديدة الإضرار بالدماغ الذي هو مركز العقل[4] وبالتالي تؤدي إلى الإجرام لاختلال الدماغ، وقد دلت الدراسات وبينت أن الشباب المتعاطي للمخدرات يرتكبون الجرائم بدون وعي وتمييز. ففي فرنسا

(١) أحمد المبارك الحريبي، أثر المخدرات والمسكرات والتدخين في الصحة والدين، ص(٩٢).

(٢) صالح عبد العزيز آل منصور، موقف الإسلام من الخمر، ص(٣٤).

(٣) المصدر السابق، ص(٣٥-٣٦) ملخص.

(٤) ابن القيم الجوزية، زاد المعاد (١٥٧/٤).

مثلاً نسبة الاعتداء من جانب متعاطي المخدرات ٦٦٪ ونسبة ٨٢٪ ارتكبوا جرائم العنف، و٥٢٪ ارتكبوا جرائم التعدي على الموظفين الرسميين[١] ولا شك أن جرائم القتل والعنف من الرذائل التي تمقتها التربية الإسلامية وتحاربها بوسائلها المختلفة، مثل:

أ - غرس الوازع الديني.

ب - وضع الحدود والعقوبات الراداعة لها.

ج - النصح والإرشاد، والترغيب والترهيب بمختلف أنواع وأساليب التربية الإسلامية.

١١ - أن صاحبها قد ارتكب معصية محرمة، قال ﷺ: (كل مسكر خمر، وكل مسكر حرام، ومن شرب الخمر في الدنيا، فمات وهو يدمنها لم يتب، لم يشربها في الآخرة) [٢].

١٢ - ان شاربها أوجب تعريض نفسه لإقامة الحد عليه. فعن أنس بن مالك رضي الله عنه: (أن النبي ﷺ أتي برجل قد شرب الخمر فجلده بجريدتين نحو أربعين. قال: وفعله أبو بكر، فلما كان عمر استشار الناس، فقال

(١) سعود عبد العزيز التركي، العوامل المؤدية إلى تعاطي المخدرات والمنظور الإسلامي لمواجهتها، ص (٤٢٧).

(٢) مسلم (١٥٨٧/٣) برقم (٢٠٠٣/٧٣).

عبد الرحمن: أخف الحدود ثمانين فأمر به عمر) [1].

١٣ - أن شارب الخمر عرض نفسه لعقوبة الله في الآخرة، كما جاء في الحديث الصحيح أن النبي ﷺ قال: (كل مسكر حرام، إن على الله ﷻ عهداً لمن يشرب المسكر أن يسقيه من طينة الخَبَال، قالوا: يا رسول الله، وما طينة الخبال؟ قال: عرق أهل النار أو عصارة أهل النار)[2].

١٤ - أن شارب الخمر في الدنيا يحرم نفسه من شرب خمر الآخرة، كما قال ﷺ: (... ومن شرب الخمر في الدنيا فمات وهو يدمنها، لم يتب، لم يشربها في الآخرة)[3].

التوجيهات التربوية العلاجية:

من أهم التوجيهات التربوية العلاجية للانحرافات الخاصة بتعاطي الخمور والمخدرات ما يأتي:

١ - إبراز الحكم الإسلامي في تناول المخدرات والمُسْكرات وبيعها وترويجها مع ذكر الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي تحذر من هذا الوباء؛ لأن في ذلك تربية زاجرة ناهية عنها، وتربي في الإنسان الخوف من الله،

(١) البخاري)٤/٢٤٦) برقم (٦٧٧٩)، ومسلم (٣/١٣٣٠) برقم (٣٥/١٧٠٦) واللفظ له.
(٢) مسلم (٣/١٥٨٧) برقم (٧٢/٢٠٠٢).
(٣) سبق تخريجه.

ومن أليم عقابه، والإنصراف عن كل ما يؤذي النفس ويكدرها.

٢ - إظهار النقد الاجتماعي اللاذع لأولئك الذين يتعاطونها أو يروجونها واجتنابهم، ونصحهم، وتوجيههم.

٣ - إبراز مضارها على الناحية الصحية وما تسببه من أضرار في الأجهزة المعوية والتناسلية، وفي الدماغ، وكذلك إبراز مضارها على الاقتصاد والأمن والمجتمع.

٤ - إيجاد البديل لأولئك الذين يتعاطونها من أجل الهروب من المشكلات والأحزان والمصائب التي تواجههم في الحياة، وتذكيرهم بما جاء في الحديث أن النبي ﷺ قال: (ما قال عبد قط إذا أصابه همّ وحزن، اللهم إني عبدك وابن عبدك، ابن أمتك، ناصيتي بيدك، ماضي فيّ حكمك عدل فيّ قضاؤك، أسألك بكل اسم هو لك، سميت به نفسك أو أنزلته في كتابك، أو علمته أحداً من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك، أن تجعل القرآن ربيع قلبي ونور صدري وجلاء حزني وذهاب همي، إلا أذهب الله ﷻ همّه وأبدله مكان حزنه فرحاً)[1].

وكثير من الناس اليوم يجهلون مثل هذه الأدعية لقلة بيانها وإذاعتها بين

(١) أحمد (١/٤٥٢).

الناس. وما من إنسان إلا ويهتم ويحزن لما يواجهه من مشكلات أو قضايا لا تتفق مع توجهاته وتطلعاته، فالبعض يصبر ويحتسب ذلك عند الله، والبعض يعمل على إزالتها بالطرق المشروعة مع الصبر والاحتساب لذلك عند الله، وشرذمة تعالج ذلك بعلاج قصري، وهو تعطيل العقل برهة من الزمن ليتناسى تلك القضايا والأحزان ثم يعود إليها.

٥ - توجيه ونصح من يقدمون لضيوفهم (الدخان والجراك "الشيشة") ويظنون أن ذلك من الكرم والسخاء. وما علم أولئك أنهم يقدمون معصية ترتكب وخطراً ينتشر، ويضرمون ناراً محرقة ومهلكة للجسم، وبوسعهم أن يعملوا على إخمادها وإطفائها بعدم تقديمها، وبالنصح والإرشاد.

٦ - أن تمنع الدول الإسلامية صناعة الخمور والدخان واستيرادها من الخارج، ووضع العقوبات الصارمة على المروجين والمهربين الذين هم الأساس الأول في نشرها وتداولها بين الناس.

٧ - قيام المسجد والإعلام ، والمدارس والجامعات، وعموم المؤسسات التربوية والاجتماعية بدورها الحقيقي في محاربة هذه السموم بالكلمة والكتابة الصادقة المندفعة من الوازع الديني؛ لأن تأثير ذلك في القلب

كبير وعميق.

التبرُّج

مفهوم التبرج:

التبرج إظهار المرأة زينتها ومحاسنها للرجال. وتبرجت المرأة إذا أظهرت وجهها و أبدت محاسن جيدها ووجهها[1].

إن التبرج في جميع صوره باب واسع للفتنة والفساد وضياع الأخلاق، سواء كان بترخيم الصوت وتحسينه، أو بشفافية الملابس، أو تقصيرها وإظهار جزء من جيدها، أو بمشية فيها الميوعة والإنحلال. فهو داء عضال وشر كبير مستطير.

والتربية الإسلامية لها في هذا توجيه عظيم وإرشاد سديد بالزجر والتأنيب، والترغيب بما يتوافق مع حالات البشر وطباعهم.

بواعث التبرج:

إن الأسباب الخاصة وراء بواعث التبرج تتمثل في:

١ - ضعف التربية الدينية وهشتها وفقدان قوتها، يسبب ظهور الانحلال واتباع الهوى في الأسرة والمجتمع.

٢ - الرغبة في إظهار الزينة والجمال ليرى الناس حسن وجمال المتبرجة ويظهر ذلك في تجميل الشعر وحسره، وارتداء الملابس الشفافة والضيقة والقصيرة ليرى

(١) ابن منظور، لسان العرب (٢/٢١٢٠) مادة: برج.

الناس ما يجب أن يوارى عنهم.

٣ - ومن الأسباب التي تبعث إلى التبرج: الخائنة القلبية بتلذذ الحديث بين الرجل والمرأة وذلك بأن خائنة القلوب قد جعلت الصوت رخيماً واللهجة مشوقة والحديث عذباً، فنهى القرآن عن ذلك بقوله تعالى: ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسۡتُنَّ كَأَحَدٖ مِّنَ ٱلنِّسَآءِۚ إِنِ ٱتَّقَيۡتُنَّ فَلَا تَخۡضَعۡنَ بِٱلۡقَوۡلِ فَيَطۡمَعَ ٱلَّذِي فِي قَلۡبِهِۦ مَرَضٞ وَقُلۡنَ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗا﴾[١].[٢]

يقول ابن كثير: هذا أدب أمر الله تعالى به نساء النبي ﷺ، ونساء الأمة تبعاً لهن في ذلك [٣].

٤ - والتقليد من بواعث التبرج عند مجاراة الآخرين، لاسيما إذا كان يواكب ذلك التقليد الشعور بالانهزامية أمام الجماعة أو المجتمع الذي يقلده؛ لأن المغلوب مولع في الاقتداء بالغالب في شعاره وزيه ونحلته وسائر أحواله وعوائده[٤] وهذا ليس دائماً أو قاعدة، ولكنه شائع عند من لا مبدأ له.

٥ - فقدان النقد: وإذا عم التقليد الأعمى السواد الأعظم من المجتمع قل

(١) سورة الأحزاب: ٣٢.

(٢) أبو الأعلى المودودي "الحجاب"، ص (٢٨٣).

(٣) "تفسير القرآن العظيم" لابن كثير (٣/٤٩٠).

(٤) ابن خلدون "المقدمة" ص (١٤٧).

النقد الاجتماعي فلا تجد المرأة غضاضة[1] في التبرج؛ لأن لسان النقد مربوط تحت وطأة التقليد. والإسلام يأمرنا بالنصيحة، كما قال ﷺ: (الدين النصيحة. قلنا: لمن؟ قال: لله، ولكتابه، ولرسوله، ولأئمة المسلمين وعامتهم) [2]ولقد وضح المنهج الإسلامي القاعدة في النصح والتغيير، وهي:

التغيير الفعلي باليد، فإذا فُقدت الاستطاعة كان باللسان، وأقله بالقلب، كما قال ﷺ: (من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطيع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان) [3].

آفات التبرج:

تتمثل آفات التبرج فيما يلي:

١ - إثارة الفتنة والغرائز بما تلبسه المرأة من الملابس الضيقة والشفافة، وبصوتها، وبما تكشفه من جسدها، وبما تضعه من الزينة والعطر؛ ولذلك حذر الإسلام من فتنة المرأة، فقال ﷺ: (ما تركت بعدي فتنة أضرّ على الرجال من النساء)[4].

---

(١) غضاضة: منقصة "المعجم الوسيط (٦٥٤/٢) مادة: غض.

(٢) مسلم (٧٤/١) برقم (٥٥/٩٥).

(٣) مسلم (٦٩/١) برقم (٧٨-٤٩).

(٤) البخاري (٣٦١/٣) برقم (٥٠٩٦) واللفظ له، ومسلم برقم (٩٧-٧٤٠).

٢ - إن تبرج النساء مخالفة واضحة لأوامر الله تعالى التي تقضي بأن لا تخضع المرأة في القول بترخيم صوتها وتحسينه فيطمع من في قلبه مرض. وأن تتخذ من بيتها مقراً وسكناً لها، ولا تخرج متبرجة، مبدية لزينتها ومحاسنها للرجال، قال تعالى: ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٣٢﴾ وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[1].

٣ - إن التبرج وسيلة للوقوع في الفاحشة، فالمرأة تتزين وتظهر مفاتنها ومحاسنها، والرجل يتأثر بذلك وينجذب إليها خاصة في هذا العصر الذي تفنن القوم في إنتاج وسائل الزينة والمغريات من ملابس شفافة ومساحيق لامعة، وسفور ما بعده سفور، فأصبحت "تهيج فيه الفتن وتثور فيه الشهوات وتتحرك فيه الأطماع"[2].

ولا شك أن هذا التبرج بكل ما فيه من الإثارة يقود إلى الوقوع في الفاحشة التي يريد الإسلام أن يطهر المجتمع البشري منها؛ ولذلك نهى الإسلام المرأة أن

(١) سورة الأحزاب: ٣٢-٣٣.

(٢) سيد قطب، في ظلال القرآن (٥/٢٨٥٩).

تتعطر وتمر على مجالس الرجال حتى لا تثير الشهوة وتنبه الغريزة، فقال ﷺ: (كل عين زانية، والمرأة إذا استعطرت فمرت بالمجلس فهي كذا وكذا -يعني زانية-)[1] كما نهى أن تضرب المرأة برجلها في مشيها لتظهر زينتها كصوت حُليها وزخرفة ثيابها. قال تعالى: ﴿وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ﴾[2].

٤ - إن التبرج سمة من سمات الجاهلية، التي كانت قبل عهده-ﷺ- فهي في كل مجتمع لا يدين بالإسلام، وما يعيشه المجتمع الغربي اليوم من جاهلية لهو أفظع من جاهلية ما قبل الإسلام بأساليبه وطرقه الداعية إلى الفحشاء والمنكر بالصوت والصورة عبر الصحافة والإعلان، وما يبثه من سموم أثرت على العالم الإسلامي بالتقليد الأعمى من نساء المسلمين للمتبرجات من النساء؛ والله تعالى يقول: ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ﴾[3].

(١) الترمذي (٥/٩٨-٩٩) برقم (٢٧٨٦) واللفظ له. وقال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح، النسائي(٨/١٥٣) برقم(٥١٢٦)، وحسنه الألباني، صحيح سنن الترمذي برقم (٢٢٣٧-٢٩٤٩).

(٢) سورة النور: ٣١.

(٣) سورة الأحزاب: ٣٣.

التوجيهات التربوية العلاجية

من التوجيهات التربوية العلاجية للتبرج ما يأتي:

١ - إبراز حكم الإسلام في التبرج والسفور، والحكمة من صون المرأة عن الفساق والفساد. والحفاظ على سمعتها ومكانتها في المجتمع كمربية وأم وأستاذة في البيت.

٢ - إظهار التزام الصحابيات بالحجاب والحشمة والعفة وتنفيذهن لأوامر التشريع الإسلامي دون تهاون أو تخاذل، فلعل ذلك يثير حب الاقتداء بالصحابيات الجليلات في عفتهن وحشمتهن.

٣ - إبراز مساوئ التبرج وما يقود إليه من الفساد والفحشاء، وما آل إليه نساء الغرب، بأن أصبحن كالسلع تشترى وقت صلاحيتها ليُمتص ما فيها، ثم ترمى عند الانتهاء في سلة المهملات ليحتضنها دار العجزة والرعاية الاجتماعية، فضاعت الحياة الزوجية الهانئة المطمئنة، وماتت روح التربية والرعاية للأبناء، وليعرف ذلك دعاة تحرير المرأة لعلهم من سكرتهم يفيقون وإلى رشدهم يعودون.

٤ - إظهار دور المسجد والبيت والإعلام والمؤسسات التربوية في توجيه المجتمع وإرشاده، وغرس الحياء والعفة في نفوسهم وخاصة وسائل الإعلام التي لها الدور الكبير والأثر العظيم في نشر الصلاح والفساد،

لأهمية جهازها وتعدد وسائلها وانتشار بثها في كل بقعة من المعمورة.

٥ - مشاركة المؤسسات العامة التي تعمل فيها المرأة كالمستشفيات وغيرها في منع التبرج والاختلاط، حتى يكون ذلك عامل تشجيع واقتداء ونشر لفضيلة العفة والاحتشام.

٦ - أن يعتز المرء بتوجيهات دينه ويتخلق بأخلاقه، وينقاد لأوامره.

البخل

مفهوم البخل:

المعنى اللغوي للبخل:

البُخل والبَخل: لغتان وقرئ بهما. والبَخْل والبُخول: ضد الكرم، والمبخَلْة: الشئ الذي يحملك على البخل [١].

المعنى الاصطلاحي للبخل:

البخل: هو قصد المنع وإيثار الشح وامتناع البذل في كل الوجوه[٢].

والبخل من الأخلاق المذمومة الممقوتة؛ لما فيه من الشح في الإنفاق، والحرص على كنز الأموال وجمعها، وقد يقود الفرد إلى التظاهر بالفقر خوفاً من الإقراض ومساعدة الآخرين، أو يقوده إلى عدم إكرام الضيف، والنفقة على

(١) ابن منظور، لسان العرب (٤٧/١١) مادة: بخل.

(٢) أحمد محمد جاد المولى، الخلق الكامل، (٤٦٩/٤).

الأبناء، وهذا قد يؤدي بالأبناء إلى المسألة وتقليد الآباء في ذلك.

والبخل قد يكون في المال، وقد يكون في العلم، وفي أنماط سلوكية مختلفة.

بواعث البخل:

من الأسباب المؤدية للبخل ما يلي:

١ - الشح: وهو بخل مع حرص[١]، وقد نهى عليه الصلاة والسلام عن الشح وبَيّن آفاته الوخيمة. فقال ﷺ: (اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة، واتقوا الشح فإن الشح أهلك من كان قبلكم، حملهم أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم)[٢] وقال تعالى: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[٣].

٢ - ومن بواعث البخل: حب المال لذاته[٤]، وهذا يدفعه إلى الحرص على جمعه وعدم إنفاقه فيما يجب، وبالقدر والسعة المطلوبة.

٣ - الجهل وعدم العلم بأهمية الإنفاق والكرم، وأنه ينمي المال ويزيد بركته. قال النبي ﷺ فيما يرويه عن ربه ﷻ: (قال الله تبارك وتعالى: يا ابن آدم

(١) الأصفهاني المفردات في غريب القرآن، ص (٢٥٦).

(٢) مسلم (١٩٩٦/٤) برقم (٥٦-٢٥٧٨).

(٣) سورة التغابن: ١٦.

(٤) أحمد محمد جاد المولى، الخلق الكامل، ص (٤٦٩).

أَنْفِق، أُنْفِق عليك)[1]، وقال ﷺ: (ما نقصت صدقة من مال) [2].

آفات البخل ما يأتي:

١ - أن البخل مضر للبخيل في دينه، فهو يمنعه من أداء الزكاة والصدقة وإكرام الضيف والجار، وصلة الأرحام. قال تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾[3]. أي لا يحسبن البخيل أن جمعه المال ينفعه، بل مضرة عليه في دينه وربما كان في دنياه، ثم أخبر بمآل أمر ماله يوم القيامة فقال تعالى: ﴿سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾[4].

ومانع الزكاة يعذب بأبشع العذاب، قال ﷺ: (من آتاه الله مالاً فلم يؤد زكاته مُثِّل له يوم القيامة شجاعاً أقرع له زبيبتان [5]. يُطوّقُه يوم القيامة، ثم يأخذ بلِهزِمَتيهِ - يعني بشدقيه - ثم يقول: أنا مالك أنا كنزك)[6].

٢ - أن الشح مهلكة ومدعاة إلى القتل والنهب والسلب: فبسبب منع الزكاة

---

(١) البخاري (٣/٤٢٤) برقم (٥٣٥٢)، ومسلم ((٢/٦٩٠-٦٩١) برقم (٣٦-٩٠٩٣) واللفظ له.

(٢) سبقه تخريجه.

(٣) سورة آل عمران: ١٨٠.

(٤) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (١/٤٤٢).

(٥) الزبيبة: نكتة سوداء فوق عين الحية، وقيل هما نقطتان تكتنفان فاها، وقيل هما زبدتان في شدقيها، النهاية (٢/٢٩٢).

(٦) البخاري، (١/٤٣٣) برقم (١٤٠٣) واللفظ له، ومسلم (٢/٦٨٥).

والعطف على المحاجتين ربما زجت بهم الفاقة إذا لم يكن يردعهم الوازع الديني إلى السلب والنهب والقتل، وبغض ذوي الأموال، وقد حذرنا المصطفى ﷺ منه، وبين لنا مضاره على المجتمع. فقال عليه الصلاة والسلام: (اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة، واتقوا الشُح فإن الشح أهلك من كان قبلكم، حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم) [1].

٣ - أن البخل باب للتلف، والعطاء باب للنماء ولزيادة، فقد قال ﷺ: (ما من يوم يُصبح العباد فيه إلا ملكان ينزلان فيقول أحدهما: اللهم أعط منفقاً خلفاً، ويقول الآخر: اللهم أعط ممسكاً تلفاً) [2].

٤ - ومن آفاته أن يظهر البخيل بمظهر الفقر والهيئة الرثة من جراء بخله على نفسه. فقد أمر رسول الله ﷺ الأحوص أن يري أثر ماله، فعن أبي الأحوص عن أبيه قال: (دخلت على رسول الله ﷺ فرآني سيئ الهيئة. فقال ﷺ: هل لك من شيء؟ قال: نعم، من كل المال قد آتاني الله. فقال: إذا كان لك مال فليُرَ عليك)[3].

(١) سبق تخريجه.

(٢) مسلم (٢/٧٠٠) برقم (٥٧-١٠١٠).

(٣) النسائي (٨/١٩٦) برقم (٥٢٩٤) وقال الألباني: صحيح، صحيح سنن النسائي، برقم (٤٨٨٨).

٥ - أن البخل من خصال أهل الكتاب كما قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ وَيَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبُخۡلِ وَيَكۡتُمُونَ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦۗ وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٗا مُّهِينٗا﴾[1]

قال ابن كثير - رحمه الله -: وقد حمل بعض السلف هذه الآية على بخل اليهود بإظهار العلم الذي عندهم من صفة محمد ﷺ وكتمانهم ذلك؛ ولهذا قال تعالى: ﴿وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٗا مُّهِينٗا﴾[2].

فوصفهم ببخل العلم، وبخل المال، وإن كان السياق يدل على أن البخل بالعلم هو المقصود، وقد ابتلي به طوائف من المنتسبين إلى العلم، فإنهم تارة يكتمونه بخلاً به، وكراهة أن ينال غيرهم من الفضل ما نالوه، وتارة اعتياضاً عنه برئاسة، أو مال ويخافون من إظهاره انتقاص رياستهم أو مالهم[3].

التوجيهات التربوية العلاجية

من التوجيهات التربوية العلاجية ما يأتي:

١ - أن يتعوذ الإنسان من البخل، فقد كان يتعوذ منه رسول الله ﷺ، وهو من أجود الناس وأكرمهم. فيقول: (اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن

(١) سورة النساء: ٣٧.

(٢) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (١/٥٠٨).

(٣) ابن تيمية، اقتضاء الصراط المستقيم، ص (٧) ملخص.

والعجز والكسل والبخل والجبن وضلع الدين وغلبة الرجال)[1].

٢ - أن تقوم المؤسسات التربوية بدورها التعليمي الإرشادي في بيان أهمية الإنفاق في الإسلام وثوابه وأجره، وأنه من أسباب نماء المال وزيادته وبركته، وأن البخل من الأسباب المؤدية إلى البغضاء والكره والفساد وسفك الدماء والسرقة، وأن وباله وخطره على البخيل والمجتمع خطير.

٣ - أن يجاهد الإنسان نفسه بالإنفاق ويعودها على العطاء، ويغلب عاطفة الإنفاق على حب كنز المال، ويدفعها بإرادة قوية، يشدّها التطلع إلى جنة عرضها السموات والأرض.

٤ - أن يؤدي الآباء والأمهات والمربون دورهم التربوي، ويكونوا قدوة للأبناء في الإنفاق دون إسراف.

٥ - أن يُنظر إلى كرم الصحابة وإيثار بعضهم على بعض، كما قال تعالى في وصف الأنصار: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾[2].

---

(١) البخاري (٢/٢٣٩-٣٣٠) برقم (٢٨٩٣) واللفظ له، ومسلم (٤/٢٠٨) برقم (٥٢-١٧٠٦).

(٢) سورة الحشر: ٩.

السرقة

مفهوم السرقة:

المعنى اللغوي:

السرقة: هي أخذ ما ليس له أخذه في خفاء[1].

المعنى الاصطلاحي:

السرقة: هي أخذ الشيء في خفية[2].

إن من الاختلالات السلوكية التي تنشأ من سوء التربية على المبادئ الإسلامية، التهاون في أخذ حقوق الآخرين بغير وجه شرعي، والتمتع بها، مما يؤدي إلى الخوف، والرعب، والحرمان من الطمأنينة، والأمان على الممتلكات. والمتأمل في التوجيهات الإسلامية يجد أنها تشدد على مرتكبي هذه الجريمة السلوكية؛ للحد منها ومن ويلاتها. قال تعالى: ﴿وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[3]، وقال ﷺ: (لعن الله السارق يسرق البيضة فتقطع يده ويسرق الحبل فتقطع يده)[4].

---

(١) الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ص(٢٣١).

(٢) سيد سابق، فقه السنة (٤٨٦/٢).

(٣) سورة المائدة: ٣٨.

(٤) البخاري (٢٤٧/٤) برقم (٦٧٨٣)، ومسلم (١٣١٤/٣) برقم (١٦٨٧/٧).

من بواعث السرقة ما يأتي:

١ - سوء التربية على المنهج الإسلامي الحنيف، فيرى الأب أو الأم الابن وبيده ما لم يعطياه فلا يسألانه من أين حصل عليه؟ ولا يتحققان من ذلك، وقد يتساهلان في الأمر، حتى إذا شبّ الطفل على ذلك واعتاده استصعب على الوالدين تربيته، وربما تركاه يهيم في السرقة وأساليبها. فقد حكمت إحدى المحاكم على سارق بالعقوبة، وكانت حكم الله في كتابه بقطع يده، فلما جاء وقت التنفيذ قال لهم بأعلى صوته: قبل أن تقطعوا يدي فقد سرقت أول مرة في حياتي بيضة من جيراننا فلم تؤنبني أمي ولم تطلب إليّ إرجاعها إلى الجيران، بل قالت: لقد أصبح ابني رجلاً، فلولا لسان أمي، الذي زغرد للجريمة لما كنت في المجتمع سارقاً[١].

٢ - التهاون في تطبيق حد السرقة أو عدم تطبيقه البتة يشجع ضفعاء النفوس على السرقة، وقد شدد ﷺ على تطبيق حد السرقة، فقال: (وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها) [٢].

٣ - ومن بواعث السرقة الغيرة والطمع فيما في أيدي الآخرين، وفيما هم فيه

(١) مصطفى السباعي، أخلاقنا الاجتماعية ص (١٦٢).

(٢) البخاري (٤/٢٤٨-٢٤٩) برقم (٦٧٨٨) ومسلم (٣/١٣١٥) برقم (٨/١٦٨٨) واللفظ له.

يمتعون، إذ قد تدفع الغيرة إلى السرقة من طريق غير مباشر [1].

من آفات السرقة ما يأتي:

١ - أنها تعرض صاحبها إلى قطع يده حداً. قال تعالى: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[2].

٢ - أنها تعرض صاحبها للعنة الله ﷻ، كما جاء في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال: (لعن الله السارق يسرق البيضة فتقطع يده ويسرق الحبل فتقطع يده) [3].

٣ - زعزعة الطمأنينة النفسية في المجتمع لكثرة السطو واختلاس الأموال، وهذا ما هو حاصل في الدول التي لا تطبق التشريع الإسلامي، ولا التربية الإسلامية الناجعة، فقد نشرت إحصائية في الولايات المتحدة الأمريكية عن الجرائم، فكان نصيب السرقة أنها تقع كل دقيقين، وعلى المنازل السطو كل ٢٠ ثانية، وعلى السيارات كل ٤٠ ثانية أي ٢٨٥ مليون سرقة في السنة [4].

٤ - ومن آفات السرقة أن السارق يعرض نفسه لمطاردة السلطات الحكومية

(١) خليفة إبراهيم الزرزير، مكافحة السرقة في الإسلام، ص(٢١٦).

(٢) سورة المائدة:٣٨.

(٣) سبقه تخريجه.

(٤) عبد الرحمن واصل، مشكلات الشباب الجنسية، ص (٤٦-٤٧) ملخص.

والزج به في السجن، وتعرضه للعقاب.

٥ - فقدان الثقة الاجتماعية في السارق، فلا يأمن شره أحد، وبالتالي يجتنبه من يعرفه، ويقل التعاون والتعامل معه إن لم ينعدم تماماً، فيكون منبوذاً ممن يحيطون به.

٦ - أنه يأكل مالاً مسروقاً وهو محرم عليه.

التوجيهات التربوية العلاجية

من التوجيهات التربوية العلاجية ما يأتي:

١ - أن يطبق حد السرقة؛ لأن في تنفيذه بتراً لليد الفاسدة، وعلاجاً لها، وعبرة لمن تسول له نفسه الاعتداء على ممتلكات الناس. ففي الحد توجيه إسلامي تربوي علاجي ووقائي، فهو علاجي في حق السارق ووقاية في حق من تحدثه نفسه بالسرقة.

٢ - أن يتنبه أولياء الأمور والمؤسسات التربوية والاجتماعية إلى خطر هذا الداء، فيُنشأ الأبناء على احترام حقوق الآخرين، وعدم الاعتداء عليها، وتعويدهم منذ الصغر على عدم سرقة ممتلكات بعضهم البعض، واحترامها خوفاً من الله تعالى.

٣ - كما ينبغي للوالدين احترام حقوق الآخرين وأن لا يعتدوا عليها بأي شكل من الأشكال، فهم قدوة للأبناء.

٤ - كما ينبغي احترام ممتلكات الأبناء فلا تمتد أيدي الآباء إليها خفية، بل يشعرون أبناءهم بذلك حتى يعتادوا الاستئذان ولا يصبوا إلى السرقة.

٥ - أن تقوم أجهزة الإعلام والمؤسسات التربوية بالتوعية الدينية الشاملة للأخلاق الإسلامية، وتبيان العقوبات والحدود في الدنيا، وجزاء كل رذيلة، وثواب كل فضيلة في الآخرة، حتى يعي الناس فضل التخلق بالأخلاق الإسلامية، فيطبقونها، ويعرفون الرذائل وعقوبتها وشناعتها، فيبتعدون عنها، فمن الناس من يدفعهم إلى الرذائل الخلقية الجهل بحكمها مع قلة الوازع الديني.

الغش والخيانة

مفهوم الغش والخيانة:

الغش: نقيض النصح [١].

وغَشّهُ: لم يَمْحَضْهُ النصح وأظهر له خلاف ما أضمر[٢].

والخيانة: أيضاً نقيض النصح، جاء في القاموس المحيط: الخون أن يؤتمن الإنسان فلا ينصح [٣] ومن ذلك أخذ الرشوة وقبولها فإنه يعد خيانة لمن ائتمنه على أداء عمل معين.

الرشوة: "بالكسر" ما يعطيه الشخص للحاكم وغيره ليحكم له أو يحمله على ما يريد، وجمعها رشا [٤].

والخيانة في كل شيء قبيحة، وبعضها شر من بعض، وليس من خانك في فلس كمن خانك في أهلك ومالك وارتكب العظام [٥].

---

(١) ابن منظور، لسان العرب (٣٢٣/٦) مادة: غش.

(٢) الفيروزي أبادي، القاموس المحيط، (٢٨١/٢) مادة: غش.

(٣) المصدر السابق (٢٢٠/٤) مادة: الخون.

(٤) الفيومي، المصباح المنير (٣١٠/١) مادة: رشا.

(٥) الذهبي، الكبائر، ص (١١٩).

أنواع الغش والخيانة

من أنواع الغش والخيانة ما يأتي:

١ - إفشاء السر: فكم من إظهار سر أراق دم صاحبه، ومُنِع من نيل مطالبه، ولو كتمه لكان من سطوته آمناً، ومن عواقبه سالماً، ولنجاح حوائجه راجياً [١].

فلذلك من واجب المسلم ألا يفشي أسرار الناس، فقد يُلحق بهم الضرر، وقد بوب الإمام البخاري: باب حفظ السر. جاء فيه، فعن معمر بن سليمان قال: سمعت أبي قال أنس بن مالك أسر إليّ النبي ﷺ سراً فما أخبرت به أحداً بعده. ولقد سألتني أم سليم فما أخبرتها به [٢].

٢ - غش الحاكم لمحكوميه: ويتحقق غشه بظلمه لهم، وأخذ أموالهم، وسفك دمائهم، وانتهاك أعراضهم، واحتجابه عن خلتهم وحاجتهم، وحبسه عنهم ما جعله الله لهم من المال المعين للمصارف، وترك تعريفهم بما يجب عليهم من أمر دينهم ودنياهم، وإهمال الحدود، وردع أهل الفساد، وإضاعة الجهاد، وغير ذلك مما فيه مصالح العباد ... [٣].

---

(١) الماوردي أدب الدنيا والدين، ص (٣٠٧).

(٢) ابن حجر، فتح الباري (٨٢/١١).

(٣) الصنعاني، سبل السلام (١٥٧٩/٤).

قال ﷺ: (ما من عبد يسترعيه الله رعية يموت يوم يموت وهو غاش لرعيته إلا حرم الله عليه الجنة) [1]. وقال ﷺ: (ما من أمير يلي أمر المسلمين ثم لا يجهد لهم وينصح إلا لم يدخل معهم الجنة) [2].

٣ - الغش في البيع خيانة للمسلمين ولأمانته: فمنهم من يغش في النوع والجودة فيظهر الصالح في أعلا المعروض والفاسد في وسطه وأسفله، ومنهم من يغش في الميزان والمكيال، ومنهم من يغش بالحلف والأيمان ليثق الناس في سلعته، فإذا ابتعت منه وذهبت بانت لك عيوب ما كان يخفيه بأيمانه الكاذبة.

والتوجيهات الإسلامية التي تحذر من الغش كثيرة، منها قاله تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝١ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝٢ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾ [3] وقال تعالى: ﴿فَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [4].

وقال ﷺ: (من حمل علينا السلاح فليس منا، ومن غشنا فليس منا) [5]، وعن أبي

(١) البخاري (٣٣١/٤) برقم (٧١٥١)، ومسلم (١٤٦٠/٣) برقم (٢١-١٤٢) واللفظ له.

(٢) مسلم (١٤٦٠/٣) برقم (٢٢-١٤٢).

(٣) سورة المطففين: ١-٣.

(٤) سورة الأعراف:٨٥.

(٥) مسلم (٩٩/١) برقم (١٦٤-١٠١).

هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ مر على صُبرة[1] طعام فأدخل يده فيها فنالت أصابعه بللاً فقال: (ما هذا يا صاحب الطعام؟ قال: أصابته السماء يا رسول الله. قال: أفلا جعلته فوق الطعام كي يراه الناس، من غش فليس مني)[2].

٤ - وقبول الرشوة مقابل تسهيل معاملات الناس، أو لإبطال حق أو لإحقاق باطل خيانة، وإعطاء الرشوة لإبطال الحق خيانة؛ فبها تفسد الإدارات، وتتحول إلى أماكن للظلم، والبيع والشراء في حقوق الناس؛ ولذلك لعن رسول الله ﷺ الراشي والمرتشي، فعن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ: (لعنة الله على الراشي والمرتشي) [3].

يقول مصطفى السباعي: واليوم ... قد ارتفعت الشكوى من سوء الأوضاع في مجتمعنا الحاضر حتى لا تجد راضياً يتحدث إليك عن مجتمعه حديث المطمئن إلى سعادته، الواثق بحقه، فهل تجدون لذلك سبباً يجمع أسباب اضطرابنا كلها إلا وصفاً واحداً هو ترك الأمانة ... [4].

٥ - وعدم النصح لمن ائتمنك في استشارة، يعتبر خيانة؛ لأن الناصح في هذه

---

(١) الصبر: كالكومة، وجمعها صُبْر، النهاية (٩/٣).

(٢) مسلم (٩٩/١) برقم (١٦٤-١٠٢).

(٣) أبو داود (٩/٤-١٠) برقم (٣٥٨٠)، وابن ماجه (٧٧٥/٢) برقم (٢٣١٣)، والترمذي (٦٢٣/٢) برقم (١٣٣٦) وقال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح. أحمد (١٦٤/٢)، والحاكم (١٠٣/٤) وقال الألباني: صحيح، صحيح سنن ابن ماجه برقم (١٨٧١- ٢٣١٣).

(٤) مصطفى السباعي، أخلاقنا الاجتماعية، ص (١٠٧)

الحالة لم يبذل للمنصوح محض النصيحة، وهو يعرف أن هناك نصيحة أفضل منها، لكن بسبب الغيرة أو الحسد لم يعطه محض النصيحة، والرسول ﷺ يقول: (المستشار مؤتمن) [1].

٦- الغش في معاملة الناس بتعطيل مصالحهم خيانة لهم ولمن وكّله وأتمنه على عمله أو إدارته. قال ﷺ محذراً من الغش: (من حمل علينا السلاح فليس منا ومن غشنا فليس منا) [2].

٧ - ومن الناس من يخون في المال والأهل، كمن تأتمنه في مالك فتقرضه، رغبة في تنفيس كربة من كرب الدنيا فلا يرده إليك، فهذه خيانة للأمانة. فعندما عرض العزيز ملك مصر أن يُوكل إلى يوسف الصديق خزائن مصر، وصفه بأنه قوي أمين وهو عكس الغش والخيانة كما جاء في القرآن الكريم. قال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِى بِهِۦٓ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِى ۖ فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ﴾ [3].

٨ - ومن الناس من يخون الرجل في أهله، أو الجار في أهل جاره، وما ذلك من أخلاق الإسلام في شيء. ففي قصة يوسف مع امرأة العزيز عرض

(١) أبو داود (٥/٣٤٥) برقم (٥١٢٨) والترمذي (٥/١١٥) برقم (٢٨٢٢) وقال هذا حديث حسن. وقال الألباني: صحيح، صحيح سنن أبي داود، برقم (٤٢٧٧-٥١٢٨).

(٢) سبق تخريجه.

(٣) سورة يوسف: ٥٤.

قرآني لأمانة يوسف وعفته وأنفته عن الخيانة.

من بواعث الغش ما يأتي:

١ - ضيق الصدر وقلة الصبر، حتى أنه لم يتسع لسر، ولم يقدر على صبر[١].

٢ - الغفلة عن تحذر العقلاء، والسهو عن يقظة الأذكياء [٢].

٣ - الاستهانة بخلق الأمانة.

٤ - الاستهانة بأسرار الناس وعدم الاهتمام بكتمانها.

٥ - الشعور بالعظمة والاستهانة بالناس، وعدم الاحتفاء بهم وبحقوقهم.

٦ - الجشع في حب المال وطلبه، حتى غلب عليه، فأورده المهالك بعدم القسط في الميزان، والوفاء في المكيال، والغش في السلع، وقبول الرشاوي.

آفات الغش والخيانة:

١ - إن غِش العبد لرعيته وخيانتهم يجعله عرضة لسخط الله تعالى وعذابه، كما جاء في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال: (ما من عبد يسترعيه الله رعية يموت يوم يموت وهو غاش لرعيته إلا حرم الله عليه الجنة)[٣]، وقال ﷺ: (ما من أمير يلي أمر المسلمين لا يجتهد معهم ولا ينصح لهم،

(١) الماوردي، أدب الدنيا والدين، ص (٣٠٧).

(٢) المصدر السابق (٣٠٧).

(٣) سبقه تخريجه .

إلا لم يدخل معهم الجنة) [1].

٢ - ومن يغش في الوزن والميزان عَرَّضَ نفسه لعذاب الله وسخطه. قال تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝١ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝٢ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾ [2].

٣ - إن الغش والخيانة أمام التوجيهات الإسلامية التي تحرمها وتحذر منها تجعل المرء في تعاسة نفسية في الدنيا، حيث يعيش بين الخوف من الجرم الذي فعله ويفعله، وبين العذاب الذي ينتظره، كما يشعر بأن ما حصل عليه من مال وجاه ليس بجهد المخلص الأمين، وإنما جاء بخيانة ودناءة، فيشعر بالنقص والدونية أمام الأمناء المخلصين من المسلمين.

٤ - كما أن الغاش يجد الناس من حوله له كارهون، وعنه مبتعدون، ومن يصادقه فصداقته مؤقتة تنتهي بانتهاء حوائجه.

٥ - إن الغش والخيانة يسبب الدمار والهلاك بين الناس، فإن كان في إفشاء السر فقد يسبب الخصام والفراق بين الناس، وإن كان في البيع والشراء فقد يغرس الحقد والبغضاء، وإن كان في سلطة فقد يولد الشر والدمار.

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) سورة المطففين: ١-٣.

التوجيهات التربوية العلاجية

من التوجيهات التربوية العلاجية لآفات الغش والخيانة ما يأتي:

١ - تذكير المربين والوعاظ لأولئك الذين قلت أمانتهم وتفش الغش فيهم وأحبوا الدنيا على الآخرة، واستهانوا بالناس وبأماناتهم؛ فخانوا الله، وخانوا أنفسهم، لأن الخيانة كبيرة وأمرها عظيم وشرها مستطير على الفرد والمجتمع، وأن الله تعالى حذر منها. قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمۡ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾[١]، وقال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ لِيَعۡلَمَ أَنِّي لَمۡ أَخُنۡهُ بِٱلۡغَيۡبِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي كَيۡدَ ٱلۡخَآئِنِينَ﴾[٢]، وقال ﷺ: (لا إيمان لمن لا أمانة له ولا دين لمن لا عهد له)[٣]، وقال ﷺ: (آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا اؤتمن خان)[٤].

٢ - تعلُم الصبر والتعود عليه؛ لأنه صمام الأسرار وطريق لتحمل الفاقة وشظف العيش دون اللجوء إلى الخيانة في جلب المال واكتسابه، قال تعالى: ﴿وَٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلۡخَٰشِعِينَ﴾[٥].

---

(١) سورة الأنفال: ٢٧.

(٢) سورة يوسف:٥٢.

(٣) أحمد، المسند (١٣٥/٣، ١٤٥، ٢١٠، ٢٥١).

(٤) سبق تخريجه.

(٥) سورة البقرة:٤٥.

٣ - تذكر ثواب الصابرين على الفاقة وقلة العيش وعلى المصائب، وأن ذلك ابتلاء واختبار من الله ﷻ، قال تعالى: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۟ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴾[1].

٥ - النقد الاجتماعي، فإن النقد يؤثر على الخائنين المرتشين من خلال الحديث عنهم، والإشارة إليهم بعين النقص والازدراء؛ ولذلك لابد أن يسهم الصالحون من المجتمع بازدراء تلك الخصال الذميمة في المحافل والخطب ووسائل الإعلام والمؤسسات الاجتماعية، فلعل ذلك يزيد من أثر النقد الاجتماعي المؤلم المبني على التعريض والنصح المباشر.

(١) سورة البقرة: ١٥٥-١٥٧.

رابعاً: المساوئ القلبية:

إن القلب هو لبّ الإنسان، به يصلح الإنسان، وبفساده يفسد سلوكه، وتتهدم أخلاقه، قال ﷺ: (ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب) [1].

والمقصود بالمساوئ القلبية: هي الانحرافات المتعلقة بالقلب، وقد يخرج أثرها على السلوك. مثل: الحسد والغضب، والظن. فهذه السلوكيات مركزها القلب، قد يترجمها صاحبها إلى الأفعال فتخرج إلى حيز الأعمال، وقد يكتمها وتظل حبيسة القلب ، ومن أمثلة ذلك ما يلي:

الحسد

مفهوم الحسد:

المعنى اللغوي:

قال الأصفهاني: الحسد: تمني زوال نعمة من مستحق لها، وربما كان مع ذلك سعي في إزالتها [2].

المعنى الاصطلاحي:

قال ابن حجر: الحسد هو تمنى زوال النعمة من المُنعم عليه [3].

---

(١) البخاري (١/٣٤) برقم (٥٢).
(٢) الراغب لأصفهاني، المفردات في غريب القرآن" ص(١١٨).
(٣) ابن حجر، فتح الباري (١/١٦٦).

وقال الدمشقي: هو تمنى زوال النعمة عن المحسود، وهو الداء العضال الذي ابتلي به كثير من الناس [1].

فهناك توافق بين المدلول اللغوي والاصطلاحي في تعريف الحسد، فهو داء يصيب النفس فيؤلمها برؤية نعم الله على خلقه أو بعض خلقه، فينعكس على تصرفات الحاسد مع الناس، بكره من أنعم الله عليهم، وإذا تفاقم الأمر لديه ووصل الحسد إلى ذروته، تمنى زوال النعمة عنهم، وربما سعى لإزالتها، ففساده على النفس كبير، وشره على المجتمع مستطير، ووباله خسران مبين، فهو باب لتمزيق العلاقات وتفتيت الصداقات وأواصر المحبة والصلات بين الناس، ودافع للشحناء والبغضاء.

حدود الحسد:

إن الحسد مركوز في طباع البشر [2] فهو يؤدي إلى التنافس إذا كان من نوع الغبطة، ولم يتجاوز حدوده. قال ابن القيم: وللحسد حد هو المنافسة في طلب الكمال والأنفة أن يتقدم عليه نظيره، فمتى تعدى ذلك صار بغياً وظلماً، يتمنى معه زوال النعمة عن المحسود، ويحرص على إيذائه، ومتى نقص عن ذلك كان دناءة وضعف همة وصغر نفس [3].

(١) محمود الدمشقي، أدب الخلق في الإسلام، ص (١٥٧).
(٢) ابن رجب، جامع العلوم والحكم، ص (٣١٨).
(٣) ابن قيم الجوزية، الفوائد، ص (١٥٧).

فهو إذا تجاوز حدود دائرته أصبح حسداً، وإذا نقص أصبح بلاده وبرودة وجبناً، وإذا انحصر في محيط دائرته أصبح غبطة مقبولة بناءة.

أقسام الحسد:

إن الناس في الحسد تنقسم إلى أقسام بحسب درجته التي تلتهب في النفس، فينعكس على السلوك والتصرفات، ويمكن تقسيم الحسد إلى أربعة أقسام:

١ - أن يكره الإنسان رؤية النعمة على أخيه المسلم، ويتخذ هذا القسم ثلاث صور:

أ - أن يحب الحاسد زوال نعمة من نعم الله عن المحسود، كارهاً لوجودها وتنعمه بها، دون أن يتمنى انتقالها إليه، وهذا ما أشار إليه الصنعاني بقوله: إحداهما أن تكره تلك النعمة وتحب زوالها، وهذه الحالة تسمى حسداً[١].

ب - وقد يتخذ البعض الأساليب والأسباب التي تزيل تلك النعمة، فمنهم من يسعى في زوال نعمة المحسود بالبغي عليه بالقول والفعل[٢].

ج - ومن الناس من يتمنى أن تزول النعمة من المحسود وتنتقل إليه، وهذا ما أشار إليه ابن رجب بأن: منهم من يسعى في نقل ذلك إلى نفسه[٣].

وهذه صور الحسد المذموم المنهي عنها، قال ابن حجر: فإذا رأى لغيره ما

(١) الصنعاني، سبل السلام (١٥٦٥/٤).
(٢) ابن رجب، جامع العلوم والحكم، ص(٣٠٨).
(٣) المصدر السابق، ص (٣٠٨).

ليس له، أحب أن يزول ذلك ليرتفع عليه، أو مطلقاً ليساويه، وصاحبه مذموم إذا عمل ذلك من تصميم أو قول أو فعل [١].

٢ - أن يرى الإنسان النعمة على أخيه ولا يتمنى زوالها، ولكن يتمنى أن يكون له مثلها، وهذا يسمى حسد الغبطة. والغبطة: هي رغبة في النفس أن يكون لها مثل ما لغيرها، وهي ممدوحة أيضاً؛ لأنها تنتهي غالباً بالمنافسة إذا صحبتها العزيمة وحب العمل [٢].

قال ابن تيمية -رحمه الله تعالى- عن الغبطة: أن يكره فضل ذلك الشخص عليه فيحب أن يكون مثله أو أفضل منه، فهذا حسد، وهو الذي سموه الغبطة[٣].

وقال ابن حجر: وهي أن يتمنى أن يكون له مثل ما لغيره من غير أن يزول عنه، والحرص على هذا يسمى منافسة، فإن كان في الطاعة فهو محمود، ومنه ﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ﴾[٤]، وإن كان في المعصية فهو مذموم، ومنه (ولا تنافسوا)، وإن كان في الجائزات فهو مباح[٥].

٣ - حسد مطلوب: وهو الحسد الذي يدفع الإنسان للتنافس في طاعة الله

(١) ابن حجر، فتح الباري، (١/١٦٦).
(٢) محمد أحمد جاد المولى، الخلق الكامل (٤/٤٢٠).
(٣) ابن تيمية ، الفتاوى (١/١١٢).
(٤) سورة المطففين: ٢٦.
(٥) ابن حجر، فتح الباري (١/١٦٧).

تعالى قال ﷺ: (لا تحاسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله القرآن فهو يتلوه آناء الليل وآناء النهار، فهو يقول: لو أوتيت مثل ما أوتي هذا لفعلت كما يفعل، ورجل آتاه الله مالاً فهو ينفقه في حقه فيقول: لو أوتيت مثل ما أوتي، عملت فيه مثل ما يعمل)[1] وسماه حسداً من باب الاستعارة[2]. وأطلق الحسد عليه مجازاً[3]. فهذا حسد منافسة يطالب الحاسد به نفسه أن يكون مثل المحسود، لا حسد مهانة يتمنى به زوال النعمة عن المحسود[4]. وقد سابق عمر بن الخطاب أبا بكر الصديق رضي الله عنهما في التصدق بصدقة. فعن زيد بن أسلم عن أبيه قال: سمعت عمر بن الخطاب يقول: أمرنا رسول الله ﷺ أن نتصدق فوافق ذلك مالاً، فقلت: اليوم أسبق أبا بكر إن سبقته يوماً، قال: فجئت بنصف مالي، فقال رسول الله ﷺ،ما أبقيت لأهلك؟ قلت مثله، وأتى أبو بكر بكل ما عنده، فقال: يا أبا بكر ما أبقيت لأهلك قال: أبقيت لهم الله ورسوله، قلت والله لا أسبقه إلى شيء أبداً[5]،ومن الناس من يكافح الحسد ويدفعه

(١) البخاري (٤/٤١١)، برقم (٧٥٢٨).
(٢) ابن رجب، جامع العلوم والحكم، ص(٣٠٩).
(٣) ابن حجر، فتح الباري (١/١٦٧).
(٤) ابن قيم الجوزية، الفوائد، ص(١٥٧).
(٥) الترمذي (٥/٥٧٤) برقم (٣٦٧٥). وقال: هذا حديث حسن صحيح. وقال: الألباني: حسن، صحيح سنن الترمذي برقم (٢٩٠٢-٣٩٣٩).

بالإحسان إلى المحسود، فهو يحسده، لكنه أمام آفته الخطيرة يجاهد نفسه بإبداء الإحسان إلى المحسود، والدعاء له، قال ابن رجب: وقسم آخر إذا وجد في نفسه الحسد، سعى في إزالته، وفي الإحسان إلى المحسود، بإبداء الإحسان إليه، والدعاء له، ونشر فضائله، وفي إزالة ما وجد له في نفسه من الحسد، حتى يبدله بمحبته أن يكون المسلم خيراً منه وأفضل، وهذا من أعلى درجات الإيمان[1].

من بواعث الحسد، ما يأتي:

١ - ضعف الإيمان بحكمة الله ومشيئته في توزيع الأرزاق وعدم القناعة بعطاء الله، فهذا قد يدفع الناس إلى تمني زوال النعمة عن عباد الله أو بعض خلق الله. فهذا إفراد في الأنانية وحب الذات مع ضعف في الإيمان بكمال حكمة الله تعالى [2].

٢ - كراهية المحسود التي قد تجلب كراهية النعمة عليه، وقد نوه الماوردي - رحمه الله تعالى - بذلك، فذهب إلى أن من دواعي الحسد بغض المحسود، أن يأسى عليه بفضيلة تظهر، أو منقبة تشكر، فيثير حسداً قد خامر بغضاً، وهذا النوع لا يكون عاماً، وإن كان أضرها؛ لأنه لا يبغض

(١) ابن رجب، جامع العلوم والحكم، ص(٣٠٩).
(٢) عبد الرحمن حبنكه الميداني، الأخلاق الإسلامية وأسسها (١/٧٨٩).

كل الناس[1].

٣ - ظهور فضل المحسود على الحاسد مما يعجز عنه الحاسد،فيكره تقدمه فيه، واختصاصه به، فيثير ذلك حسداً، لولاه لكف عنه[2]. وهذا نتيجة عدم الرضا والاعتراف بأن لكل فرد خصائصه واستعداداته وقدراته المحدودة، فمن الناس من وهبه الله القدرة على تعلم الطب، بينما نظيره في السن منحه الله القدرة على تحمل المشاق وحمل الأثقال، فحري بالأول أن يمتهن الطب وبالثاني أن يتعلم حرفة آلية أو زراعية أو ما يماثلها، وأن لا ينظر ويحسد الثاني الأول، ولا يحتقر الأول الثاني، فالحسد مذموم والاحتقار مذموم.

٤ - التزاحم على مقصود أو غرض واحد فيخاف الحاسد من فوات مطلوبه ومقصده، كالمتزاحمين والمتنافسين في صنعة واحدة أو منزلة واحدة[3].

٥ - تفضيل الآباء أو المربين بعض الأبناء والمتربين على بعض؛ لأسباب عاطفية بعيدة عن الإنصاف، فيؤدي ذلك إلى التحاسد بينهم، أو كتفضيل بعض المدراء والرؤساء في العمل لبعض الأفراد دون بقية

(١) الماوردي، أدب الدنيا والدين، ص(٢٧٠-٢٧١).

(٢) المصدر السابق، ص(٢٧١).

(٣) انظر: أحمد محمد جاد المولى، الخلق الكامل (٤/٤٢٢)، وعبد الرحمن الدوسري، تربية الإسلام وإدعاءات التحرير، ص (٣٣١).

زملائهم، لعلاقات أو مصالح ليست معياراً ولا عنواناً للتفضيل، فيحصل الحسد والبغضاء و الشحناء.

آفات الحسد:

١- أنه من أسباب التمزق الاجتماعي والآلام النفسية، حيث يكدر حياة الإنسان ويجعله مهموماً مغموماً يعاني كمده، وتمزق نفسه، وحزن فؤاده، إذ تطحن أعصابه المتوترة المتصلبة آلام الحرمان والغيرة، وآلام النهم المصدود، والشره المردود، والطمع الموصود، والجماع المكبوح، والفؤاد المجروح[١] كما أن صاحب الحسد يتألم بحسرات الحسد وسقام الجسد، ثم لا يجد لحسرته انتهاء، ولا يؤمل لسقامه شفاء [٢]. فهو يمنع راحة النفوس ويعمي القلب ويطمس الفهم [٣].

٢ - وفي الحسد مخالفة لما نهى الله تعالى ورسوله عنه، قال ﷺ: (إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث ولا تحسسوا ولا تجسسوا[٤] ولا تنافسوا [٥] ولا

(١) عبد الرحمن حبنكه الميداني، الأخلاق الكامل، (١/٨٠٥).

(٢) الماوردي، أدب الدنيا والدين، ص(٢٧٣).

(٣) محمود حمد الدمشقي، أدب الخلق في الإسلام (١٥٩).

(٤) التجسس: التفتيش عن بواطن الأمور، وأكثر ما يقال في الشر، وقيل التجسس "بالجيم" أن يطلبه لغيره "وبالحاء" أن يطلبه لنفسه، وقيل "بالجيم" البحث عن العورات، و"بالحاء" الاستماع، وقيل: معناهما واحد في طلب معرفة الأخبار، النهاية(١/٢٧٢).

(٥) التنافس: مجاهدة النفس للتشبه بالأفضل، واللحوق بهم من غير إدخال ضرر عليهم، المفردات، ص (٥٠١)، ويقال: تنافسنا ذلك الأمر وتنافسنا فيه، تحاسدنا وتسابقنا، لسان العرب (٦/٢٣٨).

تحاسدوا ولا تباغضوا [1] ولا تدابروا [2] وكونوا عباد الله إخواناً) [3].

٣ - وفي الحسد المذموم معارضة لله في توزيع الأرزاق، فهو يهب لمن يشاء ويعطي من يشاء، ويمنع من يشاء، ويؤجل لمن يشاء، كما أن فيه مخالفة لحقيقة الإيمان، إذا لا يجتمع الحسد والإيمان لقوله ﷺ: (ولا يجتمعان في جوف مؤمن غبار في سبيل الله، وفيح جهنم، ولا يجتمعان في قلب عبد الإيمان والحسد)[4].

٤ - أن الحسد من صفات اليهود، فقد وصفهم الله تعالى في القرآن الكريم بالحسد، قال ﷻ: ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَٱعْفُوا۟ وَٱصْفَحُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾[5].

٥ - أنه داء الأمم السابقة قال ﷺ: (دب إليكم داء الأمم قبلكم: الحسد والبغضاء، والبغضاء هي الحالقة، حالقة الدين لا حالقة الشعر، والذي

(١) التباغض: البغض: نفار النفس عن الشيء الذي ترغب فيه، وهو ضد الحب "المفردات" ص (٥٥).
(٢) التدابر: ومنه " ولا تدابروا " أي لا يعطي كل واحد منكم أخاه أدبره وقفاه فيعرض عنه ويهجره "النهاية" (٢/٩٧).
(٣) البخاري (٤/١٠٣) برقم (٦٠٦٤)، مسلم (٤/١٩٨٥) برقم (٢٨/٢٥٦٣).
(٤) ابن ماجه (٢/٩٢٧) برقم (٢٧٧٤) والنسائي (٦/١٣) (٣١٠٩) واللفظ له، والحاكم (٢/٧٢) وقال: هذا الحديث صحيح على شرط مسلم و لم يخرجاه. وقال الألباني: صحيح، في صحيح سنن ابن ماجه برقم (٢٢٣٨ -٢٧٧٤).
(٥) سورة البقرة: ١٠٩.

نفس محمد بيده لا تؤمنوا حتى تحابوا، أولا أنبئكم بشيء إذا فعلتموهم تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم)[1].

٦ - كما أن الحسد يؤدي إلى نقصان قدر الحاسد عند مجتمعه، نتيجة ما يظهر عليه من كره المُنعم عليهم، وينحرف الناس عنه، ويشيرون إليه بآفته وخصاله الذميمة، تجنباً له وكرهاً لرذيلته، وأشار الماوردي لذلك بأنه يسبب انخفاض المنزلة، وانحطاط المرتبة لانحراف الناس عنه ونفورهم منه، وقد قيل في منثور الحِكم: الحسود لا يسود [2].

٧ - ومن آفات الحسد آثاره المترتبة على المجتمع، إذ قد يدفعه قوة حسده وفوران غضبه إلى محاولة إزالة النعمة عن المحسود، فيرتكب في سبيلها الجرائم بالقول أو الفعل، أوبهما معاً، كما أنه أحدُ دوافع النميمة والغيبة في المحسود، إذ الحاسد يغتاب المحسود حتى يقلل من شأنه وتحقيره، كما أنه يؤدي إلى التباغض والشحناء نتيجة ما يكنه الحاسد للمحسود من حسد.

---

(١) الترمذي (٥٧٣/٤) برقم (٢٥١٠)، وأحمد (١٦٥/١)، واللفظ له، وحسنه الألباني، صحيح الترمذي برقم (٢٠٣٨ -٢٦٤١).

(٢) الماوردي، أدب الدنيا والدين، ص (٢٧٣).

التطبيقات التربوية العلاجية

من التطبيقات التربوية العلاجية لآفة الحسد ما يأتي:

١ - أن يتعلم المرء العلم النافع، وهو علم الكتاب والسنة الذي ينظف القلوب، ويطهر النفوس من أدران الحسد، ويربي فيها التقوى، وحب الآخرين، والسرور بما أنعم الله عليهم من نعمه المتعددة، والرضا والقناعة بعطاء الله تعالى، مع البحث عن الخير لإنفاقه وتصريفه في وجوه الخير، وهذه مسؤولية الأسرة وأجهزة التعليم، والمؤسسات الاجتماعية التربوية المختلفة، بأن تربي الأجيال وعموم الناس على الخصال الخلقية الإسلامية، وتغرسها في قلوبهم.

٢ - أن يُعلم المجتمع بمضار الحسد وأخطاره وآفاته التي قد تلتهم الحسنات وتؤدي إلى أسوأ الأحوال، فكثير من الناس يعرف أن الحسد مذموم، ولكنه لا يعرف أنه من أخلاق اليهود وأنه داء الأمم السابقة، ولا يعرف شدة نهي الإسلام عنه، وأن الحسد لا يقترن بالإيمان، كما مر معنا في آفات الحسد.

٣ - أن يتعود الإنسان الصبر على حب الخير للناس، فإذا رأى في نفسه حسداً لأحد حاول الإحسان إليه والدعاء له، وجاهد نفسه في ذلك، فلعل تكرار ذلك واعتياده يغير ما بنفسه من حسد. قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا

﴿يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾[1].

قال ابن تيمية: – رحمه الله تعالى –: فمن وجد في نفسه حسداً لغيره فعليه أن يستعمل معه التقوى والصبر فيكره ذلك في نفسه [2]. وأن يصرف حسده ويحوله إلى غبطة، وذلك بتمني المماثلة فيما عند المحسود، من غير أن تزول عنه النعمة،وأن يعزز ذلك بنية يصرفها في وجوه الخير.

٤ – أن يستعين بالدعاء والاستغفار، بأن يسأل الله ﷻ أن يجيره من داء الحسد ويعيذه منه، قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾[3]، وأن يستغفر الله من حسده للناس، قال تعالى: ﴿وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٩٩﴾﴾[4].

٥ – أن يتعرف الإنسان ويتأمل ويلاحظ جمال طبع وأخلاق وسيرة من طهرت قلوبهم من الحسد، وقدر حب الناس لهم وتوددهم إليهم، وما يتمتعون به من راحة بال، وأمن نفسي، وهذا كله لا يستشعره إلا من فرغ قلبه من الحسد، ولنا في سيرة الأنصار –رضوان الله تعالى عليهم– مثلٌ

(١) سورة الرعد: ١١.
(٢) ابن تيمية، الفتاوى (١٠/١٢٥).
(٣) سورة البقرة: ١٨٦.
(٤) سورة البقرة: ١٩٩.

وأسوةٌ حسنة. قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[1].

٦ - إزالة الأسباب المؤدية إلى الحسد كالجور وعدم العدل والإنصاف، وذلك بأن يعدل الآباء [2] والمربون والمدراء والرؤساء بَيْنَ من هم تحت مسؤوليتهم ورعايتهم، حتى يسود الحب والوئام. فالعدل يجلب المحبة والرضا، وأما الجور فيجلب التنافس والحسد والبغضاء، وإذا رأى المربي أو الوالدان أو من لهم حق الرعاية أو الإدراة حاجة البعض لمزيد من الرعاية والحفاوة والانتباه لضعفه وحاجته، أو لنجابته وذكائه فليكن حليماً حكيماً في ذلك، بما لا يحسس الآخرين بذلك التمييز، وأن يعالج الأمر بحسب الحال والموقف، ولنا في قصة يوسف وإخوته عبر ودروس[3]. قال تعالى: ﴿إِذْ قَالُوا۟ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ ۚ إِنَّ أَبَانَا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾[4].

(١) سورة الحشر: ٩.

(٢) لمعرفة التفصيل في العدل بين الأولاد في العطاء. انظر: المغني لابن قدامة (٧/٢٦٢-٢٦٩).

(٣) لمزيد من التفصيل عن الحسد في قصة يوسف. انظر: الأخلاق الإسلامية وأسسها، عبد الرحمن حبنكه الميداني (١٨٠٩).

(٤) سورة يوسف: ٨.

الغضب

مفهوم الغضب:

المعنى اللغوي:

الغضب: هو نقيض الرضا[1].

المعنى الاصطلاحي:

قال ابن رجب: هو غليان القلب طلباً لدفع المؤذي عنه خشية وقوعه، أو طلباً للانتقام ممن حصل منه الأذى بعد وقوعه[2].

ويُعرف أيضاً: بأنه حركة للنفس يحدث بها غليان دم القلب شهوة للانتقام[3].

بواعث الغضب:

١ - هجوم ما تكرهه النفس ممن دونها [4].

٢ - الشعور بالظلم والحرمان وتأثّر المزاج بالأمور الطبيعية الخارجية كحرارة الطقس، فكل ذلك يساعد على سرعة ثوران الغضب وهيجانه[5].

---

(١) ابن منظور، لسان العرب (٦٤٨/١).
(٢) ابن رجب، جامع العلوم والحكم، ص (١٣٨).
(٣) محمد أحمد جاد المولى، الخلق الكامل (٣٦٧/١).
(٤) الماوردي، أدب الدنيا والدين، ص (٢٥٨).
(٥) فواد البهي السيد، الأسس النفسية للنمو، ص (٢٩٤).

٣ - ومن الأسباب التي تزيد في تولد الغضب المرض والانهماك في العمل ومداومة السهر واشتغال البال بالمطامع، مما يهيئ التنازع في الجسم والنفس، ويكون ذلك كالبذور للغضب، والسبب الأقوى التعود على ذلك.

وتعالج الأسباب الطارئة بإصلاح ما فسد من الجسم حتى لا يتولد منه كدر النفس، ثم يؤخذ في دفعها واحدة إثر أخرى [١].

طبيعة الغضب:

الإنسان مزود بطبيعة الغضب؛ إذ لو فقدها لتبلد إحساسه ولأصبح لا يثيره نخوة لدينه وعرضه، ولفسدت شجاعته وأصبحت جبناً، فهو سلاح ذو حدين. قال ابن قيم الجوزية - رحمه الله - : فللغضب حد هو الشجاعة المحمودة والأنفة من الرذائل والنقائص وهذا كماله. فإذا جاوز حده تعدى صاحبه وجار، وإن نقص عنه جبن ولم يأنف من الرذائل [٢].

وقال علي بن أبي طالب ﷺ: وحد الحلم ضبط النفس عن هيجان الغضب[٣].

(١) محمد أحمد جاد المولى، الخلق الكامل (٣٨٧/٤) ملخص.
(٢) ابن قيم الجوزية، الفوائد، ص (١٥٦).
(٣) الماوردي، أدب الدنيا والدين، ص (٢٥٢).

أقسام الغضب:

من طبيعة الغضب يتبين أنه ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

١ - الغضب الذي يدفع المرء للشجاعة والغيرة على دينه وعورات المسلمين، والأنفة من الرذائل والنقائص، فهذا محمود ومطلوب، ففي الصحيح عن أبي سعيد الخدري ﷺ أنه قال: (كان النبي -ﷺ- أشد حياء من العذراء في خدرها، فإذا رأى شيئاً يكرهه عرفناه في وجهه)[١]. ولما بلغه ابن مسعود قول القائل هذه قسمة ما أريد بها وجه الله شق عليه ﷺ وتغير وجهه وغضب ولم يزد على أن قال:(لقد أوذي موسى بأكثر من ذلك فصبر) [٢]. وكان ﷺ إذا رأى أو سمع ما يكرهه الله غضب لذلك وقال فيه ولم يسكت، وقد دخل بيت عائشة رضي الله عنها فرأى ستراً فيه تصاوير فتلون وجهه وهتكه [٣]، وقال: (إن من أشد الناس عذاباً يوم القيامة الذين يصورون هذه الصور) [٤]، وعن المغيرة قال: قال سعد بن عبادة لو رأيت رجلاً مع امرأتي لضربته بالسيف غير مُصفْح. فقال

(١) سبق تخريجه.
(٢) البخاري (١١٠/٤) برقم (٦١٠٠)، ومسلم (٧٣٩/٢) برقم (١٤١-١٠٦٢).
(٣) الهتك: خَرْق الستر عما ورواءه، مختار الصحاح، ص (٦٩٠) مادة: هتك.
(٤) البخاري (١١١/٤).

النبيﷺ: (أتعجبون من غيرة سعد؟ لأنا أغير منه، والله أغير مني) [1].

٢ - فقدان الغضب وما يؤول إليه الفرد نتيجة ذلك من الجبن وعدم الغيرة والسكوت على الرذائل والذل والمهانة، فهذا منبوذ وغير محمود.

٣ - أن يتجاوز غضب الإنسان حدوده فيطفوا على مكياله، وتنتفخ أوداجه فلا يتمالك نفسه، وتخرج البذاءة من لسانه،وتنطلق يده في غير موضعها الصحيح، ويجور في حكمه نتيجة غضبه، فيفسد حظه ونصيبه من الحلم، ويتكلم بما لا يعقل، قال ﷺ: (ليس الشديد بالصرعة إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب)[2]. وعن أبي هريرة ﷺ قال: (إن رجلاً قال للنبي ﷺ أوصني قال: لا تغضب فردد مراراً، قال: لا تغضب)[3].

من آفات الغضب:

١ - أن الغضب باب إلى التهور في شتى الأمور؛ لأنه يوصد منافذ العقل والتبصر في عواقب الأمور، ويفتح دواعي التهور، فيتصرف الإنسان تحت وطأة التهور وثوران الدم، وبالتالي قد يقتل نفساً، وقد يبطش بإنسان ويرتكب إثماً، وقد ينفلت زمام اللسان فيقول كلاماً يندم عليه بعد رحيل غضبه، فعندها لا ينفع الندم.

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) البخاري (١١٢/٤) برقم (٦١١٤)، ومسلم (٢٠١٤/٤) برقم (١٠٧-٢٦٠٩).

(٣) البخاري (٩١٢/٤) برقم ((٦١١٦)

٢ - إن هيجان الغضب في غير مكانه يقلل من فضيلة المرء، ومن رزانته وهيبته لما يرتسم على الغضبان من صورة مخيفة كانتفاخ أوداجه واحمرار عينيه وتحركات جسمه في غير اتزان بالإضافة إلى بذاءات ما يتفوه به.

٣ - إن عدم تملك المرء لنفسه عند الغضب يفقده أجر الكاظمين الغيظ. قالﷺ: (من كظم غيظاً وهو يستطيع أن ينفذه دعاه الله يوم القيامة على رؤوس الخلائق حتى يخيره في أي الحور شاء) [(١)].

التطبيقات التربوية العلاجية

من التطبيقات التربوية العلاجية للغضب ما يأتي:

١ - أن يستعيذ الفرد بالله من الشيطان الرجيم، كما جاء في حديث الرجل الذي اشتد غضبه فقال ﷺ:(إني لأعلم كلمة لو قالها لذهب عنه ما يجد، لو قال: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم) [(٢)].

٢ - أن ينتقل الإنسان من الحال التي هو فيها إلى غيرها، حيث قال ﷺ: (إذا غضب أحدكم وهو قائم فليجلس فإن ذهب عنه الغضب وإلا فليضطجع) [(٣)].

---

(١) أبو داود (٥/١٣٧-١٣٨) برقم (٤٧٧٧)، والترمذي (٤/٣٢٦-٣٢٧) برقم (٢٠٢١) واللفظ له. وقال الألباني: صحيح، صحيح سنن الترمذي، برقم (١٦٤٥-٢١٠٧).

(٢) البخاري (٤/١١٢) برقم (٦١١٥).

(٣) أحمد (٥/١٥٢) وقال الألباني: صحيح، صحيح الجامع الصغير، برقم (٦٩٤).

٣ - أن يتذكر المسلم فضل الكاظمين الغيظ، حيث أثنى عليهم ﷻ بقوله: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾[1]. وقال ﷺ: (من كظم غيظاً وهو يستطيع أن ينفذه دعاه الله يوم القيامة على رؤوس الخلائق حتى يخيره في أي الحور شاء)[2] وقال ﷺ: (ما من جرعة أعظم أجراً عند الله من جرعة غيظ كظمها ابتغاء وجه الله) [3].

٤ - أن يتذكر ويتأمل في أحوال الحليم وأحوال الغضبان ساعة الغضب. فالأول: تنعطف القلوب عليه وتميل النفوس إليه، والثاني: ينفر منه العقلاء، ويتوخى من تصرفاته الناس.

---

(١) سورة آل عمران: ١٣٤-١٣٥.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) ابن ماجه (١٤٠١/٢) برقم (٤١٨٩) واللفظ له، وأحمد (٣٢٧/١) (١٢٨/٢)، وصححه الألباني، صحيح سنن ابن ماجه، برقم (٣٣٧٧-٤١٨٩).

الظن

مفهوم سوء الظن:

الظن: الشك يعرض في الشيء فتحققه، وتحكم به[1].

والظن هو التهمة والتخون للأهل والأقارب والناس في غير محله[2].

وقد نهى الإسلام عن سوء الظن في كتاب الله تعالى وفي سنة رسوله ﷺ، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ﴾[3]، وقال تعالى: ﴿وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا﴾[4].

وقال ﷺ: (إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث)[5]. فالظن السيئ الذي لا دليل عليه إلا لمجرد الوهم، وإلقاء التهمة والتخون في الآخرين بدون تثبت وتأكد فهو المنهي عنه. قال الخطابي وغيره: ليس المراد ترك العمل بالظن الذي تناط به الأحكام غالباً، بل المراد ترك تحقيق الظن الذي يضر بالمظنون به، وكذا ما يقع في القلب بغير دليل؛ وذلك أن أوائل الظنون إنما هي خواطر لا يمكن دفعها، وما لا يقدر عليه لا يكلف به[6].

---

(١) ابن الأثير النهاية في غريب الحديث برقم (٣/١٦٣-١٦٣).
(٢) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (٤/٢٢٧).
(٣) سورة الحجرات/١٢.
(٤) سورة النجم:٢٨.
(٥) البخاري (٤/١٠٣) برقم (٦٠٦٤).
(٦) ابن حجر، فتح الباري (١٠/٤٨١).

بواعث الظن:

١ - الخوف من الشخص: وهذا قد يوقع المرء في الشك والتهمة في مراده، فيحمل قوله أو فعله على محمل سيئ.

٢ - التصور السابق عن الشخص من خلال ما يسمع عنه من حكايات وكلام قد لا يكون صحيحاً، فيحمل تصرفاته الاعتيادية على أن المراد منها الشر.

٣ - التربية السيئة من خلال معايشة الفرد لبيئةٍ تصور في أحاديثها تصرفات الناس على مراد سيئ، فيتشرب الناشئ أثناء معايشته لأسرته أو أصدقائه تلك الظنون السيئة، فتنطوي أخلاقه على هذه الرذيلة السلوكية.

٤ - امتلاء القلب بالحقد والكراهية للآخرين، مما يجعل الإنسان يسيء الظن فيمن يحيطون به بعضاً أو كلاً.

٥ - الظهور في مواطن الريبة والتهمة وإن كان غير متعمّد، يجعل من الآخرين يسيئون الظن في صاحبه؛ لأنهم لا يعلمون الأسباب والملابسات؛ ولذلك نهى الإسلام عن مواطن الشبهات؛ قال ﷺ: (الحلال بيّن والحرام بيّن، وبينهما مُشبهات لا يعلمها كثير من الناس، فمن اتقى المشبهات استبرأ لدينه وعرضه)[1].

٦ - الجهل أو الغفلة عن الآثار المترتبة على سوء الظن من: الإثم،

(١) البخاري (١/٣٤) برقم (٥٢).

والتقاطع والتفكك الاجتماعي.

الآفات:

إن لسوء الظن آثاراً وخيمة على الظان والمظنون به، وقد يمتد ذلك إلى المجتمع، ويمكن اختصار تلك الآفات في النقاط التالية:

١ - ترتب الإثم على صاحب الظن السيء؛ قال تعالى: ﴿إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ﴾[١].

فإذا كان المظنون به ممن شوهد منه الستر والصلاح، وأونست منه الأمانة في الظاهر، فظن الفساد به والخيانة محرم [٢].

٢ - كراهية الناس لصاحب هذا الخلق، والخوف من ريبته وظنه، وتحاشي الحديث معه، خشية أن يخطئ بدون قصد فتحمل على محمل سيئ، وربما أدى إلى كراهية مجالسته ومصاحبته في الأسفار، خوفاً من ظنونه السيئة.

٣ - قد يجر الظن السيئ إلى محبة التحقق والتأكد من خلال التجسس والتحسس فيرميه سوء ظنه في مساوئ أخلاقية أخرى.

٤ - ربما أدى سوء الظن إلى نشر التهمة على أنها حقيقة، أو شبه حقيقة، مما يوقع المظنون به في تهمة هو بعيد عنها، وربما حملوا ذلك محمل الصدق،

---

(١) سورة الحجرات: ١٢.

(٢) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (٢١٧/١٦).

فيتضرر بذلك في عرضه.

٥ - كما قد يؤدي نشر التهم الفاسدة عن المظنون بهم إلى التقاطع والتباغض بين الظان والمظنون به وغيره من أفراد المجتمع،مما ينتج عن ذلك تفرق المجتمع وتشتته.

٦ - القلق والاضطراب الذي يصيب صاحب الظن السيئ؛ لأنه يُؤَوِّلُ ما يراه من تصرفات الآخرين تأويلاً فاسداً يدفعه نحو الشك في تصرفاتهم، وحَمْلِها محملاً سيئاً يجلب له القلق والاضطرابات النفسية.

التوجيهات العلاجية:

١ - أن تُبنى العقيدة القوية التي تمكن المرء من سلوك الأخلاق المحمودة وتجنب الأخلاق المذمومة، وتطهر القلب وتزكيّه منها.

٢ - أن يعرف المرء إثم الظن السيئ حتى يتجنبه.

٣ - أن تَحْمِلَ مراد الآخرين على الخير ما أمكن حمله على ذلك دون تأويل فاسد، كما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: ولا تظنن بكلمة خرجت من أخيك المؤمن إلا خيراً وأنت تجد لها في الخير محملاً[1].

(١) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (٤/٢٢٧).

الكبْر

مفهوم الْكِبْرُ:

الدلالة اللفظية للكبر:

المعنى اللغوي:

(الْكِبْرُ والتكَبُّر والاستِكبارُ تتقارب، فالكبر الحالة التي يتخصص بها الإنسان من إعجاب بنفسه، وذلك أن يرى الإنسان نفسه أكبر من غيره، وأعظم التكبر، التكبر على الله، بالامتناع من قبول الحق والإذعان له بالعبادة. والاستكبار يقال على وجهين:

أحدهما: أن يتحرى الإنسان ويطلب أن يصير كبيراً، وذلك متى كان على ما يجب وفي المكان الذي يجب، فمحمود.

الثاني: أن يتشبع فيُظهر من نفسه ما ليس له، وهذا هو المذموم).[1]

المعنى الاصطلاحي:

ويتجلى المعنى الاصطلاحي للكبر في قول الرسول ﷺ: (لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر، قال رجل: إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسناً ونعله حسنة، قال: إن الله جميل يحب الجمال، الكبر بطر الحق وغمط الناس) [2].

---

(١) الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ص(٤٢١).

(٢) مسلم (٩٣/١) برقم (٩١/١٤٧).

والغمط: هو الاحتقار. وبطر الحق: دفعه وإنكاره ترفعاً وتجبراً [١]. والكبر: خُلُق باطن، وأن الأفعال ثمرته ونتيجته [٢]؛ ولذلك فإن منبعه الإعجاب بالنفس.

قال النووي: الكبر المعروف هو الارتفاع على الناس واحتقارهم ودفع الحق[٣].

بواعث الكبر:

١ - ضعف إيمان الشخص، وقلة معرفته بأن الكبرياء لله تعالى، وأنه لا يليق ذلك بالمخلوقين.

٢ - للإعجاب بالنفس أو ما يُعرف بعشق الذات آثاراً سيئة وعواقب وخيمة، فهو السبيل للوقوع في شراك الغرور والكبر[٤] وللإعجاب أسباب، فمن أقوى أسبابه: كثرة مديح المتقربين، وإطراء المتملقين الذين جعلوا النفاق عادة ومسكناً[٥].

وكلما نقص العقل انخفض مستوى التفكير، والتدبر، والتعقل، وتوهم صاحبه أنه أوفر الناس عقلاً وأكمل تميزاً [٦] وقد يكون العجب كميناً في المرء

(١) النووي، صحيح مسلم بشرح النووي (٢/٩٠).
(٢) أحمد محمد جاد المولى، الخلق الكامل، (٤/٣٧٨).
(٣) صحيح مسلم بشرح النووي(٢/٩١).
(٤) السيد محمد نوح، آفات على الطريق، ص (١/١٢٨) .
(٥) الماوردي، أدب الدنيا والدين، ص (٢٣٩).
(٦) ابن حزم، الأخلاق والسير، ص (٧٦) بتصرف.

حتى إذا حصل على أدنى مال أو جاه ظهر ذلك عليه، وعجز عقله عن قمعه وستره [1]، واكتمال العقل إنما يكون بالعلم الشرعي الذي يبيّن الحلال من الحرام.

٣ - شعور المغرور بالاستعلاء الذاتي على الأقران والنظراء، وعلى المكانة التي يجد المستكبر نفسه فيها داخل مجتمعه[2]،وهذا راجع إلى صفة الكبر الكامنة في نفسه.

٤ - رغبة المستكبر في إخفاء ما يشعر به من نقص في ذاته أو في عمله وهو حريص على أن يكون في أعين الناس كبيراً، وأن لا يكتشفوا نقصه [3].

ومركب النقص يحدث آثار في السلوك لا يمكن ضبطها بسهولة، أو الإقرار بها، إذ قد يتصرف المصاب بها وكأنه أسمى من سائر الناس، وهذا يؤدي للإعجاب بالنفس الداعي للكبر.

٤ - كما أن من أقوى أسبابه علو اليد، ونفوذ الأمر وقلة مخالطة الأكفاء[4].

أنواع الكبر:

١ - التكبر على الله وعلى رسوله، وهو أرذل أنواعها وأفحشها؛ لأنه كفر

(١) المصدر السابق، ص(٧٦).
(٢) عبد الرحمن حبنكه الميداني، الأخلاق الإسلامية وأسسها (٧١٨/١).
(٣) المصدر السابق (٧٢٠/١).
(٤) الماوردي، أدب الدنيا والدين، ص (٢٣٩).

وجحود لما فُطر عليه الإنسان، وإنكارٌ لنعمة الخالق على المخلوق. قال تعالى: ﴿أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ﴾[1]. وقال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا ۗ لَقَدِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْ عُتُوًّا كَبِيرًا﴾[2].

وما منع إبليس من السجود لآدم، وهو سجود تكريم لا عبادة إلا الكبرياء، فكان من الكافرين. قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾[3].

٢ - التكبر على البشر واستصغارهم والاستشعار بالاستعلاء والأفضلية عليهم بما يتمتع به من خصائص جسمية، أو مالية أو علمية، فيحس في نفسه بالشموخ، وأنه في العلياء وغيره دونه وإن كانوا أفضل منه بما فضلهم الله به عليه، وهذا هو مبدأ العنصرية العرقية المادية، والإسلام ينهى عن ذلك ويزجره، ويتجلى ذلك ويتضح من توجيهاته، حيث قالﷺ: (وإن الله أوحى إليّ أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد، ولا يبغي أحد على أحد)[4].

---

(١) سورة البقرة: ٨٧.

(٢) سورة الفرقان: ٢١.

(٣) سورة البقرة: ٣٤.

(٤) مسلم (٤/٢١٩٨-٢١٩٩) برقم (٦٤/٢٨٦٥).

وشر الكبر من تكبر على العباد بعلمه، وتعاظم في نفسه بفضيلته، فإن هذا لم ينفعه علمه، فإن مَنْ طلب العلم للآخرة كسره علمه، وخشع قلبه واستكانت نفسه وكان على نفسه بالمرصاد، فلم يفتر عنها، بل يحاسبها كل وقت ويثقفها، فإن غفل عنها جمحت عن الطريق المستقيم [1].

٣ - الكبرياء النفسي: هو الشعور بالزهو والعظمة في اللباس، فقد لا يستعلي على الناس، بل يلاطفهم، لكنه يتبختر في برديه معجب بهما، وهذا قد يجره إلى الاستشعار بالأفضلية، فقد روى البخاري ومسلم في صحيحيهما أن رسول الله ﷺ قال: (بينما رجل يمشي في حلة تعجبه نفسه، مُرجل جمته، إذ خسف الله به، فهو يتجلجل إلى يوم القيامة)[2]. وقد نهى الحق ﷻ عن هذا السلوك، قال تعالى: ﴿ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾[3].

وهو النشاط والمشي فرحاً في غير شغل وفي غير حاجة، وأهل هذا الخُلُق ملازمون للفخر والخيلاء، فالمرِحُ مختال في مشيته [4] وهذا لا يعني النهي عن حسن الملبس، ولكن الشعور بالعظمة والزهو والفخر بهما.

(١) الذهبي، الكبائر، ص (٧٦) ١٩٨٨م، الزرقاء.
(٢) البخاري (٥٤/٤) برقم (٢٠٨٨/٤٩).
(٣) سورة لقمان: ١٨.
(٤) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، (٤٨/١٤).

فقد قال رسول الله ﷺ: (لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر، فقال رجل: إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسناً ونعله حسنة، فقال رسول لله ﷺ: إن الله تعالى جميل يحب الجمال، الكبر بطر الحق وغمط الناس)[1].

وبعد هذا النهي الإسلامي عن الخُلُق الذميم، رسم بديله الخُلّق القويم في المشي. قال تعالى: ﴿ وَٱقۡصِدۡ فِي مَشۡيِكَ وَٱغۡضُضۡ مِن صَوۡتِكَۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلۡأَصۡوَٰتِ لَصَوۡتُ ٱلۡحَمِيرِ ﴾[2].

قال القرطبي: أي توسط فيه، والقصد ما بين الإسراع والبطء، أي لا تدب دبيب المتماوتين ولا تثب وثب الشطار [3].

وأما ما روي عنه عليه السلام أنه كان إذا مشى أسرع، وقول عائشة في عمر رضي الله عنهما، كان إذا مشى أسرع، فإنما أرادت السرعة المرتفعة عن دبيب المتماوت، والله أعلم [4].

من آفات الكبر:

١ - حرمان الحق، وعمى القلب عن معرفة آيات الله تعالى، وفهم أحكامه. قال تعالى: ﴿ سَأَصۡرِفُ عَنۡ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَإِن

(١) سبق تخريجه.
(٢) سورة لقمان: ١٩.
(٣) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (١٤/٤٨).
(٤) المصدر السابق.

يَرَوْا كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ ٱلْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِـَٔايَـٰتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَـٰفِلِينَ ﴾[1]. وقال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يُجَـٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَـٰنٍ أَتَىٰهُمْ ۖ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا ۚ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴾[2].

٢ - المقت والبغض من الله تعالى، قال تعالى: ﴿ لَا جَرَمَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْتَكْبِرِينَ ﴾[3].

٣ - بغض الناس وكرههم للمتكبر، لما يحمله في نفسه من الاستعلاء عليهم، والتنقيص من قدرهم، فيقابلون ذلك بكرهه وعدم محبته، وإن جاملوه فإنما يجاملونه لدفع شرّه، أو لعرض من أعراض الدنيا، يزول بزوال ذلك، أو باستغنائهم عنه، وهذا يؤول به إلى الانحطاط النفسي حينما يرى الناس تجامله لحاجاتهم، فإذا انقضت فرّوا منه كما يفر الطير من عشه عند سماع دوي آلة الصيد، كما هو الحال عند منْ يُحالون إلى التقاعد وسماتهم الكبر أثناء العمل الوظيفي، وليت هؤلاء المتكبرين يعرفون حال أولئك فيعتبرون.

(١) سورة الأعراف:١٤٦.
(٢) سورة غافر: ٣٥.
(٣) سورة النحل:٢٣.

قال الماوردي: أما الكبر فيُكسب المقت، ويُلهي عن التآلف، ويوغر صدور الإخوان، وحسبك بذلك سوء عن استقصاء ذمّه[1].

٤ - عدم التفات المتكبر لعيوبه ونواقصه، وصلاح ما فسد منها، فالحواس مشدودة نحو التباهي والزهو والخيلاء والفخر، فهؤلاء كمن يحسبون أنهم يُحسنون صنعاً وهم في ضلال الكبر تائهون، قال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١٠٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾[2].

التوجيهات التربوية العلاجية

من التوجيهات التربوية العلاجية لآفة الكبر:

١ - أن يتذكر الإنسان عظيم إثم الكبر وعقابه، وأنه بمنزلة من ينازع الله تعالى رداءه، قال رسول الله ﷺ: فيما يرويه عن ربه ﷻ: (الكبرياء ردائي، والعظمة إزاري، فمن نازعني واحداً منهما قذفته في النار)[3]. وقال ﷺ: (لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر)[4]. وقال ﷺ: (ألا أخبركم بأهل الجنة؟ كل ضعيف متَضَعِّف لو أقسم على الله لأبره، ألا أخبركم بأهل النار؟

(١) الماوردي، أدب الدنيا والدين، ص(٢٣٦).
(٢) سورة الكهف: ١٠٣-١٠٤.
(٣) مسلم (٤/٢٠٢٣) برقم (١٣٦/٢٦٢٠)، وأبو داود (٤/٣٥١) "برقم (٤٠٩٠) واللفظ له.
(٤) سبق تخريجه .

كل عُتُل [1] جَوَّاظ [2] مستكبر) [3].

٢ - أن يتذكر ثواب المتواضع عند الله، وما أعده له من النعيم، قال الله تعالى: ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [4].

وقال ﷺ: (ما نقصت صدقة من مال، وما زاد الله عبداً بعفوٍ إلا عزاً، وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله) [5].

٣ - أن لا يصاحب المتكبرين المتغطرسين الذين يفسدون القلوب، ويحملونها على ما يضرها ولا ينفعها؛ لأن المخالطة توجب المشاكلة، كما قال ﷺ: (الرجل على دين خليله، فلينظر أحدكم من يخالل) [6] وفي المقابل فإن مجالسة الصالحين المتواضعين تُكسب المرء التواضع.

٤ - أن يتذكر الإنسان أصل خلقته، وما يحمله في جوفه، فلو انكشف إليه لعاف نفسه؛ ولذلك كثيراً ما يُلفت القرآن الكريم انتباهنا إلى أصل خلق الإنسان؛ قال تعالى: ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ۝٥ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ۝٦ يَخْرُجُ

(١) عُتُل: هو الشديد الجافي، النهاية (١٨٠/٣).
(٢) الجظ: الضخم ، النهاية (٢٧٤/١).
(٣) البخاري (٣١٥/٣) برقم (٤٩١٨) واللفظ له، ومسلم (٢١٩٠/٤) برقم (٢٨٥٣/٤٦).
(٤) سورة القصص: ٨٣.
(٥) مسلم (٢٠٠١/٤) برقم (٢٥٨٨/٦٩).
(٦) أبو داود (١٦٨/٥) برقم (٤٨٣٣) واللفظ له، والترمذي (٥٠٩/٤) برقم (٢٣٧٨) وحسنه الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة (٣٦٣/٢) برقم (٩٢٧).

مِنۢ بَيۡنِ ٱلصُّلۡبِ وَٱلتَّرَآئِبِ﴾[1].

٥ - أن يتأمل حال المتكبرين وسمعتهم الاجتماعية عند العقلاء والنبلاء الصالحين.

٦- أن يتأمل في المصير الذي سيؤول إليه الإنسان، وذلك عن طريق تذكر الموت والبلى، وزيارة القبور، فإنها تلين القلوب وترققها، قالﷺ: (... فزوروا القبور فإنها تذكر الموت)[2].

(١) سورة الطارق: ٥-٧.

(٢) مسلم (٢/٦٧١)، برقم (١٠٨/٩٧٦).

المبحث الثالث:
أسباب الانحرافات الخلقية

تتعدد الانحرافات الخلقية بتعدد أنماطها وأساليبها، ويرتفع أثرها وينخفض بحسب ما ينجم عنها من أخطار وأضرار على الفرد والمجتمع. ومن ناحية أخرى تتفاوت الانحرافات الخلقية من مجتمع إلى آخر بحسب قوة العوامل المسببة والباعثة للانحراف، كضعف الوازع الديني وانحراف العقيدة والتنشئة الاجتماعية، والحالة الاقتصادية وتأثير الغزو الفكري الثقافي ونوعية التربية، وغيرها من العوامل الأخرى التي كلما ظهر تأثيرها السلبي زاد معدل الانحراف، وأخذ أشكالاً وألواناً متعددة.

ولا يمكن تحديد عاملاً واحداً يمكن أن يفسر به أسباب انحراف السلوك الإنساني، ولكن تتعدد هذه العوامل وتتفاوت في قوة تأثيرها، ولذا فإن العلاج أو الاهتمام لا ينبغي أن يركز على جانب واحد من جوانب الحياة دون الأخرى[1] فالعوامل المؤدية للانحراف متعددة - فمثلاً- للأب تأثير على سلوك الأبناء سلباً أو إيجاباً كما قال ﷺ: (كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو

(١) إبراهيم مبارك الجوير، التربية الإسلامية ودورها في علاج الأحداث الجانحين، الكتاب السنوي لعلم الاجتماع، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، الكتاب الأول، ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م، ص (٣٧٢).

يمجسانه)[1]. وكذلك للخليل تأثير كما قال ﷺ: (المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل) [2].

لذلك فالظاهرة الانحرافية يجب أن تبنى على فكرة العوامل المتعددة، ويجب اتباع الأسلوب التكاملي في بحث الظاهرة الانحرافية، بحيث تتم دراستها من منظور عقائدي واجتماعي ونفسي وتربوي وجميع ما يتصل بالمشكلة [3].

ومن هنا فإنه يلزم مناقشة تلك العوامل المتعددة المؤدية للانحراف السلوكي، حيث أن معرفة الأسباب تسهل وصف العلاج واتخاذ التدابير الواقية.

والعوامل التي ستناقش في هذا الفصل هي:

١- ضعف الوازع الديني.

٢- سوء التوافق النفسي.

٣- العوامل الاقتصادية.

٤- البيئة الاجتماعية.

---

(١) سبق تخريجه، ص(٤٥).

(٢) أبوداود (١٦٨/٥) برقم (٤٨٣٣) واللفظ له، والترمذي (٥٠٩/٤) برقم (٢٣٧٨) وحسنه الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة (٦٣٣/٢) برقم (٩٢٧).

(٣) عبدالمجيد سيد أحمد منصور، السلوك الإجرامي والتفسير الإسلامي، المملكة العربية السعودية، وزارة الداخلية، سلسلة كتب مركز أبحاث مكافحة الجريمة، الكتاب السادس، ج١، عام ١٤١٠هـ -١٩٨٩م، ص(١٥٨-١٥٩).

أولاً: ضعف الوازع الديني:

إن ضعف الوازع الديني من أكبر أسباب الانحرافات السلوكية وأقواها، إذ إن المرء في هذه الحالة لا يأبه بمداهمة هادم اللذات ولا بأهوال يوم القيامة، ففكره منصب في الاستمتاع بيومه تحت قيود الهوى، وسيطرة الملذات، ووطأة التيارات الانحرافية التي تعصف به يمنة ويسرة، فتختل لديه موازين الفضيلة والرذيلة، ويصبح الحكم لتلك التيارات التي تجتاح رغباته، فتؤدي به نحو الرذيلة، فتحصل له الغفلة، وفساد التصور، والاضطرابات السلوكية، التي تهون له فعل الانحراف، وتدفعه نحوها، كما يتضح من النقاط التالية:

الانحراف والغفلة:

الغفلة: «سهو يعتري الإنسان من قلة التحفظ والتيقظ»[1]، وإذا حصل للإنسان مثل ذلك، ضعف وازعه الديني، وضعف الوازع الديني لدى المرء يجعله يعطل استخدام حواسه في رؤية الفضيلة، وسماع الحق، والتفقه واليقظة لدوره الذي خلق من أجله، فيصبح كالبهيمة، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا ۚ أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾[2].

(١) الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، كتاب الغين، ص(٣٦٢).
(٢) سورة الأعراف: آية رقم (١٧٩).

وقال تعالى: ﴿وَعْدَ ٱللَّهِ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝٦ يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ﴾[1] أي أكثر الناس ليس لهم علم إلا بالدنيا وأكسابها وشؤونها وما فيها، فهم حذاق أذكياء في تحصيلها ووجوه مكاسبها، وهم غافلون في أمور الدين وما ينفعهم في الدار الآخرة «أي أكثر الناس ليس لهم علم إلا بالدنيا وأكسابها وشؤونها وما فيها، فهم حذاق أذكياء في تحصيلها ووجوه مكاسبها، وهم غافلون في أمور الدين وما ينفعهم في الدار الآخرة»[2].

ومن هذا منهجه وطريقه فإن الشيطان هو قرينه، كما قال تعالى: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ﴾[3]، «أي هذا الذي تغافل عن الهدى نقيض له من الشياطين من يضله ويهديه إلى صراط الجحيم»[4].

ومن الأسباب التي تجر المرء إلى الغفلة «الاسترسال في المباحات والاستكثار منها فيورث الغفلة المقتضية للتوسع في الرجاء، فيقدم على المعصية»[5].

وهؤلاء الغافلون لا يكترثون من فعل الرذائل السلوكية بسبب الغفلة التي سيطرت عليهم، فتجدهم عن الشهوات يبحثون، وفيها يرتعون، وبها فرحون،

(١) سورة الروم: آية رقم (٦،٧).
(٢) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج٣،ص(٤٣٧).
(٣) سورة الزخرف، آية رقم (٣٦).
(٤) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج٤، ص(١٣٨).
(٥) ابن حجر، فتح الباري، ج١، ص(٦١).

كل ذلك بسبب ضعف الوازع الديني، أو انعدامه من القلوب.

وفساد الدين إما يقع بالاعتقاد الباطل والتكلم به، أو يقع في العمل بخلاف الاعتقاد، والأول: هو البدع ونحوها. والثاني: هو فسق الأعمال ونحوها، والأول من جهة الشبهات والثاني: من جهة الشهوات[1]، ودور التربية الإسلامية هو تصحيح المسار الاعتقادي الخاطئ بما يعيد المتربين إلى السلوك الخلقي القويم، لأنه في غيبة الدين الخالص والعقيدة الخالصة عن قلوب الناس يستشري الشر والفساد، وتزداد الفتن، وتضيع القيم، فيفشو الغش في البيت والمدرسة، وفي كل المؤسسات الاجتماعية، فلا صدق ولا وفاء ولا أمانة ولا حياء، وذلك لأنهم أضاعوا القيمة الكبرى وهي الأخذ بمنهج الله كاملاً لا جزءاً، وسلوكاً لا قولاً فحسب [2].

الانحراف والاضطراب:

إن العلاقة بين الاضطرابات النفسية وضعف الوازع الديني كبير جداً، حتى أن من الأمراض النفسية ما يدفع المرء إلى الانحراف في السلوك، مثل المرض المسمى (السيكوباثية) وهي حالة مرضية تبدو في سلوك اندفاعي متكرر، يستهجن المصاب بها المجتمع، ويوجه عدوانه له. إذ أن المصاب به يعاني من عدم

(١) ابن تيمية، اقتضاء الصراط المستقيم، ص(٢٥).
(٢) كمال عيسى، كلمات في الأخلاق، ص(٦٢).

استطاعة ضبط النفس، أو احتمال الحرمان والإحباط، فهو عاجز عن تأجيل اللذات العاجلة، ويسارع في إرضاء حاجاته ودوافعه [1].

والمتأمل لهذه الأعراض النفسية التي تقود المرء إلى الانحراف السلوكي يجدها أعراضاً نابعة عن فقدان الاطمئنان النفسي الذي يتيح له فرصة مواجهة تلك المؤثرات، وذلك لقلة التعلق بمسببات الاطمئنان والراحة النفسية، التي تتمثل في قوة الإيمان بالله، فلا يخاف بعدها بخساً ولا رهقاً حيث «أن هناك لحظات في الحياة لا يصمد لها بشر إلا أن يكون مرتكناً إلى الله، مطمئناً إلى حماه، مهما أوتي من القوة والثبات والصلابة والاعتداد، ففي الحياة لحظات تعصف بهذا كله، فلا يصمد لها إلا المطمئنون بالله»[2] قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ﴾[3] قال تعالى: ﴿فَمَن يُؤۡمِنۢ بِرَبِّهِۦ فَلَا يَخَافُ بَخۡسٗا وَلَا رَهَقٗا ﴾.[4]

الانحراف وفساد التصور:

ومن الناس من فسدت تصوراتهم عن الدين، وظنوا أن الدين أقوال بلا

(١) أحمد محمد عامر، مقدمة في علم النفس الاجتماعي، ودراسات المسلمين، دار الشروق، ط١، عام ١٤٠٩هـ-١٩٨٨م، جدة، ص(١٥٨-١٥٩).

(٢) سيد قطب، في ظلال القرآن، ج٤، الجزء ١٣، ص(٢٠٦).

(٣) سورة الرعد: آية رقم (٢٨).

(٤) سورة الجن: آية رقم (١٣).

أعمال، أو أعمال تؤدي متى شاؤوا وكيف شاؤوا، فهؤلاء تجرفهم تصوراتهم نحو الانحراف والسقوط في الرذيلة، لأنهم فقدوا الضابط الخلقي من نفوسهم، ولو تيقظت قلوبهم وأبصارهم في حقيقة التصور، وصححوا تصوراتهم لاعتدل سلوكهم. فالجاهلية كانت تعج بالفساد الخلقي من وأد البنات وشرب الخمور وانتشار الزنى، لكنهم «حين آمنوا بالله الواحد وأقروا أنه لا إله إلا الله، تغير هذا كله، فوجدوا بعد ضياع، ورشدوا بعد تيه، وارتفعوا بعد ارتكاس، وسمت أخلاقهم بعد فساد، واتسعت آفاقهم بعد ضيق، وعمقت اهتماماتهم، وبعدت أمادها وذهبت عنها أنانيتها، وصارت الأخوة مكان التظالم»[1] كل ذلك بعد أن صحت تصوراتهم العقدية والتعبدية فزال الانحراف وحلت محله الفضائل الخلقية.

الانحرافات في ضوء الدراسات الميدانية:

لقد بين أحد البحوث التي أجريت في مصر عن مدى ارتباط الانحراف بضعف الوازع الديني أن هناك ارتباطاً ذا دلالة واضحة بأن ضعف الوازع الديني وراء الانحرافات السلوكية، حيث أثبتت تلك الدراسة:

١- أن نسبة الأحداث المتهمين بالسرقة ولا يؤدون فريضة الصلاة ٧١.٨٪.

٢- نسبة الأحداث المتهمين بالسرقة ولا يؤدون فريضة الصوم ٥٣.٥٪[2].

(١) محمد قطب، واقعنا المعاصر، مؤسسة المدينة، ط٣، ١٤٠٨-١٩٨٨م، جدة، ص(١٦٨).

(٢) محمد عارف، الجريمة في المجتمع، مكتبة الأنجلو المصرية، ط٢، ١٤٠١هـ- ١٩٨١م، القاهرة، ص(٣٨٥).

٣- وفي بحث آخر تبين أن جميع الأحداث المنحرفين الذين قدموا إلى محكمة الأحداث بالإسكندرية يؤمنون بالعقيدة كفكرة، ولم يوجد من بينهم من يؤدي الفرائض الدينية كاملة[١] وهذه دلائل إحصائية واضحة على مدى الارتباط الوثيق بين الانحراف وضعف الوازع الديني.

كما أن أكثر أجزاء العالم تقدماً في المجال التقني، تتكاثر في مجتمعاته مشكلات فكرية شديدة، كالنزاع العنصري والفقر المادي، والعزلة الفكرية والفساد الخلقي والظلم، وفي الحواضر الكبرى[٢] بكل أشكالها وأنواعها.

وكل هذه الانحرافات ظهرت في غياب الوازع الديني، وأصبح الأفراد «يتصرفون وكأنما المقياس الوحيد لسلوكهم إرضاء رغباتهم ودوافعهم الغريزية»[٣].

(١) المرجع السابق، ص(٣٨٦).

(٢) يوسف القرضاوي، حاجتنا إلى الإيمان والأخلاق بجوار العلم والتكنولوجيا، ندوة تقيم نمو العلاقة بين العلم والتكنولوجيا في الدول العربية، جامعة قطر، الدوحة. من ٢٩ ربيع الأول إلى ٣ ربيع الثاني، عام ١٤٠٧هـ، ص(٣٠٤).

(٣) المرجع السابق، ص(٣٠٨).

ثانياً: سوء التوافق النفسي

إن النفس باعتبار ذاتها واحدة، وباعتبار حالاتها ثلاث: المطمئنة والأمارة بالسوء واللوامة، فالنفس إذا سكنت إلى الله واطمأنت بذكره وأنابت إليه واشتاقت إلى لقائه وأنست بقربه فهي مطمئنة. وإذا كانت بعكس ذلك فهي أمارة بالسوء، تأمر صاحبها بما تهواه، من شهوات الغي واتباع الباطل، وتصبح مأوى كل سوء. وأما الحالة الثالثة فهي اللوامة، وهي حالة المؤمن، فما تراه إلا يلوم نفسه على كل حالاته، ويستقصرها في كل ما يفعل، فيندم ويلوم نفسه، وإن الفاجر ليمضي قدماً لا يعاتب نفسه.(١)

وقد ذكر الله مرض القلوب وشفاؤها في مواضع من كتابه، وفي سنة رسوله ﷺ.

قال تعالى: ﴿ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴾(٢)، وقال تعالى: ﴿ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَـٰرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ ۚ ﴾(٣)، وقال تعالى: ﴿ يَـٰنِسَآءَ ٱلنَّبِىِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ ۚ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ

(١) ابن الجوزية، إغاثة اللهفان، تحقيق محمد سيد كيلاني، ج١، النور الإسلامية، (د.ت)، بيروت، ص(٩٤، ٩١) ملخص.

(٢) سورة البقرة: آية رقم (١٠).

(٣) سورة المائدة: آية رقم (٥٢).

﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾[1]، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾[2] وقال ﷺ: (ألا سألوا إذ لم يعلموا فإنما شفاء العيِّ السؤال) [3].

يعتبر سوء التوافق النفسي من أمراض القلوب التي تؤدي إلى الانحرافات الخلقية، وهو نوعان:

- فساد الحس.
- فساد الحركة الطبيعية وما يتصل بها من الإرادية.

وكل منهما يحصل بفقده ألم وعذاب، فسبب اللذة إحساس الملائم، وسبب الألم إحساس المنافي[4].

ومرض القلوب يؤدي إلى ضعف البصيرة وضيق الأفق؛ لأن «من شأن أهواء النفوس وشهواتها ومصالحها الخاصة الدنيوية أن تعمى بصيرة الإنسان، أو تصيبها بالعشى، أو تمد عليها غشاوة ما، فيرى الإنسان بسبب ذلك الحق باطلاً،

(١) سورة الأحزاب: آية رقم (٣٢).

(٢) سورة يونس: آية رقم (٥٧).

(٣) أبو داود (١/٢٣٩-٢٤٠) كتاب الطهارة ١، باب في المجروح يتيمم ١٢٧، برقم (٣٣٦) واللفظ له، وابن ماجه (١/١٨٩) كتاب الطهارة وسننها ١، باب: في المجروح تصيبه الجنابة ٩٣، برقم (٥٧٢). وقال الألباني حسن، صحيح سنن أبي داود، برقم (٣٢٥(٣٣٦).

(٤) ابن تيمية، التحفة العراقية في الأعمال القلبية، وأمراض القلوب وشفاؤها، تحقيق حماد سلامة، إشراف محمد عويضة، مكتبة المنار، ط١، عام ١٤٠٨هـ-١٩٨٧م، الأردن، ص(١٦٣).

والباطل حقاً، أو تختلط عليه الأمور، وتلتبس عليه فكرة صور الأشياء بنسبة ما، وذلك على مقدار غلظ الغشاوة»[1] فيسبب له اضطرابات نفسية تكون شدتها بقدر الغشاوة التي تحجب بصيرته.

الاضطرابات النفسية:

هناك أفراد ليس لديهم اضطرابات في قدراتهم العقلية، ولكن سلوكهم يصل في سوء توافقه إلى درجة قد لا يصل إليها الكثير من الأفراد المضطربين عقلياً، فترى البعض يمارس أنواعاً من السلوك الذي يتفق مع الخلق القويم ويثير أصحاب الفطر الصحيحة، ومن تلك الانحرافات السلوكية، إدمان المخدرات وترويجها والشذوذ الجنسي وغيرها من الانحرافات والاضطرابات السلوكية[2]، والتي من مظاهرها «عند الأحداث الخوف، والقلق، والعزوف عن الطعام والانطواء، وشدة الخجل، وسرعة الغضب، وعدم الطاعة، والعناد، وسرعة الاستهواء والانقياد، والغيرة الشديدة، والميول العدوانية الهجومية، وأحلام اليقظة، والكذب والسرقة في بعض الحالات، إلى غير ذلك من مظاهر

(١) عبدالرحمن حبنكة الميداني، بصائر للمسلم المعاصر، دار القلم، ط١، عام ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م، دمشق، ص(١١٩).

(٢) أنظر ريتشارد. م. سوين، علم الأمراض النفسية والعقلية، ترجمة أحمد عبدالعزيز سلامة، دار النهضة العربية، عام ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م، القاهرة، ص(٤٦٩-٤٧٠).

الاضطراب النفسي»[1] فإذا لم تجد تلك الاضطرابات علاجاً يبرئها فإنها تؤلف خطراً كبيراً على سلوكهم الأخلاقي.

التوافق النفسي:

التوافق «هو القدرة على التآلف والتكيف مع البيئة الاجتماعية المحيطة بالفرد، حيث يستطيع الفرد تكوين علاقات اجتماعية متوافقة مع المحيطين به، ويمكنه مواجهة مشكلات البيئة والمشكلات الاجتماعية التي تعترضه بشكل ناجح»[2] وبالنسبة للفرد المسلم فإن العلاقات الاجتماعية التي يكونها تتحدد في ضوء المنهج الإسلامي. فالتوافق النفسي إذاً عملية مستمرة تتناول السلوك والبيئة الاجتماعية بالتغيير والتعديل حتى يحدث توازن بين الفرد وبيئته في ضوء المبادئ الإسلامية.

فالتوافق النفسي الإيجابي يتطلب توافقاً شخصياً، وتوافقاً اجتماعياً، وتوافقاً مهنياً. حتى يحصل به الفرد على التوازن والتكيف الداخلي المناسب الذي يمنحه الرضا عن الذات والمجتمع والمهنة[3]. وإذا لم يستطع الفرد أن يكيف نفسه في الأبعاد الثلاثة، الشخصي والاجتماعي والمهني بالطرق الصحيحة، فإنه قد يعمد إلى إحداث هذا التوافق بأساليب غير مباشرة، يرى من وجهة نظره أنها تمكنه من

(١) محمود حسن، مقدمة الخدمة الاجتماعية، (د. ن)، (د. ت)، (د. م)، ص(٤٢٤).

(٢) عبدالمجيد سيد أحمد منصور، السلوك الإجرامي والتفسير الإسلامي، ج١، ص(١٤٥).

(٣) حامد عبدالسلام زهران، الصحة النفسية والعلاج النفسي، عالم الكتب، ط٢، عام ١٣٩٨هـ ١٩٧٨م، القاهرة، ص(٢٩) ملخص.

إحراز درجة عالية من التوافق والرضا والإشباع النفسي، وهذه الأساليب غير المباشرة والتي تسمى عند علماء السلوك النفسي (حيل الدفاع النفسي) وهي عبارة عن وسائل وأساليب يقوم بها الفرد، ومن وظيفتها تشويه ومسخ الحقيقة ووضع المبررات حتى يتخلص الفرد من حالة التوتر والقلق الناتجة عن الإحباطات والصراعات التي تهدد أمنه النفسي، وهدفها وقاية الذات، والدفاع عنها والاحتفاظ بالثقة في النفس، واحترام الذات، وتحقيق الراحة النفسية[1] التي سيتم إيضاحها فيما بعد.

وبهذا يتضح أن لدى الإنسان إما توافق نفسي إيجابي أو توافق نفسي سلبي غير معقول ولا مقبول فإن الفرد عندما يواجه مشكلة أو حاجة شخصية، كالحاجة إلى المال ليشبع بها رغباته، فإنه يدرك أن لا سبيل إلى ذلك إلا بالكدح والصبر وتوفير قسطاً طيباً من الدخل، فيجمعه ليصبح مبلغاً يحقق له مطلبه، أما إذا لم يتحقق له ذلك، رضي بما قسم الله له، وجعل ذلك الأمر نصب عينيه لعل الله يحدث بعد ذلك أمراً، فيتحين الفرص المناسبة لتحقيقه، فهذا الفرد لديه توافق معقول، لأنه «لا يكون التوافق معقولاً حتى يقوم الفرد بحل مشكلاته حلاً يعتمد على مراعات كل التصرفات المحتملة، وتقدير ما يترتب على كل تصرف منها، من

(١) المرجع السابق، ص(٤١).

نتائج»[1] ثم اتخاذ الإجراءات التي لا تتعارض مع المنهج الإسلامي، وإذا أخفق الفرد في حل مشكلاته حلاً يتسم بالموضوعية المتوافقة مع قدراته واستعداداته، فإنه قد يعمد إلى أساليب وطرق (الحيل الدفاعية) التي هي نوع من تشويه الحقيقة، وعندما يعمد الفرد إلى ذلك يكون بغرض تحقيق ما يلي:

أن يتجنب الفرد حالات القلق وما يصاحبها من شعور بالإثم.

أن يحفظ الفرد على نفسه اعتباره لذاته [2].

أن يحقق شهواته وملذاته في ظل الحيل الدفاعية.

الحيل الدفاعية:

هي لجوء الفرد إلى طرق خادعة عندما يواجه أزمة نفسية لايستطيع حلَّها، أو وجد نفسه قد سلك سلوكاً خاطئاً، فيلجأ إلى إرضاء نفسه من خلال مبررات خادعة.

من الحيل الخادعة:

عندما يشعر الفرد بأن عمله مخالف لما يجب، فإنه قد يَعْمَد إلى تبرير سلوكه الانحرافي بمبررات واهية، والتي منها ما يلي:

١- التَّبْرِير:

عندما يفشل الإنسان في تحقيق أهدافه، أو يقصر في أداء واجب، أو يخرج عن

(١) مصطفى فهمي، الصحة النفسية، مكتبة الخانجي، عام ١٣٩٦هـ، ١٩٧٦م، القاهرة، ص(٢١٧).
(٢) المرجع السابق، ص(٢١٩).

دائرة الأخلاق الفاضلة فيرتكب سلوكاً مشيناً، فإنه قد يَعْمَد إلى تبرير دوافع سلوكه بمبررات يلتمس فيها الأعذار الواهية، ليزيل عن نفسه التأنيب الداخلي أو التأنيب الاجتماعي، فهي حيلةٌ يجد فيها الفرد ما يُبَرِّر سلوكه المشين.

مثال ذلك: الفرد الذي لا يعطي عمله الذي يتقاضى عليه راتباً، جميع الوقت المقرر له ويُعَلِّل ذلك بما يُرضِي نفسه، بأن إدارته غير منصفة بينه وبين زملائه، أو أن الراتب أقل من الجهد المطلوب للعمل، أو أن معظم زملائه يعطون العمل أقل جهداً منه، إلى غير ذلك من المبرِّرات التي يلتمس فيها لنفسه عذراً يشفي صدرَهُ.

٢- الإسقاط:

الإسقاط هو: أن ينسب الفرد ما في نفسه من صفات غير مرغوبة إلى غيره من الناس، بعد أن يُجَسِّمَها وَ يُضاعِفَ من شأنها [1].

فالفرد عندما بعمل عملاً يشعر أنه مخالف لمبدأ الأخلاق الفاضلة فإنه قد يُسقط ذلك على غيره، أو عندما يفشل في أمر من الأمور، فَيُسْقِط السبب إلى غير نفسه، كأن يقول الطالب: صعوبة الأسئلة سبب رسوبي، أو يقول شخص ما: الحاجة دفعتني لترك أو عمل ذلك الشيء. أو أن فلان هو الذي زَيَّنَ لي ذلك أو غرر بي.

٣- التقمص:

والتَّقَمُّص نقيض الإسقاط، إذ أن الفرد في حالة التَّقَمُّص يتخذ لنفسه بعضَ ما

(١) مصطفى فهمي، الصحة النفسية، ص(٢٢١).

يجدُ عندَ غيرِهِ من الخصال[1] «فهو يستعير ويتبنَّى وينسب إلى نفسه ما في غيره من صفاتٍ مرغوبة، ويُشَكِّل نفسه على غِرَار شخص آخر يتحلى بهذه الصفات، أي أنَّ الفردَ يَتَوَحَّدُ أو يندمج في شخصية شخصٍ آخر، أو جماعةٍ أخرى؛ بها صفات مرغوبة، لا توجَد لدى الفرد»[2].

«والتقمص في أي شكل من أشكاله هو أسلوب خاطئ للتكيف، ومظهر من مظاهر سوء التوافق»[3]، ويظهر ذلك في عِدَّةِ أمثلة: كَأَنْ يَتَقَمَّصَ الفردُ شخصية المسئول الحكومي عندما يقع في مشكلة، أو يتقمص شخصية العالِم وهو ليس بِعَالِم، أو يتقمص شخصية القائد للجماعة وهو ليس جديراً بها.

٤- السلبية:

هي عملية مقاومة، قد تكون سالِبَة أو موجَبَة، فتكون موجَبَة عندما يفعل الشخص عكس ما يُطْلَبُ منه، وسالِبَة عندما يتجنَّب أن يفعل ما هو مُتَوَقَّع منه «فهي مقاومة المسؤوليات والضغوط حيث يفعل الشخص عكس ما يطلب منه، أو يتجنب فعله، ومثال ذلك الصمت، والمقاومة والمعارضة والتمرد والعناد

(١) المرجع السابق، ص(٢٢٢).

(٢) حامد عبدالسلام زهران، الصحة النفسية والعلاج النفسي، ص(٤٢).

(٣) وليد شلاش نايف شبير، مشكلات الشباب والمنهج الإسلامي في علاجها، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م، بيروت، ص(٨٥-٨٦).

والرفض»[1].

فعندما تطلب من شخص أن يشفع لك عند شخصٍ آخر ليقرضك مبلغاً من المال، فيمتنع الوسيط، فهذه عملية سالبة، وإذا قام الوسيط بتشويه موقف المقترض عند المُقرِض وحَرَّضَه على عدم الإقراض فهنا قد فعل عكس ما طُلِب منه.

وكلا هذين التصرفين من الوسيط تدل على مرض نفسي يعاني منه، قد يكون سببه الكراهية للمقترض، أو الحسد أو غير ذلك من الانحرافات السلوكية.

٥- العدوان:

وقد تتخذ الحِيَل الدفاعية صورة العدوان، وهو هجوم يوجه نحو شخصٍ أو شيءٍ يبرر به أنه السبب وراء ذلك، وأنه مسئول عن إعاقته، وتظهر هذه الحِيَل في شكل الكيد أو التشهير، أو الاستخفاف، أو الهجاء الموجَّه[2]، وهذه كلها أشكال من الانحراف الخلقي التي لا مبرِّرَ لها إلا البحث عن متنفس لما أصابه وحلَّ به.

٦- النكوص:

ويتلخص في العودة والرجوع إلى مستوى غير ناجح من السلوك والتوافق، لا سيما عندما تعترض الفرد مشكلة لا يستطيع مواجهتها، كالراشد عندما يسلك سلوك المراهقين[3]فهو يتقهقر إلى مستوى غير ناضج كحيلة دفاعية.

---

(١) حامد عبدالسلام زهران، الصحة النفسية والعلاج النفسي، ص(٤٤).

(٢) المرجع السابق، ص(٤٤).

(٣) المرجع السابق، ص(٤٤).

ومن ذلك يتضح أن الإنسان الذي لا يحصل له التكيف مع قدراته المختلفة ومع بيئته المحيطة به، قد يتجه إلى ممارسة الانحرافات الخلقية لإشباع رغباته بصورة غير صحيحة، مستعيناً في ذلك بالحِيَل والمبرِّرَات الدفاعية التي يستظل تحتها ليشبع شهواته وملذاته.

هدف الحيل الدفاعية:

أ- اتقاء الآلام النفسية التي تصيب الفرد؛ نتيجة تأثير حالة النفس اللوامة.

ب- اتقاء النقد الذي يوجهه أو يتوقع أن يواجهه من الآخرين.

ج- اتقاء الآلام النفسية التي تصيب الفرد من جراء الفشل الذي يحصل له بسبب إخفاقه أو عدم نجاحه.

أسباب وجود الحيل الدفاعية:

- إخفاء الصراع النفسي الذي ي-ختلج في نفسه من خلال إظهار البديل، وهي الحيل الدفاعية.

- الهروب من الواقع لعدم قدرته على مواجهتها.

- الفشل في تكوين خبرات سابقة صحيحة تعينه على مواجهة الأخطاء والفشل واجتناب الوقوع فيها قبل ذلك.

وهذا بسبب ضعف التربية العملية الجيدة من داخل الأسرة، وداخل المدرسة، وممن يحيطون به.

أخطار التمادي في الحيل الدفاعية:

بالرغم من أنها تُنَفِّسُ عن الفرد الصراع الداخلي الذي يصارعه ويؤرقه إلا أنَّ من أخطارها أن التمادي فيها يجعل الفرد فاشلاً كذوباً عاجزاً عن مواجهة الآخرين.

أسباب عدم التوافق النفسي:

إن أبرز أسباب عدم التوافق النفسي التي تجلب للإنسان الاضطرابات النفسية والانحرافات السلوكية: التمني، والتعلق بغير الله، وكثرة الطعام[1] والتي نوضحها فيما يلي:

١ - التعلق بغير الله:

قال ابن القيم رحمه الله تعالى: «فأعظم الناس خذلاناً من تعلق بغير الله، فإن ما فاته من مصالحه، وفلاحه، أعظم مما حصل له مما تعلق به، وهو معرض للزوال والفوات، ومثل هذا المتعلق بغير الله، كمثل المستظل من الحر والبرد ببيت العنكبوت»[2].

ومن مظاهر التعلق بغير الله التعلق بحب المال والبحث عنه مع التقصير في أداء العبادات، أو أن يتعلق الإنسان بأقوال الكهان والسحرة والدجالين، فهذه ومثلها من أسباب القلق النفسي.

---

(١) انظر: ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين، ج١، ص(٤٨٨-٤٩٤).
(٢) المرجع السابق، ص(٤٩٢).

٢- التمني وعدم القناعة:

إن من خصائص النفس البشرية حب التملك، ونتيجة لهذه الغريزة قد تبرز ظاهرة التمني، حيث يبدأ الفرد في رسم الخطط لأماني قد تكون واهية، لا يستطيع أن يصبو إليها بقدراته العادية وطاقاته المحدودة التي وهبها الله له، لاسيما إذا كانت تطلعاته بعيدة المنال، فيتمنى القصر الفاخر، والمركوب الجميل، والفرش الوثير، والرئاسة حتى يتمثل له القبيح جميلاً، والصعب سهلاً بأمانيه «فلا تزال أمواج الأماني الكاذبة والخيالات الباطلة تتلاعب براكبها كما تتلاعب الكلاب بالجيفة، وهي بضاعة كل نفس مهينة خسيسة سفلية»[١] ونتيجة لهذه الأماني قد يقع الإنسان في الانحراف ويبوء بالإثم والتعب والألم، نتيجة التمني الواهي.

٣- كثرة الطعام:

إن الإسراف والشبع المفرط للإنسان يثقله عن الطاعات ويشغله بمزاولة مؤونة البطنة، حتى يظفر بها، فإذا ظفر بها، شغله مزاولة تصرفها، ووقاية ضررها، والتأذي بثقلها، وتغلبت عليه موارد الشهوة، وطرق مجاري الشيطان، الذي يجري في ابن آدم مجرى الدم[٢]. وإذا قويت عليه موارد الشهوة تحت سيطرة الشيطان وسطوته، انحرف الإنسان عن طريق الفضيلة للرذيلة لتحقيق مراد النفس المضطربة الذي انشغلت به عن ما يهمها ويصلح حالها، لاسيما في غياب

(١) المرجع السابق، ص(٤٩١).
(٢) المرجع السابق، ص(٤٩٣).

التربية الإسلامية التي بينت مقدار الأكل من الطعام، حيث قال عليه الصلاة والسلام: (ما ملأ آدمي وعاء شراً من بطن، بحسب ابن آدم أكلات يقمن صلبه، فإن كان لا محالة، فثلث لطعامه، وثلث لشرابه، وثلث لنَفَسِه)[1].

هذا فيما يتعلق بسوء التوافق النفسي كأحد أسباب الانحرافات الخلقية، وثمة سبب آخر هو الجانب الاقتصادي الذي يتضح دوره في المبحث التالي.

ثالثاً: العوامل الاقتصادية

إن الجانب الاقتصادي يؤلف أثراً كبيراً في حياة الإنسان، لدوره في إشباع جلّ حاجاته ومتطلباته اليومية، من مأكل ومشرب وملبس ومسكن ونفقات نثرية أخرى متعددة، ولاشك أن لزيادة المعدل الاقتصادي أو نقصانه أثر في سلوك الأفراد «ولا يقتصر أثر العامل الاقتصادي على كيان البالغين، وإنما يؤثر أيضاً في الأطفال الصغار تأثيراً مباشراً من حيث الإشباع والحرمان، ومن حيث الإهمال والرعاية والشعور بالأمن وفقدانه»[2].

والمبحث التالي يتناول النقاط الرئيسة التالية:

---

(١) الترمذي (٤/٥٠٩-٥١٠) كتاب الزهد ٣٧، باب: ما جاء في كراهية كثرة الأكل ٤٧، برقم (٢٣٨٠). وقال: حديث حسن صحيح. وأحمد (٤/١٣٢) واللفظ له. وقال الألباني صحيح، صحيح سنن الترمذي برقم (١٩٣٩-٢٤٩٩).

(٢) محمود حسن، مقدمة الخدمة الاجتماعية، (د.ن)، (د.ت)، (د.م)،ص(٤٤٠).

أ- العوامل الاقتصادية المساعدة على الانحراف، وهي عاملي الفقر والترف.

ب- المؤثرات التي إذا توفرت مع الفقر والغنى ظهر تأثيرها على الانحرافات السلوكية.

ج- الأنظمة الاقتصادية، وأثرها في الانحراف، والأصلح منها للبشرية.

أ – العوامل الاقتصادية المساعدة على الانحراف:

أولاً: الترف:

والترف: التنعم، والمترف الذي قد أبطرته النعمة وسعة العيش، وأترفته النعمة أي أطغته[1] وأن الترف المادي وتوفر السيولة النقدية مع ضعف الوازع الديني وانتشار أماكن اللهو والخنا، مع ضعف التنشئة الخلقية، وانتظام حلقات هذه السلسلة وتظافرها، فإنها تؤدي بالمترفين إلى الرذائل الخلقية لإشباع الغرائز والرغبات. ويمكن إبراز ملامح إنحرافات الترف فيما يلي:

- **التفكك الاجتماعي:**

إن كثرة الأموال النقدية والعينية، وانشغال الفرد بها طوال وقته عن الروابط الاجتماعية والعلاقات الأسرية مدعاة إلى التفكك الاجتماعي بين الأقرباء، وهذا في

(١) ابن منظور، لسان العرب، ج٩، مادة: ترف، ص(١٧).

حد ذاته انحراف عن الأخلاق السامية. «فمن طبيعة المجتمعات الصناعية التفكك الأسري. وما يتبعه من تأثير على القيم، والتربية، ومن شعور الفرد باستقلاله عن عائلته وأسرته من ناحية، وانتعاش حالته الاقتصادية من ناحية أخرى، وحيث يلاحظ انتشار ظاهرة الدعارة والتحريض على الفسق والفجور»[1]، وهذه الأمراض تفتك بأي مجتمع، «لأن الترف عامل من أقوى وأسرع وأخبث عوامل التفتت الاجتماعي وانحلال روابط المجتمعات البشرية، لأن الانغماس في مراتع الشهوات وإشباع الغرائز المنهومة، يميت الشعور بالنخوة ويقتل الإحساس بالعزة والغيرة، ويجعل الرذائل من مألوفات الحياة المنحدرة إلى هاوية والانهيار»[2] فينشغل بالجانب المادي وبإشباع مطامعه في اللهو عن الترابط الأسري.

- **حياة اللهو:**

إن الترف المادي يؤدي في الغالب إلى ضياع الوقت في اللهو وإشباع الغرائز التي تثيرها وفرة الطعام وراحة المكان، في منأى عن الرادع الديني.

كما أن الترف المالي لدى بعض الأسر، وتوفر وسائل اللهو، قد يدفع بعض الشباب إلى الاستمتاع بوسائل اللهو المحرمة التي تفسد أخلاقهم، وقد وصف أحد الكتاب لهو نساء المترفين من الأغنياء بقوله: تستقبل الأم طوفانا من الزوار

(١) عبدالمجيد سيد أحمد منصور، السلوك الإجرامي والتفسير الإسلامي، ج١، ص(١١١).

(٢) محمد الصادق عرجون، سنن الله في المجتمع من خلال القرآن، الدار السعودية، ط٣، ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م، جدة، ص(٣٦-٣٧).

ليقضين أكثر وقتهن في لعب الورق والثرثرة عن الأزواج والزوجات والعشيقات والأقاويل حول المال والماديات[1].

- **المخدرات:**

إن الغني الذي يفقد التنشئة الخلقية الإسلامية، سوف ينفق أمواله فيما يرى أنه يشبع شهواته حتى ولو كانت محرمة، كالمخدرات وما شابهها، وقد قامت إدارة التحقيقات الجنائية بدولة قطر، بدراسة ظاهرة تعاطي المخدرات في الخليج، وتبين أن من العوامل المؤدية إلى ذلك هو الانتعاش الاقتصادي الذي تعيشه منطقة الخليج، وما أدى إليه من فائض مادي[2].

- **البطر والكبر:**

إن كثرة الأموال عند من لا يعرف مهمته الحقيقية في صحة تصريفها، يطغى على الحق، لشعور المترف أنه يملك ما الناس عنه يبحثون ويلهثون، وقد ينفقها في الباطل فينحرف وينحرف غيره عن أخلاق الإسلام ويذل بها بعض الناس ويبطر عليهم ويعادي دعاة الإصلاح، ولذلك «فإن المسرفين دائماً يقفون في وجه الإصلاح والمصلحين وينفرون من الدعوة إلى الله ويحاربونها، ويصدون الناس

(١) ف.ف. كوستللو، علم الاجتماع الحضري التمدن في الشرق الأوسط، ترجمة أبوبكر باقادر، دار القلم، (د.ت)، بيروت، ص(١١٧-١١٨) ملخص.

(٢) سعود عبدالعزيز التركي، العوامل المؤدية إلى تعاطي المخدرات والمنظور الإسلامي لمواجهتها، ص (٤٢٢).

عنها، للمفارقة الحاصلة بين دعوة الرسل، وواقعهم المترف الذي لا قدرة لهم على تركه ومفارقته»[1]، قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتۡرَفُوهَآ إِنَّا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴾[2]، فذاك قارون أتاه الله من الكنوز ما أن مفاتيحه لتنوء بالعصبة أولي القوة، وعندما طلب منه قومه أن يتبع في ذلك الدار الآخرة ولا ينسى نصيبه من الدنيا قال: إنما أعطانيه الله لعلمه أنني أستحقه[3]، قال تعالى: ﴿وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ وَأَحۡسِن كَمَآ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ وَلَا تَبۡغِ ٱلۡفَسَادَ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴿٧٧﴾ قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلۡمٍ عِندِيٓۚ أَوَلَمۡ يَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَهۡلَكَ مِن قَبۡلِهِۦ مِنَ ٱلۡقُرُونِ مَنۡ هُوَ أَشَدُّ مِنۡهُ قُوَّةٗ وَأَكۡثَرُ جَمۡعٗاۚ وَلَا يُسۡـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ ﴾[4].

- **الترف والظلم:**

المال في يد من لا يعرف الله في الرخاء قد ينفقه في ظلم العباد فينحرف بذلك عن الفضيلة الخلقية إلى الرذيلة، حيث أن هناك علاقة بين الظلم والترف «فإن الظلم يلازم الترف، وإن الترف من أعظم أسباب الظلم»[5]، قال تعالى: ﴿فَلَوۡلَا

(١) عبدالله أحمد قادري، الإسلام وضروريات الحياة، ص (١٥٢-١٥٣).
(٢) سورة سبأ: آية رقم (٣٤).
(٣) انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج٣، ص (٤٠٩-٤١٠).
(٤) سورة القصص: آية رقم (٧٧-٧٨).
(٥) عبدالله أحمد قادري، الإسلام وضروريات الحياة، ص(١٥٣).

كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُواْ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ ۗ وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَآ أُتْرِفُواْ فِيهِ وَكَانُواْ مُجْرِمِينَ ﴾[1].

ثانياً: الفقر:

الفقير هو: «من لا يملك شيئاً أو يملك دون نصف الكفاية لنفسه ولمن يعوله. والمسكين: من يملك نصف الكفاية أو معظمها، ولكن لا يملك تمام الكفاية»[2]، أي أن كليهما محتاج لمزيد من الموارد الاقتصادية، ومما لاشك فيه أن للفقر تأثير على السلوك ما لم يؤازره الإيمان والخلق القويم؛ لأن «الفقير المحروم كثيراً ما يدفعه بؤسه وحرمانه وبخاصة – إذا كان جواره الطاعمون الناعمون- إلى سلوك ما لا ترضاه الفضيلة والخلق الكريم»[3] وقد استعاذ الرسول ﷺ من الفقر كما جاء في الحديث: (اللهم إني أعوذ بك من الكفر والفقر وعذاب القبر)[4] وقال عليه الصلاة والسلام: (اللهم إني أعوذ بك من الفقر والقلة والذلة، وأعوذ بك من أن أظلم أو أظلم)[5] كما أن الفقر قد يؤدي بالإنسان إلى المغرم، والمغرم يجر إلى

(١) سورة هود: آية رقم (١١٦).

(٢) يوسف القرضاوي، مشكلة الفقر وكيف عالجها الإسلام، مكتبة وهبة، ط٥، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م، القاهرة، ص(٨١).

(٣) المرجع السابق، ص(١٣).

(٤) النسائي (٣/٧٣-٧٤) برقم (١٣٤٧). وأحمد (٥/٣٦،٣٩،٤٢). وقال الألباني: صحيح الإسناد، صحيح سنن النسائي، برقم (١٢٧٦).

(٥) أبوداود(٢/١٩٠-١٩١)، برقم (١٥٤٤). واللفظ له. والنسائي (٨/٢٦١)، برقم (٥٤٦٢). وأحمد (٢/٣٠٥-٣٢٥) وقال الألباني: صحيح سنن أبي داود، برقم (١٣٦٦-١٥٤٤).

الكذب وإخلاف الوعد، فإنه ﷺ كان يتعوذ من ذلك فيقول: (اللهم إني أعوذ بك من المأثم والمغرم، فقال له قائل: ما أكثر ما تستعيذ من المغرم؟ قال: إن الرجل إذا غرم حدث فكذب، ووعد فأخلف)[1].[2]

ولاشك أن الفاقة المادية للسيولة النقدية لها أثر كبير في سلوك الفرد ونمط حياته، إذ يبرز أثرها على الناحية التربوية والمعيشية والصحية وهذه تؤثر على نوع السلوك ودرجة انحرافه ويمكن إيضاح ذلك في النقاط التالية:

- **الفقر وأثره على الناحية التربوية:**

إن للفقر تأثيره في الناحية التربوية، فقلة الدخل تدفع الوالد أو العائل إلى صرف جُلّ وقته خارج البيت، بحثاً عن ما يسد به حاجة أسرته، فينصرف عن تربية أولاده وتوجيههم، فيتركهم عرضة للمؤثرات الانحرافية في المجتمع، كما أن شدة الفاقة قد تنمي في الوالد حدة المزاج وسرعة الغضب، مما يدفعه إلى القسوة، والشدة، كما يمتد هذا على استعانة الأب بالأبناء في كسب العيش، مما يضيع عليهم فرصة التعليم أو يقلل من وقت الإطلاع والاستذكار، وكذلك يكون المنزل غير مهيئ للمذاكرة[3] فكل هذه الظروف تحد من دور الأثر التربوي في الأسرة، وتترك للجهل أبواباً يدخل منها، وللانحراف نوافذ مفتوحة، مما يجعل

(١) البخاري (٢٦٨/١) برقم (٨٣٢) واللفظ له. ومسلم (٤١٢/١) برقم (١٢٩-٥٨٩).
(٢) ابن حجر، فتح الباري، ج٥، ص(٦١).
(٣) محمود حسن، مقدمة الخدمة الاجتماعية، ص(٤٤٢-٤٤٣).

الأبناء عرضة للانحراف الخلقي.

- **الفقر والبطالة:**

إن بعض المجتمعات تعاني من كثرة الأيدي العاملة المعطلة التي لا تجد فرصتها لكسب قوتها، وهذا ينعكس على الحالة الاقتصادية للأفراد. وقد أشار الدكتور عبدالمجيد سيد منصور إلى «أن سوء الحالة الاقتصادية للطبقة العاملة في الدول المتقدمة صناعياً وازدياد البطالة يزيد من نسبة جرائم التشرد والاشتباه والتسول، كما تزداد ظاهرة الدعارة والجرائم الجنسية»[1]، وقد يكون هذا السلوك نتيجة لفقر الأسرة ورغبتها في سد احتياجاتها الضرورية، فتجد الأسرة في انحرافها وسيلة للكسب غير المشروع، كما أن «هناك من يرى أن الفقر والمعيشة غير المستقرة وظروف العمل القاسية قد تساعد على انتشار تعاطي المخدرات»[2] وبيعها كوسيلة لسد النقص المادي الناتج من البطالة.

«أما منطلق العلاقة بين عائل الأسرة وجناح الأحداث فيستند إلى القول بأن في تعطل رب الأسرة إخلالاً بالوظيفة التي يقوم بها لتوفير المستوى الاقتصادي الملائم لأسرته، ومن ثم يعتري الأسرة نفسها الخلل في أدائها لوظيفتها الاقتصادية، وقد يؤدي تعطل الأب وعائل الأسرة عن العمل إلى خروج

(١) عبدالمجيد سيد أحمد منصور، السلوك الإجرامي والتفسير الإسلامي، ج١، ص(١١٠).
(٢) سعود بن عبدالعزيز التركي، العوامل المؤدية إلى تعاطي المخدرات والمنظور الإسلامي لمواجهتها، مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ص(٤٥٨).

الأمهات والأبناء بحثاً عن مصدر رزق، وهناك تتكامل الحلقات الثلاث مؤدية في بعض الحالات بالحدث إلى الانحلاف»[1].

- **الفقر والأحداث:**

إن قلة الدخل أو فقدانه قد يجعل الأب يشجع الأبناء الأحداث على العمل في سن مبكرة، مع أن الاشتغال في بعض المهن، كالعمل في المقاهي والملاهي، وغيرها تدفع بعض الأحداث إلى الجنوح. مما جعل بعض الدراسات تقرر أن نسبة الجناح بين الأطفال الذين يعملون والذين لا يعملون تراوحت فيما بين الضعف، وعشر مرات، كما أن اشتغال الأحداث في سن مبكرة يعرضهم للتأثيرات الجانحة من البالغين المنحرفين، نتيجة عدم نضج الأحداث وضآلة خبرتهم في الحياة[2].

- **الفقر والمداهنة في المعاملات:**

قد يؤدي الفقر المدقع إلى الانحراف بأخذ الرشوة في إنجاز الأعمال، كما يؤدي إلى المداهنات والتملق في المعاملات، وقد أشار ابن الجوزي لذلك: بقوله «وقد رأينا جماعة يغشون الولاة لأجل نيل ما في أيديهم فمنهم من يداهن، ومنهم من يمدح بما لا يجوز، ومنهم من يسكت عن منكرات، إلى غير ذلك من المداهنات

(١) محمد عارف، الجريمة في المجتمع، ص(٣٨٠).
(٢) المرجع السابق، ص(٣٧٨).

وسببها الفقر»[1].

- **الفقر والصحة:**

إن الفقر خطر على الصحة لما يتبعه عادة من سوء التغذية وسوء المسكن. وعلى الصحة النفسية لما يلازمه عادة من الضجر والتبرم والقلق والسخط[2]، وهناك ارتباط بين الفقر والأمراض الشديدة مثل: الأنيميا والسل والكساح[3]، وهذا يسبب الانحراف نحو التسول لجلب ما يسد الحاجة من قيمة الدواء والطعام.

ب- العوامل المساندة للمؤثرات الاقتصادية للانحراف:

وهنا تأتي عدة تساؤلات حول هذه العوامل وهي:

هل الفقر وحده، أو الغنى وحده، أو كلاهما مسؤول عن الانحرافات السلوكية؟ أم هناك مؤثرات أخرى إذا ارتبطت بأحدهما أو كلاهما أدت إلى الانحراف؟

وللإجابة عن ذلك نجد أن الباحثين قد درسوا في بيئاتهم مدى ارتباط الفقر بالانحراف، فتبين لهم ضعف الارتباط بين الفقر والانحراف، وأنه ليس الباعث الحتمي للانحراف في حد ذاته، وذلك لما يوجد من صفات الأمانة والشجاعة لدى بعض الأحداث الفقراء، حيث لا يجذبهم الانحراف للسرقة، أو الكسب

(١) ابن الجوزي، صيد الخاطر، دار الكتب العلمية، (د.ت)، بيروت، ص(١٦١).
(٢) يوسف القرضاوي، مشكلة الفقر وكيف عالجها الإسلام، ص(١٦).
(٣) محمود حسن، مقدمة الخدمة الاجتماعية، ص(٤٤٢).

غير المشروع، بل يستهجنون المنحرفين، وفي الجانب الآخر نجد بعض الأحداث الذين يشبون بين أحضان الغنى ورغم ذلك ينحرفون[1]، ولنأخذ مثالاً أو دليلاً على ذلك يبين أن هناك فقراء لم يحرفهم الفقر إلى هاوية الانحراف الخلقي، وهذه العينة هم «فقراء المهاجرين نحو أربعمائة، لم يكن لهم مسكن في المدينة ولا عشائر، وكانوا قد حبسوا أنفسهم على الجهاد في سبيل الله، فكانوا وقفاً على سرية بعثها رسول الله ﷺ وهم أهل الصفة»[2]، قال تعالى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾[3].

وهناك مثال آخر للجانب الاقتصادي الآخر وهو الغنى «فالولايات المتحدة الأمريكية من أغنى مجتمعات العالم ومع ذلك يرتفع فيها معدل الجناح عن أي مجتمع آخر»[4].

كما أن الدراسات التي أجريت حول ارتباط الفقر بالانحراف كانت متناقضة، وهذا ما أشار إليه أحد الباحثين في أبحاث ودراسات الانحراف حيث يقول عن

(١) المرجع السابق، ص(٤٤١).
(٢) ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين، ج٢، ص(٤٥٦).
(٣) سورة البقرة: آية رقم (٢٧٣).
(٤) محمود عارف، الجريمة في المجتمع، ص(٣٨٤).

البحوث التي أجريت أنها «لم تصل في تحديدها للعلاقة بين العوامل الاقتصادية وجناح الأحداث إلا إلى نتائج متناقضة»[1] معللاً ذلك «بقصور الجوانب المنهجية في بعض هذه الدراسات لأنها لم تستند إلى مقارنات دقيقة، أو إلى مجموعات ضابطة وتجريبية ممثلة للجانحين، ولم تستخدم أدوات دقيقة في جميع المعطيات أو تنقيحها»[2].

والنتيجة التي يمكن التوصل إليها أن الفقر في حد ذاته أو الغنى في حد ذاته ليس سبباً في الانحراف، إلا إذا تضافر معه ضعف التنشئة الخلقية على المبادئ الإسلامية، فبالتالي تبرز آثار الفقر والغنى، كعامل مؤثر في السلوك نحو الانحراف. لأنك تجد في الأغنياء من يحافظ على أمواله ولا ينفقها إلا في الأوجه المشروعة، وتجد الفقير الذي يصبر على فقره دون انحراف، وذلك يرجع في نظري للتنشئة، وللوازع الديني، فإذا غاب أو ضعف كان للفقر والغنى دوره في الانحراف، والله أعلم.

ج- الأنظمة الاقتصادية وأثرها في الانحراف:

تسود العالم اليوم ثلاث أنظمة واسعة الانتشار، هي النظام الإسلامي والنظام الرأسمالي والنظام الاشتراكي، وقد بينت الدراسات الواقعية فشل الأنظمة

(١) المرجع السابق، ص(٣٧٢).
(٢) المرجع السابق، ص(٣٧٢).

الاقتصادية الوضعية لأنها أسهمت في الانحرافات الخلقية، في حين أن النظام الاقتصادي الإسلامي سجل بأنظمته العلاج الناجع للمجتمع، ومنها مثلاً إيجاد علاقة بين الأغنياء والفقراء، تتجلى في باب الزكاة وباب الصدقة والإحسان. بينما رأت الاشتراكية أن السبيل الوحيد للقضاء على الفقر هو القضاء على طبقة الأغنياء ومصادرة أموالهم وحرمانهم من ثرواتهم، بل ذهبت إلى أبعد من ذلك في محاربتها لمبدأ الملكية، وخاصة ما يسمى ثروات الإنتاج، مثل الأرض والآلات. وعملت على تأليب طبقات المجتمع الفقيرة على الأغنياء، وإثارة الحسد والبغضاء في صدورهم، وإشعال نيران الصراع بينها، حتى ينتصر في النهاية أكثرها عدداً، وهي الطبقة العامة الكادحة التي يسمونها (البروليتاريا)[1] وهذا يعني الانحراف بالمجتمع عن المبادئ الخلقية إلى الرذائل المتمثلة في الصراع والتباغض، والقضاء على نزعة حب التملك الذي يودي غيابه إلى ظهور عوامل الانحرافات الخلقية، ومنها التوتر النفسي.

وقد قامت مناقشات حول العلاقة بين الانحراف والإجرام، وبين النظام الاقتصادي، فرأى بعض المفكرين أن النظام الاقتصادي الرأسمالي هو المسؤول عن خلق الجناح والجريمة في المجتمع، وتبدو هذه الآراء عند المفكر الإيطالي (توراني) ولكن أظهر من نسبوا إلى النظام الرأسمالي مسؤولية تولد الجناح في

(١) يوسف القرضاوي، مشكلة الفقر وكيف عالجها الإسلام، ص(٩).

المجتمع هو المفكر الهولندي (يونجر)[1] فمثلاً «ترتبط السرقة ارتباطاً مباشراً بتقسيم الناس إلى أغنياء وفقراء في ظل النظام الرأسمالي»[2].

أما النظام الاقتصادي الإسلامي فينظر إلى العلاقة بين فقراء المسلمين وأغنيائهم نظرة أخوية، فهو يرفض «كل مذهب ينادي بتغذية العداوة والصراع بين الأغنياء والفقراء أو بين الطبقات بعضها وبعض، وكيف لا! والأخوة صنو الإيمان، وثمرة الإسلام»[3]، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾[4].

والإسلام ينظر إلى العلاقة بينهما علاقة أخوية تعاونية بالمؤاخاة والصداقة والإحسان، لسد حاجة الفقير حتى لا يستهويه الشيطان فيجره للانحراف.

وقد أمر الله ﷻ عباده بالعطاء والإنفاق، قال تعالى: ﴿وَأَنفِقُوا۟ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾[5] وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَٰعَةٌ ۗ وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾[6].

وفي علاجه لمشكلة الفقر بعطاء الأغنياء للفقراء كالزكاة والصدقة، وكفالة

(١) محمد عارف، الجريمة في المجتمع، ص(٣٨١).
(٢) المرجع السابق، ص(٣٨٢).
(٣) يوسف القرضاوي، مشكلة الفقر وكيف عالجها الإسلام، ص(٢٧).
(٤) سورة الحجرات: آية رقم (١٠).
(٥) سورة الحديد: آية رقم (٧).
(٦) سورة البقرة: آية رقم (٢٥٤).

الموسرين من الأقارب، كما يدلهم على الحلول الصحيحة لفقرهم كالاستغفار، كما جاء على لسان نوح في قوله تعالى: ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا﴾[1].

قال ابن عباس وغيره: أي إذا تبتم إلى الله واستغفرتموه وأطعمتموه كثر الرزق عليكم[2]، كما يغرس الإسلام روح الأمل بفضل الله وامتنانه قال تعالى: ﴿إِن يَكُونُوا۟ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾[3]، وقال تعالى: ﴿سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾[4].

كما أن الفقر ليس ثابتاً دائماً، بل هو رحالة ينتقل وقد يختفي ويزول ويعود، وفقراء اليوم قد يكونوا أغنياء في الغد[5] لأن الرزق بيد الله، والفضل بين الناس في الإسلام ليس بالمال وإنما بالتقوى، قال تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾[6] وقال ﷺ: (رب أشعث مدفوع بالأبواب لو أقسم على الله لأبره)[7]، أما توجيه الإسلام للأغنياء في استخدام المال فهو توجيه يبعدهم عن الإسراف والانحراف، قال

(١) سورة نوح: آية رقم (١٠-١٢).
(٢) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج٤، ص(٤٥٣).
(٣) سورة النور: آية رقم (٣٢).
(٤) سورة الطلاق: آية رقم (٧).
(٥) انظر: يوسف القرضاوي، مشكلة الفقر وكيف عالجها الإسلام، ص(١٣٣).
(٦) سورة الحجرات: آية رقم (١٣).
(٧) مسلم (٢٠٢٤/٤) برقم (١٣٨-٢٦٢٢).

تعالى: ﴿وَلَا تُسْرِفُوٓاْ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿١٤١﴾﴾[1] وقال تعالى: ﴿وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ ۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا﴾[2]، وقال تعالى: ﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾[3].

وبهذا يتضح أن الإسلام في نظامه الاقتصادي نظام عادل يؤلف بين القلوب ويربط بينها، بالتكامل الاجتماعي الصحيح الذي يؤديه الفرد عن رغبة وطواعية، أملاً فيما عند الله من أجر وثواب، وهذا التعاون يؤدي إلى الوقوف أمام انحراف الفقراء نتيجة الحاجة والفاقة. والوقوف أيضاً أمام ترف الأغنياء الذي ترتبط به الانحرافات كما سبق إيضاحه، وإن كان هناك هفوات انحرافية في المجتمع الإسلامي عند الأغنياء والفقراء فهي نتيجة فقدان التطبيق العملي الصحيح للنظام الاقتصادي الإسلامي. وعدم تطبيق منهج التربية الإسلامية.

تبين مما سبق أن أفضل نظام اقتصادي لمعالجة انحراف بعض الأغنياء والفقراء هو النظام الاقتصادي الإسلامي، وأن الفقر والغنى في غياب أو ضعف الوازع الديني والتنشئة الخلقية السليمة، ووجود البيئة الفاسدة أحد أسباب الانحرافات

(١) سورة الأنعام: آية رقم (١٤١).
(٢) سورة الإسراء: آية رقم (٢٦-٢٧).
(٣) سورة القصص: آية رقم (٧٧).

الخلقية.

رابعاً: البيئة الاجتماعية

تعرف البيئة بأنها كل: «ما يحيط بالإنسان من مؤثرات حسية أو معنوية»[1]، وهي تؤثر في سلوك الإنسان سلباً أو إيجاباً.

ويقصد بها كل ما يحيط بالإنسان من جماعات أسرية أو قبلية أو مدرسية أو عملية، أو غيرهم من الجماعات، وما أكثر أشكالها وألوانها الثقافية والاعتقادية التي قد تتباين وتتفق. وغالباً ما يلزم المرء الاختلاط بهم بسبب روابط الصلة والقرابة أو الصحبة والرفقة في العمل والدراسة أو بحكم الجوار، ولاشك أن لأولئك تأثيراً في الفرد كل بحسب اتجاهه ونوعية مشاربه الأخلاقية، وبدرجة تقبل الفرد نفسه لتلك التأثيرات.

والخلطاء على ضربين: خلطاء سوء، وخلطاء صالحين، ومخالطة الفرد للصنف السيء «توجب له تشتتاً وتفرقاً وهماً وغماً، وضعفاً، وحملاً لما يعجز عن حمله من مؤونة قرناء السوء، وإضاعة مصالحه، والاشتغال عنها بهم، وبأمورهم، وتقسم فكره في أودية مطالبهم وإرادتهم، فماذا يتبقى منه لله والدار الآخرة؟»[2] حتى إذا جاء يوم الندم والحسرة على ما ضيع في جنب الله، ولم تنفعه تلك الحسرة والندامة،

(١) محمد أحمد جاد المولى، الخلق الكامل، ج١، ص(٦٥).
(٢) ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين، ج١، ص(٤٨٩).

فهناك يعض الظالم على يديه، ويتمنى لو أنه لم يتخذ فلاناً خليلاً، واتخذ منهج الرسول سبيلا، قال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِي ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِيۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ﴾[1] وفي تصوير قرآني آخر، قال تعالى: ﴿ ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ وَرَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُواْ مِنَّاۗ كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْۖ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ﴾[3].

ولهذا كان السلف يقولون: «احذروا من الناس صنفين صاحب هوى قد فتنه هواه، وصاحب دنيا أعمته دنياه، وكانوا يقولون احذروا فتنة العالم الفاجر، والعابد الجاهل. فإن فتنتهما فتنة لكل مفتون»[4].

فالأخلاء من أهل السوء لا يرشدون الإنسان إلا على أعمال السوء، فيحرفون طبعه إلى الرذيلة، ويزينون له سوء عمله حتى إذا وقع في الرذيلة وأصبح عبداً لها، وارتكس في أوكارها مدمناً لها، فإنه يصبح مكروهاً عند الفضلاء منبوذاً عند

(١) سورة الفرقان: آية رقم (٢٧-٢٩).
(٢) سورة الزخرف: آية رقم (٦٧).
(٣) سورة البقرة: آية رقم (١٦٦-١٦٧).
(٤) ابن تيمية، اقتضاء الصراط المستقيم، ص(٢٥).

العقلاء، يسخر منه الأشرار، ويحذره الأخيار، كما يظل في تعب وعناء من شر ما استحوذ عليه وأصابه من بلاء الطبع وفساد السلوك، وانحرافه. وهنا لابد من طرح السؤال التالي.

ماذا يفعل المسلم إذا دعت الحاجة إلى مخالطة أهل السوء بسبب العمل والحياة؟ وكيف السبيل إلى توقي شرهم مع التأثير فيهم؟ للإجابة نقول إن الموقف هنا يحتاج إلى حكمة في التعامل معهم، يصفها لنا ابن قيم الجوزية بقوله: «فإن دعت الحاجة إلى خلطهم في الشر ولم يمكنه اعتزالهم، فالحذر الحذر أن يوافقهم، وليصبر على أذاهم، فإنهم لابد أن يؤذوه، إن لم يكن له قوة ولا ناصر، ولكن أذى يعقبه عزة ومحبة له وتعظيم وثناء عليه منهم ومن المؤمنين، ومن رب العالمين»[1].

أما وإن كانت المخالطة في المباحات فليجتهد على أن يغلب ذلك المجلس طاعة لله إن أمكنه، ويشجع نفسه، ويقوي قلبه، فإن أعجزته المقادير عن ذلك فليسل قلبه من بينهم كسل الشعرة من العجين، وليكن فيهم حاضراً غائباً، قريباً بعيداً، نائماً يقظاً[2].

أما مخالطة الصنف الثاني وهم الصالحون، فهي مطلوبة ومرغوبة، لأن ليس

(١) ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين، ج١، ص(٤٩٠).
(٢) المرجع السابق، ج١، ص(٤٩٠).

فيها ما يشين، بل فيها ما يؤازر الفضيلة ويقويها، فهم للمرء زينة تُلبسه كل يوم حلية جميلة، ويصيبه من مخالطتهم خير كثير، يبعث فيه حب الفضائل، والعمل بها، ويزرع فيه كره الرذائل، وتركها باجتنابها، فيزداد طبعه وسلوكه حسناً على حسن، وعلى مثل هؤلاء فليحرص المرء، لأنهم كما وصفهم النبي ﷺ بقوله: (إنما مثل الجليس الصالح والجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير. فحامل المسك إما أنه يحذيك، وإما أن تبتاع منه، وإما أن تجد منه ريح طيبة، ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك، وإما أن تجد ريحاً خبيثة)[1]، وبالرغم من الأثر الكبير للبيئة في الانحرافات الخلقية إلا أنها ليست عاملاً يصعب تجنب تأثيره وإن كان قوياً، فكم من أفراد عاشوا في وسط الكفر والإلحاد لكنهم مثالاً للتقوى، وكم من فئة عاشت في بيوت مثالاً للتقوى لكنها انحرفت ولم تتأثر به، وحادت عن نهج البيئة التي تعيش فيها، فكانت مثالاً للكفر والإلحاد، فهذه امرأة نوح وامرأة لوط كانتا في بيتي نبوة، لكنهما حادتا عن المنهج الصحيح، وفي الجانب الآخر، امرأة فرعون كانت تعيش في بيت الكفر لكنها عرفت الحق فحادت عن الكفر إلى الطريق المستقيم، قال تعالى: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ ۖ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ﴿١٠﴾ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱمْرَأَتَ

(١) البخاري (٤٦٣/٣) برقم (٥٥٣٤). ومسلم (٢٠٢٦/٤) برقم (٢٦٢٨/١٤٦) واللفظ له.

فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِي مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[1].

وهذا ليس تهويناً من أثر البيئة الاجتماعية، فتأثيرها من أقوى المؤثرات على سلوك الفرد الإنساني، لأن المخالطة توجب المشاكلة، ولكن في استطاعة الإنسان أن يفلت من تأثيرها بجهده بعد توفيق الله ونصره.

وهناك عوامل عدة تشارك في وجود كل رذيلة خلقية، وتكون سبباً لها، وتأثيرها فاعل في الانحرافات الاجتماعية عن الخلق العظيم، وهي:

١ - ضعف التنشئة التربوية:

تعتبر التنشئة التربوية الصالحة ثمرة لكل سلوك فاضل محمود، كما أن التنشئة الفاسدة أس لكل رذيلة خلقية، بل إن التنشئة الفاسدة تؤثر في جذور عقيدة الإنسان وتجتثه من فطرته كما أوضح ذلك نبي البشرية محمد ﷺ فقال: (كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه)[2].

وضعف التنشئة التربوية يكون في عدة جوانب تمس بناء أخلاق الفرد، والمجتمع، وهي:

(١) سورة التحريم، آية رقم (١٠-١١).
(٢) البخاري (٤٢٤/١) برقم (١٣٨٥) ومسلم (٢٠٤٧/٤) برقم (٢٦٥/٢٢).

- الجوانب العلمية:

إن ضعف تربية الجانب العلمي الشرعي لدى الفرد، يفقده أكبر وأقوى حصانة ذاتية؛ لأن العلم الشرعي هو الذي يغرس ويربي النفس على التقوى، وبعد النظر لما بعد الدنيا من نعيم أو جحيم، فيجعلها مقدمة على الفضيلة، خائفة ومبتعدة عن الرذيلة.

وضعف العلم الشرعي في قلوب الأفراد يؤدي إلى الجهل الذي يقودها لموتها، فلا تتحرك لجراحات القبائح، وآلام المصائب، وأوجاع الرذائل، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: فالقلب يموت بالجهل المطلق، ويمرض بنوع من الجهل[1].

والاهتمام بالعلوم الدنيوية دون الشرعية، يُحدث فجوة في القلب والذهن، فيصبح الفرد لا يعرف من العلوم إلا ما يحقق أطماعه الدنيوية، في معزل عن آخرته، وبالتالي قد يسرق، ويبطش، ويزني ويرتكب المحرمات.

- الجوانب العقدية والتعبدية:

إن ضعف التنشئة العقدية والتعبدية لدى الفرد، يجعله سهل الانسياق وراء الشهوات والملذات التي تقوده للانحرافات؛ لأن العقيدة الصحيحة والعبادة تربي في المسلم قوة اليقين، وقوة البصيرة، وقوة الصبر وعلو الهمة، والبعد عن الدناءات، قال تعالى: ﴿ ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ

(١) ابن تيمية، الفتاوى (١٠/٩٤).

ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾[1].

والفحشاء وهي ما ظهر قبحها لكل أحد، واستفحشها كل ذي عقل سليم، ولهذا فسرت بالزنا واللواط، وسماها الله فاحشة لتناهي قبحها، وكذلك القبح من القول يسمى فحشاء، وهو ما ظهر قبحه جداً، من السب القبيح والقذف ونحوه[2].

والصلاة إذا فعلها العبد كما أُمر فإنها تنهى عن الفحشاء والمنكر، ومن المعلوم أن من حافظ عليها بخشوعها الباطن، وأعمالها الظاهرة، وكان يخشى الله الخشية التي أمر بها، فإنه يأتي بالواجبات ويتجنب الكبائر[3]، وإذا ضعفت التربية الدينية تعرض الفرد للانحرافات السلوكية وويلاتها.

- الجوانب الخُلُقية:

إنَّ ضعف التنشئة الخلقية على الفضائل الإسلامية، يجعل المرء سهل الانقياد لأضدادها من الرذائل السلوكية؛ لأنه لم يألف التربية على الصبر، وبالتالي لن يصبر عن نزواته وشهواته، وكذلك لم يألف الحياء، وبالتالي لن يستحي من فعل الجريمة، ولم يألف الصدق والأمانة، وبالتالي يسرق ويغش، ويخدع في القول

(١) سورة العنكبوت، آية رقم (٤٥).
(٢) ابن قيم الجوزية، مدارج، السالكين (٤٠٢/١).
(٣) ابن تيمية، الإيمان، ص (٢٨-٢٩).

والفعل.

يقول ابن حزم: فإن السعيد من آنست نفسه بالفضائل، ونفرت من الرذائل والمعاصي، والشقي من آنست نفسه بالرذائل والمعاصي ونفرت من الفضائل والطاعات[1]، ولذلك فإن ضعف التربية الخلقية من أقوى أسباب الفساد والانحراف.

- جوانب العقوبة:

للعقوبة أثر فاعل في صد الجريمة. وإهمالها يفسح المجال للفرد والمجتمع أن ينصاع وراء نزواته الشيطانية، ولما أن المجتمعات اليوم فقدت تطبيق العقوبات الشرعية، أصبحت تعاني من ويلات الانحراف السلوكي؛ لأن الروادع الجزائية الوضعية لا تتوافق مع حجم الانحراف من جهة؛ ومن جهة أخرى فإنها فقدت الوازع الشرعي لها.

والمجرم إذا لم يجد العقوبة الرادعة استشرى الشر في نفسه، وسعى في الأرض فساداً. يقول: ابن القيم: فإن عقوبة الجناة والمفسدين لا تتم إلا بمؤلم يردعهم، ويجعل الجاني نكالاً وعظة لمن يريد أن يفعل فعله، وعند هذا فلابد من إفساد شيء

(١) ابن حزم، الأخلاق والسير (١٨).

منه، بحسب جريمته، في الكبر والصغر، والقلة والكثرة[1] ولذلك لا رادع إلا بتطبيق العقوبات الشرعية.

٢ - القدوة السيئة:

تؤثر القدوة السيئة في الآخرين تأثيراً فاعلاً؛ لأنها تجسد التطبيق العملي للانحراف أمام الآخرين، وتوضح ذلك بالأسلوب والمنهج، والإغراء، مما يدفع بمن ضعفت بصيرته نحو السلوك المنحرف.

وقد بين ﷺ خطورتها وخطورة فاعلها، وتحمله لأوزار من يتأسون ويتأثرون به، فقال عليه أفضل الصلاة والسلام: (من سن في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها، ووزر من عمل بها من بعده، من غير أن ينقص من أوزارهم شيء)[2].

والقدوة السيئة تتمثل في الكلمة السيئة، والفعل الخبيث سواءً كان مباشرة، أو من خلال الصورة، أو الكتاب، أو أي وسيلة يستغلها الإنسان ليؤثر في الآخرين، وينشر الفساد بينهم.

فالقدوة السيئة تجسد الانحرافات السلوكية عملياً، ولذا فإن تأثيرها بالغ، ولا سيما إذا كان المتمثل بالقدوة شخصية محببة لنفسية الفرد، ويجد ميلاً إليها، كالأب والمعلم والصديق، أو أن يتصف صاحب القدوة السيئة بملامح فيها نوع

(١) ابن القيم، أعلام الموقعين (١٢٢/٢).
(٢) مسلم (٧٠٥/٢) برقم (٦٩-١٠١٧).

من القوة الجسمية أو الذهنية، فيعجب به الآخرون، ويحذون حذوه في انحرافه.

ففي مرحلة البلوغ والشباب، يبرز الميل نحو الصفات ذات القوة البطولية، حيث يميل الفرد إلى من يتصفون بالصفات البطولية، فإذا وجدت القدوة السيئة، وانعدمت القدوة الطيبة في المجتمع، اقتدى بها الشباب في أخلاقها الفاسدة من سرقة، وسطو، واغتصاب، وإفساد، وغير ذلك.

وأما إذا غابت القدوة الفاسدة، وظهرت القدوة الصالحة، التي تهتم ببطولات الخير، كمساعدة الآخرين، وتحمل المشاق والمصاعب من أجل الخير، اقتدى الشباب بها واقتفيأثرها.

وكذلك في مرحلة الشيخوخة، إذا وجد المسن الفاسد في سلوكه أثر على من هم في سنه بالمحاكاة والقدوة السيئة، والناس في تفاعلهم واقتدائهم ببعض: كأسراب القطا مجبولون على تشبه بعضهم ببعض[1].

٣ - التأثر بالتيارات الفكرية:

تعتبر التيارات الفكرية القادمة للمجتمع الإسلامي من أعدائهم أشد فتكاً وشراسة على الأخلاق، لما تحمله عبر الكلمة البراقة، والشاشة الملونة، والبث المباشر السريع، من فتن فكرية كقطع الليل مظلمة، حيث تغرس الشك بدل

(١) ابن تيمية، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ص (٤٤).

اليقين، وتثير الفتن، بما يفسد الأخلاق وينحدر بها إلى الهاوية، وتتمثل التيارات الفكرية الغازية في وسائل متعددة، منها ما يلي:

- البث المباشر:

يعتبر البث المباشر من أسرع الوسائل الحديثة التي غزت العالم بأسره، ونقلت بين أفراده ما هو صالح وما هو فاسد على حد سواء، ولنسبة الفساد أكبر الحظ والنصيب.

فأصبح يبث ما يفسد الدين، والأخلاق ويحطم القيم الاجتماعية، وينشر الفساد والرذيلة، من خلال نقل عادات خلقية فاسدة لأهل الكفر والرذيلة، وتقديمها في ثياب براقة، فينزلق وراءها الشباب، ومن ضعفت نفوسهم، وسيطرت عليهم شهواتهم.

- الترجمة:

لترجمة الفكر المنحرف إلى اللغة العربية تأثير كبير على القراء الذين لا يملكون حصانة شرعية وعلمية تمنعهم من الانزلاق وراء الأفكار التي يقرؤنها.

فهناك ترجمة لفكر يدعو إلى تحرير المرأة، وخروجها من بيتها، لتقف مع الرجل في المتجر، والمصنع، وفي الفصل الدراسي، وفي كل موقف، وأن خلاف هذا هو التأخر، ومنها ما يزين للشباب العلاقات المحرمة من خلال القصص والروايات التي تُزَيَّنْ باسم الروايات العالمية، ومنها ما يوضح للقارئ مسلك

الجريمة، وكيف يخطط لها وينفذها. فلهذه الترجمات أخطارها الجسيمة على السلوك الإنساني.

- السفر إلى بلاد الكفار:

وللسفر إلى بلاد الكفار من غير حاجة ملحة خطر على المسافرين، لما يشاهدونه من ممارسات محرمة، تؤدي بهم إلى الوقوع فيها، وتقودهم إلى نقلها لمجتمعاتهم، أو للحديث عنها وعن أماكنها.

وربما حدا بهم ذلك إلى الدعوة إليها وتبنيها، فما الاختلاط، ورفع الحجاب وانتشار المخدرات إلا وللسفر حظ كبير في نقلها للمجتمعات الإسلامية.

وقد سئل سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز - تغمده الله بواسع رحمته - عن ما تقوم به بعض المؤسسات بالنشر في الصحف، داعية أبناء المسلمين لقضاء العطلة الصيفية في البلاد الغربية لتعلم اللغة الإنجليزية.

فمما ورد في إجابة سماحته[1]: والآيات الدالة على عداوة الكفار للمسلمين كثيرة، والمقصود أنهم لا يألون جهداً ولا يتركون سبيلاً للوصول إلى أغراضهم وتحقيق أهدافهم، في النيل من المسلمين إلا سلكوه، ولهم في ذلك أساليب عديدة، ووسائل خفية وظاهرة، فمن ذلك ما ظهر في هذه الأيام من قيام بعض مؤسسات

(١) فتاوى إسلامية، لأصحاب الفضيلة العلماء، سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز، فضيلة الشيخ محمد بن صالح بن عثيمين، فضيلة الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن الجبرين، جمع وترتيب محمد بن عبدالعزيز المسند (١/١١٨-١١٩).

السفر والسياحة بتوزيع نشرات دعائية، تتضمن دعوة أبناء هذا البلد لقضاء العطلة الصيفية في ربوع أوربا وأمريكا، بحجة تعلم اللغة الإنجليزية، ووضعت لذلك برنامجاً شاملاً لجميع وقت المسافر، وهذا البرنامج يشتمل على فقرات عديدة، منها ما يلي:

أ - اختيار عائلة إنجليزية كافرة لإقامة الطالب لديها مع ما في ذلك من المحاذير الكثيرة.

ب - حفلات موسيقية ومسارح وعروض مسرحية في المدينة التي يقيم فيها.

ج - زيارة أماكن الرقص والترفيه.

د - ممارسة رقصة الديسكو مع فتيات إنجليزيات ومسابقات في الرقص.

هـ -جاء في ذكر الملاهي الموجودة في إحدى المدن الإنجليزية ما يأتي: (أندية ليلية، مراقص ديسكو، حفلات، موسيقى الجاز والروك الحديثة، مسارح ودور سينما وحانات إنجليزية تقليدية)

وتهدف هذه النشرات إلى تحقيق عدد من الأغراض الخطيرة منها ما يلي:

- العمل على انحراف شباب المسلمين وإضلالهم.

- إفساد الأخلاق، والوقوع في الرذيلة عن طريق تهيئة أسباب الفساد وجعلها في متناول اليد.

- تشكيك المسلم في عقيدته.

- تنمية روح الإعجاب والانبهار بحضارة الغرب.
- تَخَلُّقُه بالكثير من تقاليد الغرب وعاداته السيئة.
- التعود على عدم الاكتراث بالدين وعدم الالتفات لآدابه وأوامره.
- تجنيد الشباب المسلم ليكونوا من دعاة التغريب في بلادهم، بعد عودتهم من هذه الرحلة وتشبّعهم بأفكار الغرب وعاداته وطرق معيشته.

إلى غير ذلك من الأغراض والمقاصد التي يعمل أعداء الإسلام لتحقيقها بكل ما أوتوا من قوة، وبشتى الطرق والأساليب الظاهرة والخفية.

وأجاب سماحته في سؤال عن حكم السكن مع العوائل لمن سافر إلى الخارج للدراسة؛ لأجل الاستفادة من اللغة أكثر، فقال: لا يجوز السكن مع العوائل لما في ذلك من تعرض الطالب للفتنة بأخلاق الكفرة ونسائهم، والواجب أن يكون سكن الطالب بعيداً عن أسباب الفتنة، وهذا كله على القول بجواز سفر الطالب إلى بلاد الكفرة للتعلم، والصواب أنه لا يجوز السفر إلى بلاد الكفار للتعلم إلا عند الضرورة القصوى، بشرط أن يكون ذا علم وبصيرة، وأن يكون بعيداً عن أسباب الفتنة[1].

٤ - ضعف التناصح الاجتماعي:

إن التناصح الاجتماعي من خلال التعاون على البر والتقوى، والأمر

(١) المرجع السابق (١/١١٧).

بالمعروف والنهي عن المنكر، هو أساس صحة المجتمع وسلامته، قال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾[1].

وقال ﷺ: (من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان) [2].

يقول ابن تيمية: فإن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أوجب الأعمال وأفضلها وأحسنها[3].

وإذا ضعف التناصح الاجتماعي، وجد المنحرف المجال مفتوحاً أمامه للإفساد، لا ينهاه أحد عن انحرافه ولا ينتقده ناقد، وبالتالي يمتد في طغيانه واعوجاجه، وربما تأثر به غيره، فلا تجد المرأة من ينهاها عن الخلق الذميم، ولا يجد الصغير من يؤدبه عن الفعل المشين، ولا يجد الشاب مَنْ يحذره عن السلوك الذميم، ولا يؤمر المسن بالفعل الصحيح والخلق الرفيع، كلٌّ مشغول بنفسه، ومن هنا ينهار المجتمع؛ لأن أفراده يجدون مساحة من الحرية الخالية من النقد والنهي، فلا يجد الفرد غضاضة من اتباع الهوى.

ومن أسباب ضعف التناصح الاجتماعي بين أفراد الأمة ما يلي:

---

(١) سورة المائدة، آية رقم (٢).

(٢) مسلم (٦٩/١) برقم (٧٨-٤٩).

(٣) ابن تيمية، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ص (٢٦-٢٧).

- **الانشغال الذاتي:**

حيث ينشغل الفرد بشئونه الخاصة، ومتابعتها، والسعي في تحقيق مصالحه، فيلتهي بذلك عن كلمة الحق، التي تحث الناس على فعل الخير واجتناب الشر، وربما عرف اختلال صديق أو جار، أو أحد الأبناء، فانشغل بشئونه الخاصة عن تحقيق مصلحة عامة، وفي ذلك من المفاسد الشيء الكثير التي تنعكس على الأمة، بل أيضاً على الفرد، قال ﷺ: (والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر، أو ليوشكن الله ﷻ أن يبعث عليكم عقاباً منه، ثم تدعونه فلا يستجاب لكم)[1].

- **التسابق المادي:**

من أسباب ضعف التناصح الاجتماعي التسابق المادي بين الناس، فكل فرد يسعى وراء جمع الجوانب المادية، فانعكس ذلك على نظرة المجتمع في تقييم الناس، فأصبح الرجال يُقَيِّمُون بمدخراتهم المالية، بصرف النظر عن جوانبهم الخلقية، مما جعل أفراد المجتمع إزاء هذه النظرة المادية يندفعون وراء التسابق المادي، تاركين الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وربما جالسوا المنحرفين وآكلوهم وجاملوهم وداهنوهم، لأموالهم وطمعاً في شيء من ذلك.

والله سبحانه وتعالى حذرنا من ذلك، وبين لنا ما لَحِقَ ببني إسرائيل نتيجة

(١) الترمذي (٤/٤٠٦) برقم (٢١٦٩) وقال: هذا حديث حسن، وحسنه الألباني، صحيح الجامع الصغير برقم (٧٠٧ - ٢٣٩٩).

تواطئهم مع المنحرفين، فقال سبحانه وتعالى: ﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ﴾[1].

- عدم الشعور بالمسؤولية:

ونتيجة لعدم استشعار الفرد والمجتمع بالمسؤولية تجاه تطبيق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أدى بهم إلى تجاهل هذه الشعيرة، وعدم إقامتها، والنبي ﷺ يقول كما في الحديث السابق: (والذي نفسي بيده لتأمرنّ بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليوشكن الله ﷻ أن يبعث عليكم عقاباً منه، ثم تدعونه فلا يستجاب لكم)[2].

ولذلك فإن مما تحتاج إليه الأمة أن تعرف مسؤوليتها تجاه هذه الشعيرة على مستوى الفرد والمجتمع، لتقوم بما أوجبه الله تعالى عليها.

٥ - الرفقة السيئة:

للرفقة السيئة تأثير مباشر على الرفيق في سلوكه القولي والفعلي، والاعتقادي، وقد نبه المنهج التربوي الإسلامي إلى ذلك في كثير من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية. قال تعالى: ﴿ ٱلۡأَخِلَّآءُ يَوۡمَئِذِۭ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوٌّ إِلَّا

(١) سورة المائدة، آية رقم (٧٨-٧٩).
(٢) سبق تخريجه.

ٱلْمُتَّقِينَ ﴾[1]. وقال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِي ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِيٓ ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ﴾[2]. وقال ﷺ: (الرجل على دين خليله، فلينظر أحدكم من يخالل)[3].

فالرفقة السيئة تؤثر على معتقد الفرد، وعلى أدائه للشعائر التعبدية، كما أنها تؤثر في سلوكه وأخلاقه، كما قال ابن القيم: توجب له تشتتاً وتفرقاً وهماً وغماً، وضعفاً، وحملاً لما يعجز عن حمله من مؤنة قرناء السوء، وإضاعة مصالحه، والاشتغال عنها بهم، وبأمورهم، وتقسم فكره في أودية مطالبهم وإراداتهم، فماذا يتبقى منه لله والدار الآخرة؟[4].

فالرفقة السيئة عن الحق تصد، وبالباطل تأمر، وبحلاوة الكلام تزين القبائح، وعن المعروف تنهى؛ محبة للشر والفساد، مبغضة للخير والصلاح.

ومن بيئات الرفقة السيئة التي يُصْطَادُ الإنسان فيها ما يلي:

(٢) سورة الزخرف، آية رقم (٦٧).
(٣) سورة الفرقان، آية رقم (٢٧-٢٩).
(٣) أبو داود (١٦٨/٥) برقم (٤٨٣٣) وحسنه الألباني،سلسلة الأحاديث الصحيحة (٣٦٦/٢) برقم (٩٢٧)
(٤) ابن القيم، مدارج السالكين (٤٨٩/١).

- **رفقة الدراسة:**

إن رفاق المدرسة قد يكونوا صالحين وقد يكونوا فاسدين، بحسب اختيار الفرد وتأثره بإحدى الفئتين وانجذابه لها، وذلك لكثرة معايشته ومخالطته لها، مما يوجب اقتداءً واهتداءً، وقد أرشدنا نبي الهدي ﷺ فقال: (إنما مثل الجليس الصالح والجليس السوء، كحامل المسك، ونافخ الكير، فحامل المسك إما أن يحذيك، وإما أن تبتاع منه، وإما أن تجد منه ريحاً طيبة، ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك، وإما أن تجد ريحاً خبيثة)[1].

ولذلك يتوجب على الأسرة أن ترشد أبناءها إلى اختيار الرفقة الصالحة، وعلى المدرسة مثل ذلك، وأن تجعل من طلابها جميعاً رفقة صالحة.

- **الأقارب:**

ليس الأقارب كلهم أهل صلاح وخير، وليس كل أبناء الأقارب صالحين وهنا ربما تغفل الأسرة عن هذا الجانب وتترك لأبنائها مخالطة الفاسدين من الأقارب، فيحدث الشر والفساد، ويكون تعاونهم على الانحرافات السلوكية أقوى وأشد، لوجود روابط الهوى مدعومة بروابط القرابة. ولذلك وجب على الأسرة الانتباه إلى مغبة ذلك والحذر من أهل الفساد مهما كانت الصلة ودرجتها.

(١) البخاري (٤٦٣/٣) برقم (٥٥٣٤) ومسلم (٢٠٢٦/٤) برقم (١٤٦-٢٦٢٨) واللفظ له.

- **الحي:**

قد تتكون الرفقة السيئة من أفراد الحي نتيجة التقارب المكاني، وسهولة المقابلة والمشاركة في الفساد، وهذا يكون عند الصغار، وعند الكبار على حد سواء، ولغفلة الأبوين الأثر البالغ في تكوين تلك الرفقة السيئة من داخل الحي، وبخاصة إذا ضعف التعاون بين أفراد الحي على البر والتقوى والتناصح بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

- **زملاء المهنة:**

ولزملاء المهنة إذا كان فيهم فاسدون أثر فاعل في انحراف زملائهم، حيث إن مصلحة العمل الشخصية توجد بينهم علاقات، قد تتعمق إلى الزيارات أو حدوث الصِّلاة، فتتوطد العلاقات، وتبث بينهم صور وملامح الفساد التدريجي، فإذا لم يتنبه الفرد، وجد نفسه بعد فترة من الزمن صورة مماثلة لهم في نوع الفساد المستشري بينهم.

وهنا لابد للمرء أن يوطن نفسه بالإرادة القوية التي لا تتأثر بانحراف المنحرفين، وأن يجعل تلك العلاقة لا تتجاوز نطاق العمل، وأداء حق المسؤولية، وأن يكون أيضاً لبنة خير بالنصح في دائرة مهنته بما يصلح أحوال من يحيطون به.

المبحث الرابع
مسؤوليات الانحرافات السلوكية

تعتبر الانحرافات السلوكية في الأمة علامة انحدار تربوي، ومؤشر بأن هناك خللاً في مَنْ أنيطت به مسؤولية التربية الإسلامية، وهذه المسؤولية التربوية عن الانحرافات السلوكية لا تناط بجهة دون أخرى، وإنما كل جهة لها نصيبها بقدر تفريطها، فالدولة ذات مسؤولية، والأسرة كذلك، والمجتمع والفرد يلحقهم نصيبهم من ذلك. قال ﷺ: (كلكم راع ومسؤول عن رعيته، الإمام راع ومسؤول عن رعيته، والرجل راع في أهله وهو مسؤول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولية عن رعيتها، والخادم راع في مال سيده ومسؤول عن رعيته. قال: وحسبت أن قد قال والرجل راع في مال أبيه ومسؤول عن رعيته، وكلكم راع ومسؤول عن رعيته)[1].

ويمكن تحديد مسؤوليات الانحرافات السلوكية في الآتي:

أولاً: المسؤولية الفردية:

تنعقد المسؤولية الفردية على الإنسان في نفسه، فهو المسؤول عن تصرفاته وانحرافاته، وتبعات كل ما ينجم عن ذلك، قال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ

(١) البخاري (١/٢٨٤-٢٨٥) برقم)(٦٨٩٣) واللفظ له، ومسلم (٣/١٤٥٩) برقم (٢٠/١٨٢٩).

رَهِينَةٌ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾[2].

ومن هنا فإنه لا يحق للفرد أن يحتج على انحرافاته بالبيئة الاجتماعية التي يعيش في كنفها إن كانت منحرفة، أو أن يحتج بأصدقاء السوء أو بأسرته؛ لأن

الله تعالى زود الإنسان بما يجعله أهلاً لتحمل المسؤولية، فزوده بالعقل الذي هو مناط التكليف، وأرسل إليه الرسل، وخاتمهم محمد ﷺ، و القرآن باقٍ بين أيدينا، وكذلك السنة النبوية التي ترشدنا للحق وتبين ما أوجبه الله تعالى علينا وما نهانا عنه، وأودع في النفس البشرية ما يوجب ذلك، قال تعالى: ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا﴾[3]، أي بيّن لها الخير والشر[4]. وقال الشوكاني: عرفها وأفهمها مالها وما فيها من الحسن والقبيح[5].

وقد وجه الله تعالى المؤمن إلى النظر والتأمل في ما عمل واكتسب من دنياه لآخرته، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾[6]، وقال عليه الصلاة والسلام مبيناً مسؤولية

(١) سورة المدثر، آية رقم (٣٨).
(٢) سورة الزلزلة، آية رقم (٧-٨).
(٣) سورة الشمس، آية رقم (٨).
(٤) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (٤/٥٥١).
(٥) الشوكاني، فتح القدير (٥/٤٤٩).
(٦) سورة الحشر، آية رقم (١٨).

الفرد عن تصرفاته: (لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن عمره فيم أفناه، وعن علمه فيم فعل، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه، وعن جسمه فيم أبلاه) [1].

وليعلم المسلم أن جهاد النفس من أعظم أنواع الجهاد حتى قيل فيه: أنه الجهاد الأكبر[2]. وقال عليه الصلاة والسلام: (المجاهد من جاهد نفسه)[3]. وأما العاجز فكما قال عمر بن الخطاب ﷺ: العاجز من عجز عن سياسة نفسه[4].

فتأمل امرأة فرعون عاشت في بيت كفر وعناد وجبروت، في منزل عدو لله تعالى، ولكنها عرفت مسؤوليتها عن نفسها ولم تحتج بكفر رغم أنها كانت تعيش تحت كنفه وسيطرته، بل آمنت وقالت كما جاء في قوله تعالى: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِي مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[5].

وكثير من الناس يحتجُّون على انحرافهم بالقَدَرْ، أنه مقدور ومكتوب عليهم،

(١) الترمذي (٥٢٩/٤) برقم (٢٤١٧) واللفظ له، وقال: حديث حسن صحيح. وقال الألباني: صحيح. سنن الترمذي برقم (١٩٧٠-٢٥٤٥).
(٢) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، (٢٤٢/١٣).
(٣) الترمذي (١٤٢/٤) برقم (١٦٢١) واللفظ له، وأحمد (٢٠/٦). قال الألباني: صحيح. صحيح سنن الترمذي برقم (١٣٢٢-١٦٨٧).
(٤) الماوردي، أدب الدنيا والدين ص (٢٣٤).
(٥) سورة التحريم، آية رقم (١١).

ويتناسون ما هم مكلفون ومناطون به شرعاً عن مسؤوليتهم عن أعمالهم وتصرفاتهم، وفي المقابل نجد أنهم يجرون وراء كسب الرزق، قائلين: أن الله أمر بالأخذ بالأسباب، فيغالطون أنفسهم في انحرافهم، ويصدقون في طلب كسب الرزق.

وللعبد في المقدور حالان، وفي المأمور حالان يستقيم أمره إذا فهمها، وقد بيّنها شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - وملخصها فيما يلي[1]:

أولاً: حال العبد في المقدور:

١ - حالٌ قبل وقوع القدر: فعليه قبل المقدور أن يستعين بالله ويتوكل عليه ويدعوه.

٢ - حال بعده: فإذا قدر المقدور بغير فعله، فعليه أن يصبر عليه ويرضى به، وإن كان بفعله وهو نعمة، حمد الله تعالى على ذلك، وإن كان ذنباً استغفر الله من ذلك.

ثانياً: حال العبد في المأمور:

١ - حالٌ قبل الفعل: وهو العزم على الامتثال والاستعانة بالله تعالى على ذلك.

٢ - حال بعد الفعل: وهو الاستغفار من التقصير، وشكر الله على ما أنعم به

(١) ابن تيمية، القضاء والقدر، ص (٩٦).

من الخير؛ وبذلك يتحقق للمرء حسن السلوك، والفهم في المأمور والمقدور.

وبهذا فإن على المسلم أن يدرك أنه مسؤول عن تصرفاته وانحرافاته، وتطبق عليه العقوبة في الدنيا، إن كان يستحقها، وفي الآخرة إن شاء الله غفر له وإن شاء عذبه، وعليه أن يستحي من الله حق الحياء أن يراه وهو على معصية.

ثانياً: المسؤولية الأسرية:

الأسرة في المفهوم التربوي: هي تلك الجماعة التي تعيش في محيط مكاني واحد وتربطهم صلة قرابة[1].

تواجه الأسرة المسلمة اليوم تحديات عقدية وأخلاقية وفكرية في ظروف العولمة التي يحاول من خلالها إزالة الفروق الاجتماعية في الأخلاق والدين.

وهذه التحديات زادت من حجم مسؤولية الأسرة التربوية تجاه أبنائها خاصة في عالم اكتنفته الوسائل الإعلامية المقروءة والمرئية التي أصبحت تبث في مشارق الأرض ومغاربها، لا تحجبها وعورة الطرق وطول المسافات، خاصة وأنها تبثّ وترسل بأساليب مؤثرة.

إضافة إلى أن الأسرة المسلمة قد تأثرت بالتغيرات الاجتماعية العالمية، حيث تخرج المرأة إلى ميدان العمل، تخالط الرجل في مكتبه ومتجره ومصنعه، فكل هذه العوامل تهدد الأسرة المسلمة بالضياع، وتزيد من مسؤوليتها التربوية تجاه

(١) خالد حامد الحازمي، المشكلات التربوية الأسرية، ص (٤).

أفرادها.

والإسلام قد حمل الأسرة مسؤولية الرعاية التربوية لأفرادها. قال ﷺ:(كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته، الإمام راع ومسؤول عن رعيته، والرجل راع في أهله وهو مسؤول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها)[1].

فهذا الحديث يؤكد مسؤولية الرجل عن أهله من زوجة وأبناء وغيرهم ممن هم تحت رعايته ومسئوليته. وكذلك المرأة مسؤولة عن أفراد بيتها، لا تنفك عنها هذه المسؤولية إلا بأداء حقوقها، والتي منها الحقوق التربوية من رعاية وتوجيه ونصح بالأساليب التربوية الإسلامية التي أَوَّلُهَا: القدوة الصالحة، والموعظة الحسنة، وضرب الأمثال، والترغيب، والترهيب، ثم التأديب.

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ﴾[2]، قال ابن عباس رضي الله عنهما في معنى الآية: اعملوا بطاعة الله، واتقوا الله، وأمروا أهليكم بالذكر ينجيكم الله من النار[3]. ويقول علي بن أبي طالب رضي الله عنه: أي علموهم وأدبوهم[4].

(١) البخاري (١/٢٨٤-٢٨٥) برقم (٨٩٣)، ومسلم (٣/١٤٥٩) برقم (٢٠/١٨٢٩).
(٢) سورة التحريم، آية رقم (٦).
(٣) ابن كثير، تفسير القرآن الكريم (٤/٢٣٣).
(٤) المرجع السابق (٤/٤١٧).

ووقاية الأهل من النار تتطلب القيام بأعباء المسؤولية التربوية من النصح والتوجيه والإرشاد؛ ولذلك فإنه يجب على الأسرة المسلمة أن تعطي عنايتها ورعايتها لأبنائها، ووقايتهم من الانحرافات السلوكية بجميع أنواعها وأشكالها ومستوياتها.

وقد كان السلف الصالح من هذه الأمة يستشعرون بالمسؤولية الأسرية وحجمها العظيم، فهذا عمر بن عبد العزيز قد ضرب لنا أروع الأمثلة في استشعار المسؤولية التربوية، فقد نشّأ عمر بن عبد العزيز - يرحمه الله - أبناءه تنشئة صالحة، فبلغه أن أحد أبنائه اشترى فصّاً لخاتمه بألف درهم فكتب إليه عمر: فقد بلغني أنك اشتريت فصّاً بألف درهم، فبعه، وأشبع به ألف جائع، واتخذ خاتماً من حديد صيني واكتب عليه رحم الله امرأً عرف قدر نفسه[1].

١ - أنه من أسباب التمزق الاجتماعي والآلام النفسية، حيث يكدر حياة الإنسان ويجعله مهموماً مغموماً يعاني كمده، وتمزق نفسه، وحزن فؤاده، إذ تطحن أعصابه المتوترة المتصلبة آلام الحرمان والغيرة، وآلام النهم المصدود، والشره المردود، والطمع الموصود، والجماح المكبوح، والفؤاد المجروح [2].

فحجم المسؤولية الأسرية التربوية قد تضاعفت اليوم؛ لما تكتنف الحياة

(١) ابن الجوزي، سيرة ومناقب عمر بن العزيز، ص (٣١٥).
(٢) السيد متولي الشماوي، الجوانب الاجتماعية لظاهرة الإدمان (٨٢/٢).

من عولمة، وغزو فكري، وانحرافات عقدية، وتقارب المسافات بالبثّ المباشر والسفر السريع.

ثالثاً: المسؤولية الاجتماعية:

لقد ميز الله هذه الأمة بميزة عظيمة ما تمسكت بمقتضاها، وهي الخيرية. ومقتضاها: القيام بمسؤولية التناصح بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، قال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾[1].

ففي هذه الآية مدح للأمة ما أقاموا ذلك واتصفوا به، فإذا تركوا التغيير وتواطئوا على المنكر زال عنهم اسم المدح [2] فمن اتصف من هذه الأمة بهذه الصفات دخل معهم في هذا المدح كما قال قتادة: بلغنا أن عمر بن الخطاب في حجة حجها رأى من الناس دَعَة فقرأ هذه الآية. قال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ ثم قال: من سرّه أن يكون من هذه الأمة فليؤد شرط الله فيها، ومن لم يتصف بذلك أشبه أهل الكتاب الذين ذمهم الله [3].

وهذا تفضيل من الله لهذه الأمة بهذه الأسباب، التي تميزوا بها وفاقوا بها سائر الأمم، وأنهم خير الناس للناس نصحاً ومحبة للخير، ودعوةً وتعليماً وإرشاداً

(١) سورة آل عمران، آية رقم (١١٠).
(٢) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (٤/١١١).
(٣) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (١/٤٠٤).

وأمراً بالمعروف ونهياً عن المنكر [1].

ولهذا أمر الله تعالى هذه الأمة بأن تكون منها أمة منتصبة للقيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. قال تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[2].

والإسلام لا يحمل المجتمع إلا بما يستطيع، فقد رتب ﷺ مسؤولية التناصح بمراتب حسب القدرة والاستطاعة، قال ﷺ: (من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فمن لم يستطع فبلسانه، فمن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان)[3].

والمسؤولية الاجتماعية ليست فقط إزالة المنكر، بل بالسعي في إزالة أسباب وجوده من خلال مد يد العون للفقير لسدّ حاجته، حتى لا تسول له نفسه من خلال الانحرافات السلوكية إشباع حاجاته بالسرقة والغش ونحو ذلك.

فلقد أمر الله تعالى بالإنفاق في آيات كثيرة منها، قوله تعالى: ﴿لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾[4]، وقد سمع أبو طلحة هذه الآية فكان منه أمراً عجباً، يروي لنا أنس بن مالك ﷺ قصته فيقول: (كان أبو طلحة أكثر الأنصار بالمدينة نخلاً، وكان أحب أمواله إليه بيرحاء، وكانت مستقبلة

(١) عبد الرحمن السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (١/٢٦٢).
(٢) سورة آل عمران، آية رقم (١٠٤).
(٣) مسلم (١/٦٩) برقم (٧٨-٤٩).
(٤) سورة آل عمران، آية رقم (٩٢).

المسجد، وكان رسول الله ﷺ يدخلها ويشرب من ماء فيها طيب، فلما أُنزلت: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ﴾ قام أبو طلحة فقال: يا رسول الله إن الله يقول: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ﴾ وأن أحب أموالي إليّ بيرحاء، وأنها صدقة لله أرجو برها وذخرها عند الله فضعها يا رسول الله حيث أراك الله، قال رسول الله ﷺ: (بخٍ ذلك مال رابح، ذلك مال رابح)[1].

رابعاً: مسؤولية الدولة:

إن قيام المجتمعات لا يستقيم إلا بدولة، ولا دولة إلا بِوَال يحكمها وينفذ أمر الله فيها، ولا تستقيم أمور الوالي إلا بحكومة تعرف مسؤوليتها وتؤدي ما للحاكم من حقوق الطاعة والنصح والإخلاص، وتؤدي ما للمجتمع من حقوق الرعاية والإصلاح ودفع الفساد ووأده من البلاد.

فإزالة مساوئ الأخلاق، والحيلولة دون وقوعها من مهام ولاة الأمر، وهم صنفان: العلماء والأمراء، ويدخل فيهم الملوك والمشايخ وأهل الديوان، وكل من كان متبوعاً فهو من أولي الأمر، وعلى كل واحد من هؤلاء أن يأمر بما أمر الله به، وينهى عما نهى الله عنه [2].

والحاكم مسؤول أمام الله تعالى عن تنفيذ أمانة الولاية. قال ﷺ: (كلكم راع

(١) البخاري (٣/٢٠٩) برقم (٤٥٥٤).
(٢) ابن تيمية، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ص (٦٨).

وكلكم مسؤول عن رعيته، الإمام راع ومسؤول عن رعيته)[1]، وقال ﷺ: (ما من عبد يَسْتَرْعِيه الله رعية، يموت يوم يموت وهو غاش لرعيته إلا حرم الله عليه الجنة)[2]، وقال ﷺ: (ما من أمير يلي أمر المسلمين، ثم لا يجهد لهم وينصح إلا لم يدخل معهم الجنة)[3].

وقال ﷺ في مسؤولية الأمارة لأبي ذر رضي الله عنه: (يا أبا ذر! إنك ضعيف وإنها أمانة، وإنها يوم القيامة خزي وندامة إلا من أخذها بحقها، وأدى الذي عليه فيها)[4].

ومن الأمور التي تلزم الدولة ممثلة في الحاكم ما يلي:

١ - حفظ الدين على أصوله المستقرة وما أجمع عليه سلف الأمة.

٢ - تنفيذ الأحكام بين المتشاجرين وقطع الخصام بين المتنازعين حتى تعمّ النصفة فلا يتعدى ظالم ولا يضعف مظلوم.

٣ - حماية البيضة [5] والذب عن الحريم ليتصرف الناس في المعايش وينتشروا في الأسفار آمنين من تغرير بنفس أو مال.

---

(١) البخاري، (١/٢٨٤-٢٨٥) برقم (٨٩٣) واللفظ له، ومسلم (٣/١٤٥٩) برقم (٢٠/١٨٢٩).
(٢) مسلم (١/١٢٥) برقم (٢٢٧-١٤٢).
(٣) المراجع السابق (١/١٢٦) برقم (٢٢٩-١٤٢).
(٤) المرجع السابق (٣/١٤٥٧) برقم (١٦/١٨٢٥).
(٥) بيضة القوم: ساقتهم، وبيضة كل شيء حوزته.

٤ – إقامة الحدود لتصان محارم الله تعالى عن الانتهاك، وتحفظ حقوق عباده من إتلاف واستهلاك.

٥ – تقدير العطايا وما يستحق في بيت المال من غير سرف ولا تقتير. ودفعه في وقته، لا تقديم فيه ولا تأخير[١].

ومن أعظم مسؤوليات الدولة نشر الفضائل، وإزالة منكراتها التي لا تتحقق إلا بنشر التعليم الشرعي بين أفراد الأمة، وتطبيق العقوبات الشرعية من حدود وتعزيرات في حق مرتكبي منكرات الأخلاق.

والعقوبات: تطلق على الجزاء الذي رتبه الشارع على ارتكاب ما نهى عنه، أو ترك ما أمر به [٢].

والحدود: هي عقوبة مقدرة لأجل حق الله تعالى [٣] كحد الزنا واللواط والسرقة وشرب المسكر والبغي، والردة، والحرابة.

وأما التعزيرات: فهي: تأديب عن ذنوب لم تشرع فيها الحدود، ويختلف حكمها باختلاف حاله وحال فاعله، فيوافق الحدود من وجهة أنه تأديب استصلاح وزجر، ويختلف بحسب اختلاف الذنب [٤].

---

(١) الماوردي، الأحكام السلطانية، ص (١٨).
(٢) محفوظ إبراهيم فرج، العقوبات في التشريع الإسلامي، ص(١٩).
(٣) الشوكاني، نيل الأوطار (٨٧/٧).
(٤) الماوردي، الأحكام السلطانية (٢٩٣).

فإذا ما قامت الدولة بواجبها في تطبيق العقوبات الشرعية وبالحسبة من أمر بالمعروف ونهي عن المنكر استقامت أمور المجتمع، وارتدع المنحرفون، وأما إذا أهملت هذه المسؤولية انتشر الفساد بين أفراد المجتمع، وسادت منكرات الأخلاق ونزل البلاء؛ ولذلك فإنه لابد للدولة المسلمة من إقامة ما أنيط بها من المسؤوليات.

وقد بيّن لنا المصطفىﷺ خطورة عدم إقامة حدود الله تعالى بقوله: (مثل القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها، فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم فقالوا: لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقاً ولم نؤذ من فوقنا، فإن يتركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً وإن أخذوا على أيديهم نجوا جميعاً) [1].

ويجب على الدولة ممثلة في حاكمها أن لا توكل الأمور إلا للأكفاء من الرجال «فإن الخلق عباد الله والولاة نواب الله على عباده، وهم وكلاء العباد على نفوسهم، بمنزلة أحد الشريكين مع الآخر، ففيهم معنى الولاية والوكالة، ثم الولي والوكيل متى استناب في أموره رجلاً، وترك من هو أصلح للتجارة، أو العقار منه، وباع السلعة بثمن وهو يجد من يشتريها بخير من ذلك الثمن فقد خان

(١) البخاري (٢/٢٠٥-٢٠٦) برقم (٢٤٩٣).

صاحبه»[1].

ولما قامت الدولة الإسلامية بهذه المسؤولية ازدهرت أحوال المسلمين وصلحت أخلاقهم وقلت الانحرافات السلوكية فيهم. فذاك عمر بن الخطاب يضع العسس بالمدينة النبوية ويتجول هو بنفسه في طرقات المدينة ليلاً ونهاراً، ليعرف أحوال المسلمين، ويعطي المحروم، وينصر المظلوم، ويأخذ على يد الظالم[2].

والمجتمع الذي يعيش في دولة تقوم بمسؤوليتها نحو نشر الخير بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتطبيق العقوبات الشرعية، فإنه ينغرس بين أفراده احترام هذه الحدود، والبعد عن الانحرافات والمساوئ السلوكية، والإقبال على الفضائل الخلقية، فلا تجد الجريمة مسلكاً، أو ثغرة تصل من خلالها إلى المجتمع؛ لأنه إذا ضيق في المجتمع مسلك الشر والرذيلة، فلابد من أن تنتشر فيه مجالات الخير والفضيلة، فيسعد الناس بحياة طيبة زاخرة بالأخلاق الإسلامية.

ولكن تجب الإشارة إلى أمر مهم وهي أنه إذا وجد من الوالي ظلماً لرعيته فإنه يجب على المسلم أن يصبر على ذلك ولا يقابل ذلك بالتمرد والنزاع، فإن في ذلك بلاء وشراً على المسلمين، وما خرج قوم على ولاتهم إلا نزل الشر بساحتهم. وقد قال ﷺ: (إنكم ستلقون بعدي أثرة، فاصبروا حتى تلقوني على الحوض)[3]، وقد

(١) ابن تيمية، السياسة الشرعية، ص(١٤).
(٢) لمعرفة المزيد في هذا الباب، انظر: تاريخ عمر بن الخطاب لابن الجوزية (١٠٢-١١٣).
(٣) مسلم (١٤٧٤/٣) برقم (٤٨-١٨٤٥).

سأل رجل النبي ﷺ أرأيت إن قامت علينا أمراء يسألونا حقهم ويمنعونا حقنا فما تأمرنا؟ فأعرض عنه، ثم سأله فأعرض عنه، ثم سأله في الثانية، أو في الثالثة فجذبه الأشعث بن قيس، وقال: (اسمعوا وأطيعوا فإنما عليهم ما حمّلوا وعليكم ما حملتم)[1].

خامساً: مسؤولية البيئات التربوية:

البيئات: جمع بيئة، ويقصد بها الأمكنة المعدة للتربية والإصلاح. مثل: المدرسة والمسجد، ودور الرعاية الاجتماعية ودور رعاية الأحداث، والسجون. فهذه البيئات لها أثر فاعل ومؤثر سواء في الجانب العلاجي للانحرافات السلوكية أو في الجانب الوقائي بما تبثه من خلال التنشئة الخلقية الفاضلة ومعالجة المساوئ السلوكية واستئصالها ممن اعتادها، وأصبح ممارساً لها.

وتقع على هذه البيئات مسؤولية العناية التربوية في غرس الفضائل الخلقية بين أفرادها، ومعالجة ما لديهم من مساوئ وانحرافات سلوكية، وذلك نابع من قوله ﷺ: (كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته) فالمعلم راع في داخل فصله وبين طلابه، وإمام المسجد راع لجماعة مسجده، ينظر ما في الحي من مساوئ خلقية ويعالجه بالحكمة، والموعظة الحسنة، من خلال خطب الجمعة المؤثرة المشتملة على الترغيب والترهيب، والقصة الصادقة الهادفة، وضرب الأمثال من كتاب الله وسنة

(١) مسلم (٣/١٤٧٤- ١٤٧٥) برقم (٤٩-١٨٤٦).

رسوله ﷺ، وبما يحدث في المجتمع من وقائع وأحداث نتيجة لمساوئ الأخلاق.

والمسؤول في السجون مسؤول عن السجناء في سجنه يرعاهم ويحثهم على مكارم الأخلاق، ويتعرف على نوعية انحرافهم، ويهيئ لهم من يقوم بنصحهم وإرشادهم وتعليمهم بما يزيل عنهم الجهل ومنكرات الأخلاق.

وهكذا بالنسبة للقائمين على دور الرعاية الاجتماعية، ودور جنوح الأحداث فإنهم مسؤولون عن أولئك الأفراد، وكأنهم في منزلة الأبناء، فقد أمرنا تبارك وتعالى بالبر والإحسان والتعاون في ذلك. قال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ﴾[1].

وقد بين عليه الصلاة والسلام عقوبة الغاش لرعية يتولى رعايتها، فقال ﷺ: (ما من عبد يَسْتَرْعيه الله رعية، يموت يوم يموت وهو غاش لرعيته إلا حرم الله عليه الجنة)[2].

وهذه المسؤولية في تبعاتها الجزائية توحي بعظيم شأن من يتولى أمراً من أمور المسلمين، سواءً كان حاكماً أو مدرساً أم مديراً أو نحو ذلك، فإن تبعات ومسؤوليات ولاية الناس ليست من الأمور السهلة، بل إنها في المنهج الإسلامي تفويض لأداء أمانة عظيمة، تتطلب بذل تمام الجهد في كل ما يوكل للإنسان من

(١) سورة المائدة، آية رقم (٢).
(٢) مسلم، (١/١٢٥) برقم (٢٢٧-١٤٢).

أعمال ومهام، وهي شاملة لكل ما استرعى الله تعالى الإنسان من تربية وتوجيه، وقد أمر الله تعالى بتأدية هذه الأمانة، فقال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا﴾[1]، وقال تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمۡ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾[2].

وإذا فقد القائمون على المؤسسات التربوية أداء أمانة المسؤولية التربوية ضعف الأداء التربوي، وأخفقت المسؤولية التربوية المتمثلة في غرس الفضائل الخلقية، وإزالة الانحرافات والمساوئ السلوكية عمن هم تحت رعايتهم، وبالتالي تكثر الجرائم والاختلاسات في المجتمعات، وينتشر الفساد والفتك بالأعراض، وتضيع حقوق الإنسان.

وما تعاني منه مجتمعات اليوم من انحدار في السلوك الأخلاقي إنما هو نابع من ضعف الاستشعار بالمسؤولية وحجمها العظيم، ومما نتج عنه تربية هشة ضعيفة لا يقوى الإنسان فيها على مقاومة أهوائه وأطماعه ونزواته الشيطانية؛ ولذلك فلابد للمجتمع المسلم ممثلاً في بيئاته التربوية أن يعي حجم المسؤولية التربوية عن انتشار المساوئ الخلقية، وأن تعمل تلك البيئات بجميع طاقاتها في غرس الفضيلة ووأد الرذيلة.

(١) سورة النساء، آية رقم (٥٨).
(٢) سورة الأنفال، آية رقم (٢٧).

المبحث الخامس
المنهج العلاجي لمساوئ الأخلاق

لكل مرض علاج، عرفه من عرفه، وجهله من جهله. وعلاج الانحرافات السلوكية في ما تضمنه المنهج الإسلامي من توجيهات وإرشادات تحيي القلوب الميتة، لتمارس الحياة بفضائل الأخلاق، وتتعمّر الأرض بالخير والصلاح. ومنهجية العلاج لمساوئ الأخلاق تكمن فيما يلي:

أولاً: نشر العلم الشرعي:

إن شرف العلم بشرف المعلوم، وفائدة العلم تكمن فيما يحققه من أثر في السلوك: «وأولى العلوم وأفضلها علم الدين؛ لأن الناس بمعرفته يرشدون، وبجهله يضلّون»[1].

فبالعلم يعرف الإنسان ما أمر الله به فيتبعه، وما نهى عنه فيجتنبه، وأفضل العلوم وأشرفها علم الشريعة، وما يتفرع عنها من فروع علمية، فهو العلم الذي يقرب العبد من ربه، ويزين له الفضيلة والأخذ بها، ويبعده عن المعصية، ويكرّه إليه الفسوق والعصيان؛ ولذلك فإن أكثر الناس خشية لله وأبعدهم عن مساوئ الأخلاق أهلُ العلم، وقد بيّن الله تعالى ذلك في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ

(١) الماوردي، أدب الدنيا والدين، ص(٢٨).

عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا﴾[1].

فكلما كان المرء بالله أعلم كان أكثر له خشية، وأوجبت له خشية الله الانكفاف عن المعاصي، والاستعداد للقاء من يخشاه، وهذا دليل على فضيلة العلم فإنه داع إلى خشية الله تعالى[2].

قال ابن القيم: إن العلم حياة ونور، والجهل موت وظلمة، والشر كله سببه عدم الحياة والنور، والخير كله سببه النور[3] ولا خير ولا أفضل من نور الكتاب والسنة، فبهما تحيا القلوب كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾[4] والمعنى: استجيبوا للطاعة وما تضمنه القرآن من أوامر ونواه، ففيه الحياة الأبدية والنعمة السرمدية[5].

فخير علاج يمكن أن تقدمه الأسرة والمدرسة وجميع الوسائل التربوية العلم الشرعي الذي يبدد المساوئ السلوكية وينمي الفضائل الخلقية، ومن هنا فإن الواجب أن لا يقتصر العلم الشرعي على من يتخصص في الدراسات الشرعية كما

(١) سورة الفاطر، آية رقم (٢٨).
(٢) عبد الرحمن السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (٢١٦/٤).
(٣) ابن القيم، مفتاح دار السعادة (٥٢/١).
(٤) سورة الأنفال، آية رقم (٢٤).
(٥) القرطبي، الجامع الأحكام القرآن (٢٤٧/٧).

هو في كثير من المؤسسات التعليمية في المجتمعات الإسلامية، بل يجب أن يكون للعلم الشرعي أوفر الحظ والنصيب في جميع التخصصات العلمية، فهو العلاج والبلسم الشافي، حتى أن النسبة الكبرى ممن أقلع عن المخدرات كان بسبب التوجيه والإرشاد الديني كما أثبتته الدراسات[1]، وهو ثابت عندنا بإيماننا بالكتاب والسنة.

وإذا فقدت الأسرة ذلك من خلال المدرسة فيجب عليها أن تبذل الجهد في استكمال النقص بما يوفر لأبنائها العلم الشرعي الذي يبصرهم بدينهم وبما هو مفروض عليهم، وما نهاهم عنه الشارع الحكيم، وأن لا تتعلل الأسرة المسلمة والإنسان المسلم بأن العلم الشرعي لا يُدَرَّسْ فيما تخصص فيه من علوم أخرى كالهندسة والفيزياء، والزراعة، بل يجب على المرء أن يأخذ من العلم الشرعي ما يزيل عنه الجهل بدينه.

وقد أسفرت إحدى الدراسات أن انتشار تعاطي المخدرات والمسكرات بين غير المتعلمين أكثر من المتعلمين، حيث مثلوا ٧٠٪ تقريباً من عينة الدراسة[2].

فمن أسباب تعاطي المخدرات الجهل بحقيقتها، والوهم بفائدتها، حيث إن كثيراً من المتعاطين للمخدرات يعتقدون أنها تساعد على تنشيط القدرة على

(١) انظر: دراسة الجوانب الاجتماعية: الظاهرة الإدمان للسيد متولي العشماوي (٢٠٨/٢).
(٢) السيد متولي العشماوي، الجواب الاجتماعية الظاهرة للأدمان (٨٢/٢).

العمل، والتقليل من المشاكل مع الزملاء[1].

ثانياً: الرفقة الصالحة:

من أبرز المؤثرات السلوكية الرفقة الصالحة التي تدل الإنسان على الخير، وترغبه في التخلق بها، وتحذره من الشر وتكرّه له سلوك طريقه، ولا أدلُّ على أهميتها من قول النبي ﷺ: (إنما مثل الجليس الصالح والجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير، فحامل المسك إما أن يحذيك، وإما أن تبتاع منه، وإما أن تجده منه ريحاً طيبة، ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك، وإما أن تجد منه ريحاً خبيثة)[2]. وقوله ﷺ: (المرء على دين خليله، فلينظر أحدكم من يخالل) [3].

فلعلاج الانحرافات السلوكية، أو للوقاية منها، أو لإنماء الجانب الخلقي يجب اختيار الرفيق الصالح الناصح؛ لأن «من طلب الفضائل لم يساير إلا أهلها، ولم يرافق في تلك الطريق إلا أكرم صديق من أهل المواساة والبر والصدق، وكرم العشيرة، والصبر والوفاء»[4].

ومن أبرز صفات الجليس الصالح: اهتمامه بالعلم الشرعي وتطبيقه في

(١) المصدر السابق (١٢٧/٢).
(٢) البخاري (٤٦٣/٣) برقم (٥٥٣٤) ومسلم (٢٠٢٢٦/٤) برقم (١٤٦-٢٦٢٨).
(٣) أبو داود (١٦٨/٥) برقم (٤٨٣٣) حسنه الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة (٦٣٣/٢) برقم (٩٢٧).
(٤) ابن حزم الأخلاق والسير، ص (٢٤).

حياته، ونباهته في الفكر، وحسن معشره، داعٍ للخير بالفعل قبل القول، تراه مقداماً للخير، مفتاحاً له، مغلاقاً للشر يغض الطرف عن زلة الصديق، وصدوقاً له في النصح، محباً للعمل، نشيطاً لا كسولاً.

أما الصديق السيئ: فلا نجد منه بعد الصحبة إلا الحسرة والندامة، حينما لا ينفع الندم، وقد بيّن لنا ﷻ مغبة الصحبة السيئة. حيث قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِي ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِيۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا﴾[1].

وقد حذر السلف الصالح من صحبة الأشرار، فقال أحدهم: احذروا من الناس صنفين: صاحب هوى قد فتنه هواه، وصاحب دنيا أعمته دنياه[2].

وقد أشارت الدراسات الميدانية إلى الأثر الفاعل للصداقات السيئة نحو اكتساب المساوئ الخلقية، حيث أسفرت دراسة إحصائية ميدانية إلى التأثير القوي لجماعة الحرفة على الأعضاء الجدد ونقل المفاهيم الخاطئة لهم [3].

كما أظهرت الدراسة أن أكثر من نصف عينة البحث بنسبة ٦و٥٤٪ قد حاولوا الإقلاع عن تعاطي المخدرات عدة مرات، ولكن وجود أصدقاء السوء

(١) سورة الفرقان، آية رقم (٢٧-٢٩).
(٢) ابن تيمية اقتضاء الصراط المستقيم، ص (٢٥).
(٣) السيد متولي العشماوي، الجوانب الاجتماعية لظاهرة الإدمان (٢/٩٠).

حال بينهم وبين مرادهم [1] بل السبب الرئيس وراء اندفاعهم كان لمجاراة الأصدقاء، وكان ذلك بنسبة ٥و٨٥٪ [2].

ثالثاً: تطبيق العقوبات الشرعية:

إن من رحمة الله تعالى بخلقه أن حقق لهم منهج العقوبات الشرعية، وأوجب تطبيقه. فقال تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾[3]، وقال تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾[4].

فالحكم بغير بما أنزل الله من أعمال أهل الكفر، قال ابن عباس في تفسير الآية: كفر دون كفر، وظلم دون ظلم، وفسق دون فسق، فهو ظلم أكبر عند استحلاله، وعظيمة كبيرة عند فعله غير مستحل له[5].

وإذا طُبق منهج العقوبات الشرعية فيجب أن لا يتم التعاطف مع الجناة، حتى لا تنتشر المساوئ والانحرافات السلوكية؛ لأن من أبرز انتشار المساوئ الخليقة والانحرافات نحو الجريمة تخفيف العقوبات عن المجرمين والتعاطف معهم وعليهم أكثر من العطف على المجني عليه، بدعوى أن العقوبة تؤدى إلى

(١) المصدر السابق (١٢٥/٢).
(٢) المصدر السابق (١٢٥/٢).
(٢) سورة المائدة، آية رقم (٤٤).
(٣) سورة المائدة، آية رقم (٤٤).
(٥) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (٤٨٨/١-٤٨٩).

زيادة التوتر النفسي والعصبي[1].

فهذا سبيل المنهج الوضعي الذي هو وراء الانحرافات السلوكية وانتشارها في البيئات الاجتماعية، في حين نجد أن العقوبات الشرعية لا تجعل مجالاً للتعاطف مع المنحرف، بل تطبق العقوبة دون هوادة بما يردع المنحرف عن الاستمرار في انحرافه، ويغرس في الآخرين الحذر من الانحراف، فها هو النبي ﷺ يقول:(وإني والذي نفسي بيده لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها)[2].

ويقول تعالى في تطبيق حد الزنا: ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجْلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِاْئَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[3].

والعقوبات الشرعية تمنع المنحرف من أن يكرر انحرافه؛ لأنه لا يجد مجالاً للمجاملات والتعاطف.

ومن الناحية السلوكية وجد أن للعقاب آثاراً إيجابية في صلاح الشخصية، فالإنسان بطبعه يميل إلى تجنب السلوك الذي يقترن بالخبرات المؤلمة، كما يميل إلى تكرار السلوك الذي يرتبط بخبرة سارة[4].

---

(١) مقداد يلجن، التربية الإسلامية ودورها في مكافحة الجريمة، ص (٢٢٤).
(٢) مسلم (٣/١٣١٥) برقم (١/١٦٨٨).
(٢) سورة النور، آية رقم (٢).
(٤) نبيل السملوطي، علم اجتماع العقاب (١/١١٥).

وليس ثمة تشريع في المجتمعات قاطبة يحد من الانحرافات السلوكية إلا التشريع الإسلامي، لتوافق العقوبة فيه مع ضرر الجريمة، ولعدم وجود مجالاً للتهاون في التطبيق، مما يغرس في الأفراد البعد عن الانحرافات السلوكية والتوجه نحو الفضائل الخلقية. فالمتأمل في المجتمعات التي لا تطبق العقوبات الشرعية يجد أنها تعاني من تفاقم الجريمة التي حرمت أفراد مجتمعهم من نعمة الأمن والاستقرار، وفي المقابل فإن المتأمل في حال المجتمع النبوي يجد أن الجريمة تكاد أن تختفي، بل إنه عندما تولي عمر القضاء في خلافة أبي بكر الصديق جلس عاماً لم ترفع له فيها قضية واحدة[1]، وما المملكة العربية السعودية في الوقت المعاصر إلا خير دليل على ذلك حيث إنها تتمتع بالأمن والاستقرار الذي يكفل لأفراد مجتمعها عيشة هنيئة هادئة.

رابعاً: استغلال وسائل الإعلام:

يعتبر الإعلام ممثلاً في وسائله المختلفة المقروءة والمسموعة مؤثراً تربوياً فاعلاً خاصة في الآونة الأخيرة من هذا الزمن، حيث تواصلت معه تقنية الاتصالات والمعلومات حتى مكنته من اقتحام أسوار المنازل ونشر من خلاله ما يُراد.

وكما أنه وسيلة، فحكمه حكم ما يُبثّ فيه من خير أو شر، وتأثيره قد يكون سيئاً وقد يكون صالحاً، بحسب المادة المعروضة من خلاله؛ ولذلك فإنه وسيلة

(١) وكيع بن حيان، أخبار القضاة (١/١٠٤).

لبثّ روح الخير والفضائل الخلقية، ومحاربة الشر والمساوئ السلوكية إذا أحسن استخدامه ووجه التوجيه الإسلامي الصحيح.

والإسلام هو المنهج المنجي للبشرية من أوكار الرذيلة، والتفكك؛ وعليه فإنه يجب إزاء ذلك بناء إعلام إسلامي يرتكز على:

١ - الدعوة إلى الإسلام.

٢ - الصدق في التوجيه والنصح.

٣ - البعد عن إشاعة الفواحش.

وعند ذلك تنطلق هذه الدعوة الإصلاحية مدوية في أرجاء المعمورة، لا يحجبها عدو ولا حسود، ولقد كان الطغاة يمنعون الدعاة من تبليغ كلمة الله إلى الناس، فجاءت وسائل الإعلام لتنهي هذا الأسر، فتبث كلمة التوحيد وفضائلها فوق الحجب والموانع، لا يتصدى لها الطغاة والأعداء؛ ولذلك فإن الإعلام من أنجح وأقوى الوسائل المعاصرة تأثيراً على المجتمعات والأفراد إذا أحسن استغلاله من قبل المجتمعات الإسلامية؛ بإنشاء قنوات فضائية شرعية، تبث للعالم كلمة التوحيد وما تحمله من نور ومنهاج يحقق لها سعادة الدارين في الدنيا والآخرة، ويهدم بها معاقل الشر والفساد الخلقي الذي بات يهدد المجتمعات الإسلامية في عقر دارها.

خامساً: حسن استغلال المساجد:

من نعم الله تعالى على الأمة أن شرع لها صلاة الجماعة في المساجد التي هي مركز دعوة، ومنبر توجيه، تعمر القلوب بالخير، وتزيل عنها أخلاق الجاهلية وغبش المعاصي وويلاتها.

كذلك من نعم الله على الأمة أن تضمنت الجمعة خطبة يستطيع الخطيب من خلالها أن يرشد الناس ويبين لهم الصواب، ويأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر بحكمة العالم وبصوت المتعاطف الخائف عليهم والمحب لهم. فقد جاء عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أنه قال في وصف خطبة النبي ﷺ: (كان رسول الله ﷺ إذا خطب احمرت عيناه، وعلا صوته، واشتد غضبه حتى كأنه منذر جيش، يقول: صبحكم ومساكم)[1].

وعلى الخطيب أن يتلمس مشكلات المجتمع وما ينتشر فيه من مساوئ خلقية؛ ليبين لهم حكم الشرع فيها، وخطورتها على الفرد والمجتمع والأمة في الدنيا والآخرة دون أن يخصص أحداً بعينه، ففي التلميح ما يغني عن التصريح، وفي التعميم ما يغني عن التخصيص. والتجريح والتشهير فوق المنبر سوء أدب مع المستمع وتوبيخ لصاحب المعصية، مما يؤدي به إلى الإعراض عن النصيحة والتمادي في الخطأ[2].

---

(١) مسلم (٢/٥٩٢) برقم (٨٦٧).

(٢) عبد الله بن محمد آل حميد، منبر الجمعة أمانة ومسؤولية، ص(٢١).

ولا يمكن للخطبة أن تأتي ثمارها إلا إذا توافرت في جوها أمران:

الأول: ما يتعلق بالخطيب:

١ - أن يكون قدوة صالحة، معروف بذلك بين الناس، ففاقد الشيء لا يعطيه.

٢ - أن يعد الخطبة الإعداد الجيد من حيث الأسلوب واللغة.

٣ - أن تكون الخطبة موحدة في موضوعها.

٤ - أن تكون زاخرة بالاستشهادات المتنوعة من كتاب الله تعالى وسنة المصطفى -ﷺ- وأقوال أهل العلم وسيرهم.

٥ - أن يتجنب الخطيب الإطالة في الخطبة، أو تقليد غيره في الصوت.

٦ - أن تشمل الخطبة على الترغيب والترهيب وأن تلامس وتعالج مشكلات المجتمع، ومنها المساوئ الخلقية [(١)].

الثاني: ما يتعلق بالمصلي فيما يخص الخطبة:

١ - الحضور المبكر للمسجد.

٢ - الجلوس بإنصات وتدبر للخطبة وما تحتويه من توجيهات. قال ﷺ:(إذا قلت: أنصت والإمام يخطب؛ فقد لغوت) [(٢)].

---

(١) انظر: كتاب منبر الجمعة أمانة ومسؤولية، عبد الله بن محمد آل حميد.

(٢) أبو داود (١/٦٦٥) برقم (١١١٢).

ولذلك فعلى الإمام أن ينبه المصلين بالاستمرار على الإنصات للخطيب حتى نهاية الخطبة.

ويستطيع المسجد أن يؤدي مهاماً تربوية فاعلة من خلال جوانب أخرى، وهي:

أ - إقامة الدروس العلمية الشرعية.

ب - إقامة المحاضرات الإرشادية التي تحث الناس على الخير وتنهاهم عن الشر.

ج - إقامة حلق تحفيظ القرآن الكريم، فهو دستوراً الأخلاق وطبيب القلوب، به تسعد الأمة، وبتركه يشقى الناس.

د - إقامة مكتبة تزخر بالكتب الشرعية، ويقوم عليها عالم، أو طالب علم، تُقدم خدماتها لكل فئات المجتمع، للعالم والطالب والجاهل.

هـ - إشتمال المسجد على جمعية خيرية تجمع من الأغنياء أموالاً فتكون على الفقراء برداً وسلاماً، تمنعهم من التسول، وتكفهم عن مساوئ الأخلاق.

فإذا قام المسجد بهذا الدور التربوي العظيم فإنه يسهم في اجتثاث الرذيلة من المجتمع ونشر الفضيلة بينهم، كما أنه يسهم في بناء خير أمة أخرجت للناس.

سادساً: جهاد النفس:

إن في النفس دواعي للشر والانحراف، ويزين ذلك للإنسان شياطين الإنس والجن، فقد تميل إلى ذلك ما لم تكن هناك مجاهدة؛ ولذلك فإن مجاهدة النفس من أعلى مراتب الجهاد، إذ لو كانت النفس منقادة للفضائل الخلقية لا تتأثر بهوى النفس وميلها لما كان هناك معنى للمجاهدة. قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ﴾[1].

والنفس فيها داعي الظلم لغيرها بالعلو عليه والحسد له، والتعدي عليه في حقه، وفيها داعي الظلم لنفسها بتناول الشهوات القبيحة كالزنا وأكل الخبائث، فهي قد تظلم من لا يظلمها، وتؤثر هذه الشهوات، وإن لم يفعلها غيرها، فإذا رأت نظرائها قد ظلموا، أو تناولوا هذه الشهوات صار داعي هذه الشهوات، أو الظلم فيها أعظم بكثير [2].

ولذلك فإن مجاهدة النفس أمر عظيم. قال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾[3].

وقد قسم ابن القيم الجهاد إلى أربع مراتب:

جهاد النفس، وجهاد الشيطان، وجهاد الكفار، وجهاد المنافقين.

---

(١) سورة يوسف، آية رقم (٥٣).

(٢) ابن تيمية، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ص(٤٠-٤١).

(٢) سورة النازعات، آية رقم (٤٠-٤١).

وجهاد النفس: أربع مراتب:

١ - جهادها على تعلم الهدى ودين الحق الذي لا فلاح ولا سعادة لها في معاشها ومعادها إلا به.

٢ - جهادٌ على العمل به بعد علمه.

٣ - جهادها على الدعوة إليه.

٤ - مجاهدتها على الصبر فيما تلاقيه من مشاق الدعوة.

والثاني: جهاد الشيطان وهو مرتبتان:

١ - جهاده على دفع ما يلقي إلى العبد من الشبهات والشكوك القادحة في الإيمان.

٢ - جهاده على ما يلقي إليه من الإرادات الفاسدة والشهوات، وإن أول مقدمات استصلاح النفس الصبر على المجاهدة؛ لأنها ليست من الأمور السهلة؛ ولذلك فإن أجرها عظيم وعوائدها خير ومسرات على العبد في دنياه وآخرته. قال تعالى في ثواب التقوى والصبر: ﴿إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[1].

والمعنى: أن من يتقي فعل ما حرم الله ويصبر على الآلام والمصائب، وعلى الأوامر بامتثالها، فإن هذا من الإحسان، والله لا يضيع أجر المحسنين[2].

---

(١) سورة يوسف، آية رقم (٩٠).

(٢) عبد الرحمن السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (٤٣٤/٢).

سابعاً: بعد النظر:

نظرة الإنسان الطويلة لما بعد الدنيا حافز فاعل وقوي لهجر المساوئ الخلقية والتمسك بالفضائل الإسلامية، وأما قصر النظر، واستعجال ملذات الدنيا، وإشباع انحراف الهوى فهو دليل ضعف البصيرة كما هو حال ضعاف الإيمان، قال تعالى مبيناً ومحذراً: ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٧﴾﴾[1].

وإن علاج ذلك بما يدفع إزالة المساوئ الأخلاقية ومعالجتها واجتثاثها هو العلم واليقين بأن هذه الدنيا دار ابتلاء وفناء، قال تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ﴾[3]، قال تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾[4].

فجميع ما على الأرض من مآكل ومشارب لذيذة، وملابس طيبة، وأشجار، وأنهار، وزروع، وثمار، ومناظر بهيجة، ورياض أنيقة، وأصوات شجية، وصور مليحة، وذهب وفضة، وخيل وإبل ونحوها، جعلها الله زينةً لهذه الدنيا، وفتنةً واختباراً لهم، ومع ذلك سيجعل الله تعالى هذه المذكورات فانية مضمحلة

(٣) سورة الأعلى ، آية رقم (١٦-١٧).
(١) سورة البقرة، آية رقم (١٥٦).
(٢) سورة الملك، آية رقم (٢).
(٣) سورة الكهف، آية رقم (٧).

وستعود الأرض صعيداً جرزاً[1].

فإذا عرف الإنسان هذه الحقيقة وآمن بها فلماذا يكون نظره قصير،ويؤثر الشهوات المؤلمة العاجلة على الشهوات الأخروية الآجلة ذات البهجة والسرور؟! قال تعالى في وصفها: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾ حَدَآئِقَ وَأَعْنَٰبًا ﴿٣٢﴾ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ﴿٣٣﴾ وَكَأْسًا دِهَاقًا ﴿٣٤﴾ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّٰبًا ﴿٣٥﴾ جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابًا﴾[2].

فمنهج التربية الإسلامية يريد من أتباعه أن ينظروا إلى الأمام وسروره، والبعد عن الفانيات وآلامها، ويهجروا الشهوات وآثارها المؤلمة؛ ليتمتعوا بلذائذ لا تزول، ولا تفنى عند ربٍ غفورٍ رحيمٍ ودودٍ.

(١) عبد الرحمن السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (١٤٣/٣).
(٥) سورة النبأ، آية رقم (٣١-٣٦).

الفصل الثالث:

آثار مساوئ الأخلاق على الأمة

المبحث الأول: الآثار الدينية.

المبحث الثاني: الآثار الأمنية.

المبحث الثالث: الآثار الصحية.

المبحث الرابع: الآثار النفسية.

المبحث الخامس: الآثار الاجتماعية.

المبحث السادس: الآثار الأسرية.

المبحث السابع: الآثار الاقتصادية.

تمهيد:

لمساوئ الأخلاق آثارٌ وخيمة على الفرد والمجتمع تتمثل في صور متعددة منها هدم الدين، وضعف الاقتصاد، وغرس الشحناء والبغضاء، وفتك كيان المجتمع وضعفه، واستشراء داء الرذيلة الخلقية بين الأسر، واختلال أمن المجتمع وصحته البدنية والنفسية.

ولنا فيما بينه القرآن الكريم والسنة النبوية عبرة وعظة، فقارون عندما طغى وتجبر خسف الله به الأرض، قال تعالى: ﴿فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾﴾[1]، وقال تعالى عن القرية التي بطرت بأنعم الله: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾﴾[2]، وعن قوم لوط قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ﴾[3].

ويتناول هذا الفصل الآثار التي تنعكس على الأمة المسلمة في سبعة مباحث:

---

(١) سورة القصص، آية رقم (٨١).

(٢) سورة النحل، آية رقم (١١٢).

(٣) سورة هود، آية رقم (٨٢).

ـ الآثار الدينية.
ـ الآثار الأمنية.
ـ الآثار الصحية.
ـ الآثار النفسية.
ـ الآثار الاجتماعية.
ـ الآثار الأسرية.
ـ الآثار الاقتصادية.

المبحث الأول:
الآثار الدينية

إن ارتكاب مساوئ الأخلاق شرخ في دين الفرد، وإضعاف لدين الأمة، ومحاربة لله ورسوله، وتقديم صورة سيئة لهذا الدين، يمتطي من خلالها أعداء الإسلام صهوة أقلامهم ليصوروا هذا الدين من خلال الانحراف السلوكي لأتباعه لا من خلال منهجه الحقيقي، ويمكن إبراز الآثار الدينية لارتكاب مساوئ الأخلاق فيما يلي:

أولاً: تشويه حقيقة الإسلام:

لا خفاء بأن الإسلام: هو الملة التي ارتضاها رب العالمين للإنس والجن، نزل بها الروح الأمين على الرسول الكريم الأمين محمد بن عبد الله ﷺ، وجاءت بيضاء نقية كما قال عليه الصلاة والسلام: (قد تركتم على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك)[1].

فالرسول ﷺ تمسّك بهذه الملة الغراء، وربى عليها أصحابه، فقدّموا لنا وللعالمين صورة حيّة، صادقة، صحيحة، بيضاء نقية، أحس بها الناس وشاهدوها، فدخلوا في دين الله تعالى أفواجا،كما بيّن ذلك سبحانه وتعالى: ﴿إِذَا

(١) ابن ماجة (١/١٦) برقم (٤٣) حديث صحيح، صحيح الجامع الصغير للألباني (٢/٨٠٥) برقم (٤٣٦٩).

جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ﴿١﴾ وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا ﴿٢﴾ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا ﴿٣﴾﴾[1].

فإذا انتشرت في ربوع ديار المسلمين مساوئ الأخلاق فإنهم يقدمون صورة مشوهة لحقيقة الإسلام، وبالتالي يوهمون الناس بسلوكهم الفاسد أن هذا هو الدين الإسلامي المتمثل في سلوك أتباعه، فيرون السرقة والغش، والخداع في المجتمع الإسلامي، ويشاهدون شرب الخمر والزنا منتشراً بين أفراده، يمارسونه سراً وجهاراً في ديارهم، أو في بلاد الكفر كالكفار سواء بسواء، ويلحظون في سلوكهم الظلم والبطش والاعتداء، وربما صنعوا بعض ذلك باسم الإسلام، وبذلك فإنهم يقدّمون صورة مشوهة عن دين الله القيم.

فليحذر المسلم من مغبة مساوئ الأخلاق وآثارها السيئة في الدنيا والآخرة، قال ﷺ: (ومن سن في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيء)[2].

ثانياً: تعريض دين الأمة للنقد:

إن مما يلحق بهذا الدين نتيجة انتشار مساوئ الأخلاق بين أتباعه نقد الأعداء له بالكلمة والصورة والمقالة عبر وسائل الإعلام، ليتخذوها فرصة يهدمون بها

(١) سورة النصر، آية رقم (١-٣).
(٢) مسلم (٢/٧٠٥) برقم (٦٩-١٠٤).

هذا الدين القويم.

فعندما تَرَكَتْ بعض المسلمات الحجاب الإسلامي وتمثلت بصورة من صور مساوئ الأخلاق عرف أعداء الإسلام أن هناك من سيناصرهم إذا هم وجهوا النقد للحجاب الإسلامي، فتطاولت أعناق أقلامهم وصحفهم وإذاعاتهم على نقد الحجاب.

فأعداء الإسلام لا يجرؤون على النيل من الإسلام إلا إذا وجدوا مجالاً لذلك فتظهر عداوتهم الدينية. قال تعالى: ﴿إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا۟ لَكُمْ أَعْدَآءً وَيَبْسُطُوٓا۟ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِٱلسُّوٓءِ وَوَدُّوا۟ لَوْ تَكْفُرُونَ ﴿٢﴾﴾[1].

أي لو قدروا عليكم لما اتقوا فيكم من أذى ينالوكم به بالمقال والفعال[2].

والمتأمل في عالم اليوم يجد أن النقد ينصب في هذه الفترة على الإسلام، ولاسيما في قضية تحرير المرأة، وبقولهم إن الإسلام يمنع المرأة من مساواتها بالرجل في العمل والاختلاط.

ويهدفون من وراء ذلك إخراج المرأة عن بيتها وعن مهمتها التربوية، لتحتك بالرجل في المتجر والمصنع والمستشفى، وبالتالي تنحدر أخلاق الأمة الإسلامية إلى الهاوية كما انحدرت مجتمعاتهم أخلاقياً.

---

(١) سورة الممتحنة، آية رقم (٢).

(٢) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (٤/٣٧١).

ثالثاً: تأخر الناس عن الدخول في الإسلام:

إن مما يصيب الأمة الإسلامية في دينها إذا انتشرت مساوئ الأخلاق بين أفرادها أن ينفر الناس من الدخول في الإسلام ؛ لأن الذي يعلن إسلامه إنما يعلنه لشعوره بالعطش الديني الذي لم يجده في الديانات الأخرى ولن يجده، فإذا رأى في المسلمين من المساوئ الخلقية ما يجده في غيرها من الديانات توهم أن هذا هو منهج الإسلام، فيصد عنه وينحرف ؛ والسبب وراء صدود المتعطشين إلى هذا الدين هو ارتكاب مساوئ ومنكرات الأخلاق من المسلمين.

ولعل من أبرز الأمثلة على ذلك أن أحد الذين دخلوا في الإسلام من اليهود درس الديانات بحثاً وإشباعاً للعطش الذي يشعر به، ولكن بالرغم من إقامته في البلاد العربية لم يتأثر، فيقول: وربما العجيب أنني رغم إقامتي في البلاد العربية فقد كان اهتمامي بالإسلام قليلاً وسطحياً، ثم يقول: تعرفت بعد ذلك على أحد دعاة الإسلام المعروفين في لندن، فعجبت لتقصير العرب في تبصير غير المسلمين بالإسلام[1].

والسؤال: لماذا لم يتأثر وهو في البلاد العربية؟ في حين نجد الآخر وهو رائد بالجيش البريطاني دخل في الإسلام لصورة ماثلة أمامه من أحد المسلمين، تمثل بها. يقول هذا الذي أسلم: أنه تنزه في زورق صغير في طرق بورما المائية، وكان

(١) عبد الحميد السحيباني، لماذا أسلمنا، ص(١٣٣).

بحار الزورق رجلاً مسلماً من (شيتاتونج) ماهراً في عمله، متمسكاً بتعاليم دينه، مخلصاً له، حريصاً على الصلاة في وقتها، بادئ التقوى، فلم يكن جديراً باحترامي فحسب، بل مثيراً لاهتمامي كذلك بماهية هذا الدين الذي استطاع أن يسيطر على هذا الرجل ويجعل منه عبداً تقياً [1].

إذاً فالأمة المسلمة والفرد المسلم قد يكون قدوة صالحة، يحبب الناس في هذا الدين، ويشوقهم لمعرفته إذا ما أخذ بتعاليمه السمحة، ومنها الأخلاق الحسنة، وفي الجانب الآخر قد يكون قدوة سيئة يسيء لهذا الدين الحنيف إذا اقترف مساوئ الأخلاق ومنكراتها.

رابعاً: إضعاف الأمة بإضعاف دينها:

قوة الأمة بقوة تمسكها بدينها، وضعفها وهوانها على الأمم بضعف تمسكها بعقيدتها، كما أن في قوة الأمة قوة للدين، وفي ضعفها إضعاف للدين. وتأمل أن في قوة السلطان قوة للدين: (إن الله ليزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن) فكيف بقوة المؤمنين مع قوة السلطان؟!.

وفي انتشار مساوئ الأخلاق ومنكراتها بين المجتمع دليل على ضعف أتباعه واستخفافهم بدينهم، وفي هذا إضعاف وإخفاق بحق الدين.

وتأمل قول النبي ﷺ: (يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى

(١) المصدر السابق، ص(١٢٦).

قصعتها. فقال قائل: ومن قلة نحن يومئذ؟ قال: بل أنتم يومئذ كثير، ولكنكم غثاء كغثاء السيل، ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم، وليقذفن الله في قلوبكم الوهن فقال قائل: يا رسول الله، وما الوهن؟ قال: حب الدنيا، وكراهية الموت)[1].

والمعنى: أن أهل الكفر والضلال يدعو بعضهم بعضاً لمقاتلتكم وكسر شوكتكم، وسلب ما ملكتموه من الديار والأموال، كما أن الفئة الآكلة يتداعى بعضهم بعضاً إلى قصعتهم التي يتناولونها من غير مانع، فيأكلونها صفواً من غير تعب. وهذا التداعي ليس من قلة، ولكن كثرة كغثاء السيل وهو ما يحمله السيل من زبد ووسخ، وقد شبههم بذلك لقلة شجاعتهم ودناءة قدرهم. وليخرجنّ الخوف والرعب من العدو وليرمينّ الله الضعف في قلوبكم، وكأنّه أراد بالوهن ما يوجبه ؛ ولذلك فسره بحب الدنيا وكراهية الموت[2].

فإذا انتشرت مساوئ الأخلاق ومنكراتها في المجتمع المسلم، وأصبحت غالبة عليه، نزل الوهن في قلوب هذه الأمة، وفي ذلك إضعاف لقوة المسلمين التي يجب أن تكون عزيزة عالية، ليقوى بها الدين وينتشر، فعلى أبناء الأمة المسلمة، أن يعوا أخطار انحرافهم على الدين وعلى أنفسهم في الدنيا والآخرة.

---

(١) سنن أبي داود (٤/٤٨٣-٤٨٤) برقم (٤٢٩٧) صححه الألباني في الجامع الصغير (٢/١٣٥٩) برقم (٨١٨٣-٣٢٥٧).

(٢) العظيم آبادي، عون المعبود شرح سنن أبي داود (١١/٤٠٤-٤٠٥).

المبحث الثاني:
الآثار الأمنية

يعتبر الأمن الفردي والاجتماعي والدولي من أهم مقومات الحياة الهانئة السعيدة، ومن أبرز مقومات التقدم الاقتصادي والحضاري.

وقد اهتم الإسلام بأمن الفرد والمجتمع والبشرية اهتماماً بالغاً حتى جعل الأمن أحد الركائز الثلاثة للسعادة، فقال ﷺ: (من أصبح منكم معافى في جسده، آمناً في سربه، عنده قوت يومه، فكأنّما حيزت له الدنيا)[1].

ومن هنا اعتبر الإسلام قتل الواحد من البشر دون حق قتلاً للناس جميعاً تحقيقاً للأمن في المجتمع، وترهيباً من الفساد، قال تعالى: ﴿أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾[2].

كما حارب الإسلام المساوئ الخلقية بجميع صورها وأشكالها لما تحدثه من خراب ودمار للنفس والمجتمع والأمة، فحرم الزنا واللواط وشرب الخمر والمسكرات والغيبة والنميمة والكذب وغيرها مما لا يسع المجال لذكرها، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ

(١) الترمذي (٤/٥٧٥-٥٧٦) برقم (٢٥١٦) وأحمد (١/٢٩٣) حديث حسن الجامع الصغير للألباني (٢/١٠٤٤) برقم (٦٠٤٢).
(٢) سورة المائدة، آية رقم (٣٢).

﴿رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾[1].

ولهذه المساوئ الخلقية آثار سيئة على الجوانب الأمنية للأمة نوضحها فيما يأتي:

أولاً: القتل:

مما ينجم عن انتشار المساوئ الخلقية قتل النفس التي حرم الله لأسباب تافهة منبعها سوء الخلق، كالذي يسرق بضع دراهم ليوفر لنفسه مسكراً، أو مخدراً اعتاد جسمه عليه، أو من أجل أن أغضبه شخصٌ بأمر مهين، أو من أجل أن يتمتع القاتل بأموال المقتول[2].

وانتشار القتل في الأمة يقوض أمنها، ويغرس الخوف في أفرادها، ويظهر الشك والظن السيئ بين الناس في المعاملات وفي المقاصد.

ثانياً: إضعاف القدرة العسكرية:

ومن أخطار استخدام المخدرات والمسكرات بين أفراد الأمة ضعف قوتها العسكرية ؛ لأن رجال الأمن والجيش هم من أفراد المجتمع، ينتشر بينهم ويسري فيهم ما يسري في مجتمعهم، وإذا تفشى فيهم شرب الخمور والمسكرات والمخدرات ضعفت الأمة وضعف أمنها واستقرارها.

---

(١) سورة الأعراف، آية رقم (٣٣).

(٢) انظر: التربية الروحية، أكرم ضياء العمري، ص(٢٤٤).

وكذلك إذا انتشر في الأمة الانحراف الجنسي، أثرّ في قوتها العسكرية، ودليل ذلك تجربة فرنسا المريرة، حيث أدى الانحراف الجنسي في الجيش الفرنسي إلى اضمحلال قواهم الجسدية وتدرجها إلى الضعف يوماً فيوماً، فمنذ أوائل القرن العشرين وحكام الجيش الفرنسي يتساهلون في شروط مستوى القوة والصحة البدنية المطلوبة في المتطوعة للجند الفرنسي، فقد كان عدد الجنود الذين اضطرت الحكومة إلى أن تعفيهم من العمل وتبعثهم إلى المستشفيات في السنتين الأوليين من سنين الحرب العالمية الأولى لإصابتهم بمرض الزهري خمسة وسبعين ألفاً، وابتلي بهذا المرض في آن واحد (٢٤٢) جندياً في ثكنة متوسطة[1].

ثالثاً: الاختطاف:

ومما ينتج عن المساوئ الخلقية، أن أصحابها يعمدون لإشباع غرائزهم الجسدية عن طريق الاختطاف، مما يزعزع أمن المجتمع، وما ذلك إلا نتيجة الانحرافات والمساوئ السلوكية.

رابعاً: التخريب المتعمد:

من آثار المساوئ الخلقية التخريب المتعمد في الممتلكات كإشعال الحرائق لأسباب متعددة مثل إخفاء عجز بالعهدة، أو الإضرار بأحد العاملين، أو إخفاء

(١) أبو الأعلى المودودي، الحجاب ص (١٠١-١٠٢).

جريمة سرقة[1] أو إخفاء جريمة قتل، ولا يحصل هذا إلا من أصحاب المساوئ الخلقية، بما يُحْدِثُ في الأمة زعزعة لأمنها واستقرارها.

خامساً: السرقة:

ومما يجلب للأمة التصدع الأمني انتشار السرقة نتيجة الانحرافات السلوكية من أهل الرذائل الخلقية، حيث لا وازع ديني يردعهم ولا خوف من أن يقعوا في أيدي السلطات الأمنية؛ ولذلك فإن مكمنه العلاجي في منهج التربية الإسلامية.

سادساً: التهريب:

من إفرازات منكرات الأخلاق عند أصحابها أن يعمد إلى تهريب المحرمات والممنوعات إلى أفراد المجتمع، فينتشر ويروج بين أفرادها ما يغريهم على الانحراف كتهريب الأشرطة الجنسية، والكتب السيئة الفاسدة المفسدة، والصور المحرمة، والمسكرات والمخدرات، مما يؤدي إلى زعزعة أمن الأمة واستقرارها.

وقد أكدت الدراسات الأمنية الإحصائية لأحد المجتمعات أن ما يأتي من سموم إنما هو بطرق غير مشروعة [2].

(١) محمد علي حيدر، مختصرات الدراسات الأمنية (٦/٢٠٩).

(٢) انظر: الظواهر الاجتماعية لظاهرة الإدمان، السيد متولي العشماوي (٢/١٠٢-١٠٣).

سابعاً: غرس الحقد والعداوات:

والمتأمل في المنكرات الخلقية يجد أنها تبني في جدار الأمة الحقد والعداوات، مما يجعله آيل للسقوط، فالغيبة والنميمة والحسد معاول هدم لأمن الأمة لما تحدثه من شحناء وبغضاء تؤدي إلى العداوات التي تنعكس آثارها على أمن المجتمع.

كما أن في بقية المساوئ الخلقية ما يغرس أيضاً الحقد الشحناء والعداوات التي تؤثر في بنية المجتمع الأمنية.

المبحث الثالث
الآثار الصحية

لا ينهى المنهج الإسلامي عن شيء إلا وفي النهي خير كبير، وفوائد وحكم عظيمة، ولا يأمر بشيء إلا وفي العمل به سعادة الإنسان في الدنيا والآخرة، ولهذا نهى الإسلام عن المساوئ الخلقية لما يترتب عليها من مضار في جميع الجوانب المتعلقة بالإنسان، والتي منها الصحة البدنية والنفسية، حيث يترتب على فعل الفواحش: كالزنا واللواط وشرب المسكرات والمخدرات، ومشاهدة ما حرم الله، الأمراض التي تنهك الجسم وتمرضه عضوياً أو نفسياً، ومن تلك العواقب الصحية ما يلي:

أولاً: الإيدز:

وهو مرض نقص المناعة، ظهر في عام ١٤٠١هـ ١٩٨١م وينتقل عن طريق الزنا واللواط، وعمليات نقل الدم، وأكثر المصابين به من الشواذ جنسياً، وهو:

عبارة عن فيروس يقضي على الخلايا البيضاء فيجرد الجسم من جهاز الدفاع، فاسحاً الطريق أمام هجوم الكائنات الدقيقة التي تسبب مختلف الالتهابات وحالات السرطان، وقد بلغ من انتشاره في أمريكا أن الإصابات تتراوح ما بين ١٠و١٢ إصابة يومياً [١].

ثانياً: الزهري:

وهو مرض يسبب نوعاً من البكتيريا، وينتقل من شخص لآخر نتيجة الاتصال الجنسي، وأول أعراضه طفح على جزء من أجزاء الجسم، ثم يغطي سطح الجلد كله، ومن أعراضه: الصداع والحمى وفقر الدم، وهذا المرض مميت في طوره الثالث إذا أصاب القلب أو الجهاز العصبي المركزي، وتسبب إصابة الجهاز العصبي المركزي شللاً قد يؤدي إلى الجنون [٢].

ثالثاً: الجيزانيولوما الأربية:

وهو مُعْدٍ بدرجة بسيطة، ويبدأ هذا المرض على الأعضاء الجنسية الخارجية، ويظهر على شكل تقرح أحمر مزمن جداً، ويلتئم بصعوبة، وإذا أصيب المريض بعدوى ثانوية تصبح القروح مؤلمة، وإذا لم يعالج يؤدي إلى عجز شديد وفقدان الوزن ثم الوفاة [٣].

(١) توفيق محمد عز الدين، دليل الأنفس بين القرآن الكريم والعلم الحديث (٤٠٨-٤٠٩) ملخص.
(٢) عبد الرحمن واصل، مشكلات الشباب الجنسية والعاطفة، (١٤٨-١٤٩).
(٣) المرجع السابق، ص (١٥١).

رابعاً: سرطان الرئة:

من أخطر الأمراض التي تصيب الجهاز التنفسي نتيجة التدخين، مرض سرطان الرئة، وقد قام الأطباء بأخذ كمية من دخان السجائر المترسب ووضعوها على جلود الحيوانات في المختبر، وسرعان ما أصيبت تلك الحيوانات بسرطان الجلد، وأعادوا التجربة مرة أخرى، وجعلوا الحيوانات تستنشق هذا الدخان، فأصيبت بسرطان الرئة [1].

خامساً: تشمع الكبد:

يؤدي شرب الخمور والمسكرات إلى تشمع الكبد وضعفها، وعجزها عن القيام بوظيفتها، وقد تتورم. ولقد سجلت الإحصاءات أن عدد الوفيات بمرض تشمع الكبد في فرنسا عام ١٩٦٩م فاقت (٢٥٠٠٠) حالة وفاة[2].

سادساً: الضعف الجنسي:

إن إدمان (الغول) يحدث ضمور المبيض عند المرأة. قال أحد الأطباء: شاهدت أثناء تشريح جثث مدمني الخمر ضموراً وتصلباً في الخصي، ولم أشاهد الحيوانات المنوية في ٨٦ ٪ من الحوادث التي شرحتها، وهذا يوضح لنا أسباب العقم عند مدمني الخمور[3].

---

(١) فرج زهران، المسكرات أضرارها وأحكامها، ص (٢٩٦).
(٢) المصدر السابق، ص (٢٠٢).
(٣) صالح آل منصور، موقف الإسلام من الخمر، ص (٢٥).

سابعاً: ضعف الجهاز العصبي:

إن المسكرات تؤثر تأثيراً مباشراً في الأعصاب، حيث تحدث فيها تخديراً فاسترخاءً فحدوث الفالج، وينتج عنها أيضاً الرعشة والآلام العصبية، ووهن الأعصاب[1].

ثامناً: الاكتئاب والقلق النفسي:

إن مما يولده الانحراف الخلقي القلق والاضطراب النفسي ، نتيجة لشعوره بالانحراف، وعدم تقبل المجتمع لصنيعه وسلوكه، ونتيجةً لبعده عن منهج الله تعالى وعن ذكره، وفي عدم ذكر الله سبحانه وتعالى والبعد عنه شدةُ القلق والاضطراب، قال تعالى: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ﴾[2]، فإذا استحوذ الشيطان على الإنسان جلب له الاضطراب والقلق بالأفكار المزعجة والتصورات الخاطئة.

وأما في ذكر الرحمن سبحانه وتعالى اطمئنان القلوب وراحتها وصفائها، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾[3].

وأما أثر الغيبة والنميمة في القلق والاضطراب النفسي فهو واضح جداً،

(١) المصدر السابق، ص (٢٦).
(٢) سورة الزخرف، آية رقم (٣٦).
(٣) سورة الرعد، آية رقم (٢٨).

حيث يحصل عند مَنْ هذا طبعهم وخلقهم قلق وألم نفسي نتيجة ما ينجم عن النميمة التي قاموا بها من القطيعة والهجر والعدوان، حيث يشعر النمام أن ذلك قد حصل بفعله وصنيعه، فتزداد حسرته وآلامه.

وفي الحسد أسباب القلق مجتمعة ؛ لأن الحاسد كلما رأى نعمة على المحسود ازداد كمده وغيظه، وطال ليله، وسرح فكره، فلا يهدأ ولا ينام، تراه مضطرباً، وغيره ساكن، يطالع أحوال الناس ويرقبهم ولا ينظر في نفسه، يرى أن ما عنده قليل وما عند غيره كثير، والجوع والجشع قد احتكم في قلبه.

المبحث الرابع
الآثار النفسية

لمخالفة المنهج الإسلامي آثار وخيمة تنعكس على الذات البشرية في كثير من جوانبها، والتي منها الجانب النفسي.

ذلك أن من ينهج سبل الانحراف مبتعداً عن منهج الإسلام يقيض له من يجلب القلق والاضطراب لتمرده على خالقه سبحانه وتعالى، قال ﷻ : ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ﴾[1]، أي: هذا الذي تغافل عن الهدى نقيض له من الشياطين من يضله ويهديه إلى صراط الجحيم[2].

(١) سورة الزخرف، آية رقم (٣٦).
(٢) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (١٣٨/٤).

والشياطين لا تَعِد الإنسان إلا بما يجلب له القلق، والاضطراب، فتوسوس له بالفقر، وضيق الحال، والطمع فيما عند الغير، وعدم القناعة بالموجود، قال تعالى: ﴿ ٱلشَّيۡطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلۡفَقۡرَ وَيَأۡمُرُكُم بِٱلۡفَحۡشَآءِۖ ﴾[1]، أي يخوفكم الفقر لتمسكوا ما بأيديكم فلا تنفقوه في مرضاة الله تعالى، ومع نهيه عن الإنفاق خشية الإملاق يأمركم بالمعاصي والمآثم والمحارم ومخالفة الخلاق[2].

أما المؤمنون فليس له عليهم سلطان، قال تعالى: ﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيۡسَ لَكَ عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ ﴾[3]، وقال تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ لَيۡسَ لَهُۥ سُلۡطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ٩٩ ﴾[4]، وقال تعالى: ﴿عِبَادِي لَيۡسَ لَكَ عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنٞۚ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلٗا ٦٥ ﴾[5].

ويمكن ذكر بعض الآثار النفسية للانحرافات السلوكية في النقاط التالية:

أولاً: عدم التوافق النفسي:

من أبرز مقومات الشخصية التوافق النفسي، وهو القدرة على التآلف والتكيف مع البيئة الاجتماعية المحيطة بالفرد، وإمكانية مواجهة المشكلات التي

(١) سورة البقرة، آية رقم (٢٦٨).
(٢) المصدر السابق (١/٣٢٩).
(٣) سورة الحجر، آية رقم (٤٢).
(٤) سورة النحل، آية رقم (٩٩).
(٥) سورة الإسراء، آية رقم (٦٥).

تعترضه بشكل ناجح.

ومن مظاهر عدم التوافق النفسي: القلق، والعزوف عن الطعام، والانطواء وشدة الخجل، وسرعة الغضب، والعناد، والميول للعدوانية الهجومية، وأحلام اليقظة، والكذب.. إلى غير ذلك من مظاهر الاضطراب النفسي [1].

وللانحرافات السلوكية أوفر الحظ والنصيب في إيجاد عدم التوافق النفسي، حيث أثبتت التجارب في مختبرات فسيولوجية في جامعات عالمية أنه قد تكون كمية الخمر قليلة جداً لكنها قادرة على أن تحدث تغيراً في التوازن النفسي [2].

ثانياً: الشعور باليأس:

اليأس: القنوط، وهو نقيض الرجاء [3].

وعملية اليأس تدفع الإنسان إلى الكسل والخمول، وعدم الجد والاجتهاد، مع البحث عن الموارد المادية والمالية بطرق الغش والخداع، وتأمل السارق والمتسول فإن كثيراً منهم لديهم القدرة الجسمية على العمل والتكسب، ولكن انحرافهم يدفعهم إلى البطالة والخمول.

كما أن المسكرات تسبب الشعور باليأس والقنوط والقلق وعدم الاستقرار، مع الخوف من أمور لا تستحق ذلك، وهذا يؤدي إلى فقدان القيم الخلقية، ويؤدي أيضاً

(١) عبد المجيد أحمد منصور، السلوك الإجرامي والتفسير الإسلامي (١/١٤٥).
(٢) محمود حسن، مقدمة الخدمة الاجتماعية، ص (٤٢٤).
(٣) ابن منظور، لسان العرب (٦/٢٥٩).

إلى الجنون، حيث لو حظ أن ٥٠ ٪ من المصابين بالجنون من مدمني الخمر[١].

وتجد الكاذب يكذب وهو في يأس من الصدق أن ينجيه، والحاسد وهو في يأس أن يحصل له من النعمة مثل ما عند الآخرين.

ولكن التربية الإسلامية تبعد الإنسان عن الانحرافات السلوكية، وتغرس في قلب أتباعها السكينة والاطمئنان وتملأ القلب بالشجاعة والإقدام، فلا تجده كذاباً ولا حاسداً كما قال ﷺ: (ولا يجتمعان في قلب عبد: الإيمان والحسد)[٢].

ثالثاً: القلق:

القلق: هو الانزعاج والاضطراب، وعدم الثبات[٣].

والقلق: هو حالة نفسية داعية إلى الاضطراب وعدم الاستقرار، شاغلة للفكر، مبعدة للطمأنينة.

والبعد عن المنهج الإسلامي أساس القلق والاضطراب؛ لأن النفس إنما تسكن وتهدأ بذكر الله تعالى: ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾[٤].

وكلما ابتعد المرء عن المنهج الإسلامي ومارس المساوئ الخلقية استحوذ عليه

(١) صالح عبد العزيز آل المنصور، موقف الإسلام من الخمر (٣٥-٣٦).
(٢) ابن ماجة (٩٢٧/٢) برقم (٢٧٧٤) والنسائي (١٣/٦) برقم (٣١٠٩) وصححه الحاكم (٧٢/٢).
(٣) ابن منظور، لسان العرب، (٣٢٣/١٠-٣٢٤).
(٤) سورة الرعد رقم (٢٨

القلق والاضطراب، وخير شاهد على ذلك اعتراف المنحرفين عن منهج التربية الإسلامية، حيث أشارت الدراسات أن الأطباء يقرون أن واحداً من كل عشرين أمريكياً يقضي جانباً من حياته في مصح الأمراض العقلية، ومن الحقائق أن واحداً من كل ستة شبان تقدم للالتحاق بالخدمة العسكرية في خلال الحرب العالمية الأخيرة رُدّ على أعقابه ؛ لأنه مريض أو ناقص عقلي، كما أثبتت الإحصاءات أن القلق هو السبب الثاني للموت في أمريكا، وفي خلال سني الحرب العالمية الأخيرة قضى داء القلق على مليوني نسمة، منهم مليون نسمة كان مرضهم ناشئاً عن القلق وتوتر الأعصاب [1].

وفي شرب المخدرات والمسكرات الأثر البالغ في جلب القلق والاضطراب النفسي، حيث أكدت الدراسات الميدانية التي أجريت على المدمنين أن نسبة من عندهم التأثر لأتفه الأسباب تشكل ٩٦.٩٪ وتوتر الأعصاب ٨٦.٨٪ والقلق المستمر ٨٨.٦٪ والشعور بالكسل والخمول ٨٦.٥٪ واضطراب النوم ٨٤.٥٪ والخوف الدائم ٧٠.١٪ [2].

والمتأمل يلاحظ أثر القلق النفسي السيئ على حياة الإنسان وسلوكه، وأنه لا ملجأ ولا منجى إلا بالتمسك بمنهج الإسلام والبعد عن مساوئ الأخلاق.

(١) عبد الرحمن واصل، مشكلات الشباب الجنسية والعاطفية، ص (٤٣).
(٢) السيد متولي العشماوي، الجوانب الاجتماعية لظاهرة الإدمان، ص (١٢٢/٢).

فالمؤمن الموحد تملأ نفسه طمأنينة، وقلبه يقيناً وإيماناً مهما ادلهمت به الخطوب، وعصفت به الأحداث، وأحاطت به الفتن[1]؛ لأنه يعلم علم اليقين أن هذه الدنيا هي دار ابتلاء كما بين ذلك رب العالمين وخالقهم، قال تعالى: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾[2].

رابعاً: الأمراض القلبية:

لقد بين سبحانه وتعالى أمراض القلوب وشفاؤها في كتابه القويم، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴿١٠﴾ ﴾[3]، وقال تعالى: ﴿ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِىِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ ۚ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴾[4]، وقال تعالى: ﴿لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٠﴾ ﴾[5].

ومرض القلب: هو نوع فساد يحصل للإنسان، يفسد به تصوره للحق وإرادته له، فلا يرى الحق حقا، أو يراه على خلاف ما هو عليه، أو ينقص إدراكه

(١) أكرم العمري، التربية الروحية، ص (٣٥٢).
(٢) سورة البقرة، آية رقم (١٥٥).
(٣) سورة البقرة، آية رقم (١٠).
(٤) سورة الأحزاب، آية رقم (٣٢).
(٥) سورة الأحزاب، آية رقم (٦٠).

له، فيبغض الحق النافع، أو يحب الباطل الضار، أو يجتمعان له، وهو الغالب[1].

ولذلك فإن أصحاب الانحرافات ينفرون من مجالسة أهل الحق والصلاح، وربما أبغضوهم ؛ لأنهم ينهونهم عن إشباع شهواتهم بالمحرمات ؛ ولأنهم على غير شاكلتهم، وربما رأوا في الصالحين أنهم لا يدركون، وهذا غاية الجهل والضلال.

وأما العلاج: فبينه الحق تبارك وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَتۡكُم مَّوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَشِفَآءٞ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ٥٧﴾[2].

فمن أراد الخير والعافية القلبية التي يبحث عنها كثير من الناس فعليه بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ ففيهما سعادة الدارين: الدنيا والآخرة.

(١) ابن القيم الجوزية، إغاثة اللفهان (٢٣/١).

(٢) سورة يونس، آية رقم (٥٧).

المبحث الخامس
الآثار الاجتماعية

تنعكس آثار المساوئ الخلقية على البيئة الاجتماعية بصورة مباشرة وغير مباشرة، من خلال ما تحدثه في المجتمع من تصدع وتفكك اجتماعي، وما تحدثه من معوقات اقتصادية، وإخلال بالأمن العام للأمة.

وما سبق ذكره في المباحث السابقة من هذا الفصل ما هو إلا آثار غير مباشرة تنعكس على المجتمع في دينه وأمنه واقتصاده وصحته، وفيما يلي أهم الآثار المباشرة للمساوئ الخلقية في المجتمع:

أولاً: العذاب الإلهي:

إذا تفشت منكرات الأخلاق في مجتمع من المجتمعات نزل بساحتهم البلاء، قال ﷺ في الزنا والربا: (إذا ظهر الزنا والربا في قرية فقد أحلوا بأنفسهم عذاب الله)[1].

وفي إهلاك قوم لوط عظة وعبرة، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ ﴿٨٢﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ ۖ وَمَا هِيَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴿٨٣﴾﴾[2].

(١)الحاكم، المستدرك على الصحيحين (٢/٣٧) وقال: حديث حسن صحيح الإسناد و لم يخرجاه.
(٢) سورة هود، آية رقم (٨٢-٨٣).

ثانياً: التباغض:

من إفرازات المساوئ الخلقية إيجاد التباغض الاجتماعي بين أفراد الأمة، فالحسد -مثلاً- نتيجته البغضاء من الحاسد للمحسود، فهو يظهر في سلوكه المنحرف، وتعامله البذيء، ومقابلته السيئة لمن أنعم الله عليهم، وإزاء ذلك فإن المحسود قد يردّ عليه بنفس الخُلُق، مما ينجم عنه كتلة ضخمة من الحسد تجثم على قلب الحاسدين.

وفي الانحرافات الخلقية الأخرى من الغيبة والنميمة ما يجعل في المجتمع كراهيةً لهؤلاء وبغضاً؛ وذلك نتيجة نتيجة السلوك السيئ الخاطئ الذي نهجوه.

وكذلك يحصل لمن انحرفت سلوكياتهم بالربا، أو الزنا، أو اللواط، أو شرب المسكر فإنه يحصل لهم البغض والكراهية الاجتماعية، وربما كان هذا التباغض متبادل بين الصالحين والفاسدين.

ثالثاً: التقاطع الاجتماعي:

إن أسس التقاطع الاجتماعي منبعها من المساوئ الخلقية، حيث إن كل رذيلة سلوكية تسهم بقدر كبير في إيجاد التقاطع الاجتماعي بين أفراد الأمة. فالنميمة -مثلاً- وسيلة خطيرة وأداة قوية لانْفِصَامِ الروابط الاجتماعية في الأمة، وقطع لصلة الأرحام في الأسر وبين الأصدقاء، ووسيلة لنشر العداوة، والبغضاء.

قالﷺ في حق صاحبها: (لا يدخل الجنة نمام) [1].

فالكذب أساس السيئات، ودلالة على فساد الأخبار، فهو يبدد العلاقات الاجتماعية ويزلزل كيانها، فبالكلمة الكاذبة تتمزق العلاقات الأسرية وجماعة المهنة الواحدة، ومجموعة الأصدقاء، فتترك خلفها شحنات من الريبة والشك في الأقوال والأعمال.

وللحسد نصيب الأسد في غرس التقاطع الاجتماعي، فهو أحد أسباب التمزق الاجتماعي إن لم يكن أهمها؛ إذ قد يؤدي الحسد بالحاسد إلى أن يغتاب ويكذب ويسعى بكل ما أوتي من قوة لإزالة النعمة من المنعم عليه، وقد تكون هذه النعمة صلة اجتماعية بين الزوجين أو الصديقين أو الاسرتين أو الجماعتين أو أكثر. فيبدأ الحاسد مشواره بتبديد تلك العلاقات وإنه لأمر عظيم؛ قالﷺ: (دب إليكم داء الأمم قبلكم الحسد، والبغضاء، والبغضاء هي الحالقة، حالقة الدين لا حالقة الشعر، والذي نفس محمد بيده لا تؤمنوا حتى تحابوا، أولا أنبئكم بشيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم)[2].

رابعاً: الغش الاجتماعي:

الغش الاجتماعي واسع الدلالة والآثار حيث يكون الغش في الكلمة وفي

(١) مسلم (١/١٠١) (١٦٨-١٠٥).

(٢) الترمذي (٤/٥٧٣) برقم (٢٥١٠) وأحمد (١/١٦٥) واللفظ له. وحسنه الألباني، صحيح الترمذي، برقم (٢٠٣٨-٢٦٤١).

الميزان، وفي الحقوق، وفي الواجبات، ويكون في الأموال وفي العلاقات، ولا يأتي إلا من بريد مساوئ الأخلاق.

فنتيجة الخلق السيئ تجد التطفيف في الميزان، والبخس في الحقوق والواجبات، قال تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝١ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝٢ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ۝٣ أَلَا يَظُنُّ أُو۟لَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ۝٤ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ۝٥﴾[1].

ونتيجة المساوئ الخلقية يأتي الغش في الأعراض، فتنتهك في المجتمع عن طريق القذف، وعن طريق الزنا، قال ﷺ: (فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا، فليبلغ الشاهد الغائب)[2].

ومن أبواب الغش الاجتماعي:

التظاهر بمظهر معين في موقف معين، على غير الحقيقة والصورة الصحيحة، مما يترتب على ذلك خداع وغش للطرف الآخر، أو لأطراف أخرى، أو أن يأتي لقوم من الناس بوجه ويأتي لآخرين بوجه آخر. وقد قال ﷺ: (وتجدون شر الناس ذا الوجهين الذي يأتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه)[3].

قال القرطبي: إنما كان ذو الوجهين شر الناس ؛ لأن حاله حالة المنافق إذ هو

(١) سورة المطففين، آية رقم (١-٥).
(٢) البخاري (٤١/١) برقم (٦٧) ومسلم (١٣٠٦/٣) برقم (١٦٧٩/٣٠).
(٣) البخاري (٥٠٣/٢) برقم (٣٤٩٤) ومسلم (٢٠١١/٤) برقم (١٠٠-٢٥٢٦).

متملق بالباطل والكذب، مدخل الفساد بين الناس. وقال النووي: هو الذي يأتي كل طائفة بما يرضيها، فينظر لها أنه منها ومخالف لضدها، وصنيعه نفاق، ومحض كذب، وخداع، وتحايل للإطلاع على أسرار الطائفتين [1].

خامساً: العنوسة والتأخر في الزواج:

مما يساعد ويسهم في التأخر وعدم التبكير في الزواج الانحرافات السلوكية وبخاصة عند من يتعاطون المسكرات والمخدرات، ويرتكبون فاحشة الزنا التي من آثارها تفشي الطلاق، والسبب في ذلك عدم الشعور بالمسؤولية الأسرية، وكثرة المنازعات الداخلية، كما أن انصراف المرأة إلى التقاليد غير الإسلامية في أساليب الحياة كالتبرج، والاختلاط، ومحادثة الرجال[2] ما يزهد الرجال فيها، مما يسبب تأخر الزواج وبلوغ سن العنوسة دون زواج.

فآثار المساوئ السلوكية على المجتمع خطيرة تنعكس على حياة المجتمع وسلوكه، وتزين للمجتمع الجريمة والانحراف، واستسهالها والتعود عليها، مما قد يجعل أفراده يعتادون منكرات الأخلاق.

(١) ابن حجر، فتح الباري (١٠-٤٧٥).
(٢) إبراهيم الدعيلج، البث المباشرة، ص(١٥٢-١٥٣).

المبحث السادس
الآثار الأسرية

تتأثر الأسرة تأثراً مباشراً بالمساوئ الخلقية التي تحدث بين أفرادها ؛ وذلك بسبب كثرة المخالطة وطول المعايشة، وكبر حجم المسؤولية المتبادلة بين أفرادها التي بينها المصطفى عليه الصلاة والسلام في قوله (كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته، الإمام راع ومسؤول عن رعيته، والرجل راع في أهله وهو مسؤول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها، والخادم راع في مال سيده ومسؤول عن رعيته. قال: وحسبت أن قد قال ﷺ : والرجل راع في مال أبيه ومسؤول عن رعيته، وكلكم راع ومسؤول عن رعيته)[1].

ويمكن إبراز أهم تلك الآثار السلبية التي تنعكس على الأسرة من مساوئ الأخلاق فيما يلي:

أولاً: ازدياد عناء حجم المسؤولية:

أول الآثار التي تلحق الأسرة من المساوئ الخلقية زيادة عبء وعناء المسؤولية، وما يلازم ذلك من متاعب بدنية وآلام نفسية لا يشعر بها إلا من ابتلي بها، حيث يكابد الوالدان جنوح الأحداث الأسرية، والانحرافات السلوكية: من

(١) البخاري (١/٢٨٤-٢٨٥) برقم (٨٩٣) واللفظ له. ومسلم (٣/١٤٥٩).

سرقة، أو اعتداء، أو اغتصاب، أو شرب الخمر والمسكرات، أو التزوير، أو الزنا، أو اللواط، أو العناد والتمرد وعدم الطاعة [1]، والكذب والشجار بين الأخوة، فجميع هذه المساوئ السلوكية تُلْقِي بتبعاتها على كاهل الأسرة، مما يزيد من حجم مسؤوليتها التربوية.

ثانياً: القدوة السيئة:

إن مما هو متقرر أن كثرة المخالطة وطول المعايشة توجد المشاكلة، ومما ينتج عن هذه القاعدة أن الفاسد من أبناء الأسرة قد يمتد تأثيره عن طريق عامل الاقتداء والملازمة إلى بقية الأخوة، مما يحدث أثراً تربوياً سيئاً في بناء الأسرة المسلمة،وبالتالي تفقد الأسرة أهم مقومات البناء التربوي السليم التي هي القدوة.

والإسلام بيّن في منهجه التربوي العظيم خطر القدوة السيئة في الدين والأخلاق وسائر الأعمال، قال تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ أَوَلَوْ كَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٢١﴾ ﴾ [2].

وقال ﷺ في بيان ما تلحقه القدوة السيئة من خسارة ومهلكة لصاحبها: (ومن سن في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير أن

(١) وليد شلاش نايف، مشكلات الشباب والمنهج الإسلامي، في علاجها، ص (٧٠-٧١).
(٢) سورة لقمان، آية رقم (٢١).

ينقص من أوزارهم شيء)[1].

وهذا يؤكد خطورة القدوة وما يلحق صاحبها من آثام ؛ ولذلك فإن خير معين للأسرة لتلافي تلك الآثار السيئة الاستعانة بالله تعالى وبمنهجه الحكيم تطبيقاً عملياً داخل البناء الأسري.

ثالثاً: السمعة السيئة:

تلحق السمعة السيئة بالأسرة نتيجة انحراف أبنائها، ولهذه السمعة تبعاتها وآثارها الاجتماعية والتربوية، والتي منها عزوف الناس عن التعايش مع الأسرة السيئة، أو مصاهرتها؛ ولهذا انعكاس وأثر أخلاقي ونفسي خطير يعانيه الوالدان والأبناء.

ولذلك فإنه من واجب الأسرة أن تدفع هذا الأثر السيئ من خلال تطبيق منهج التربية الإسلامية الذي يكفل لها وللمجتمع البعد عن ويلات ونكبات المساوئ الخلقية، ويصون عرضها من أن تلوكه ألسنة المرجفين ومن في قلوبهم مرض.

ففي التربية الوقائية التي تضمنها المنهج الإسلامي خير معين على ذلك، فتأمل قوله تعالى: ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٣٢﴾﴾[2].

ففي هذا التوجيه تربية وقائية حتى لا يطمع من مرضت قلوبهم بداء

(١) مسلم (٢/٧٠٥) برقم (٦٩-١٠١٧).
(٢) سورة الأحزاب، آية رقم (٣٢).

الشهوات. فأي تربية أجل وأعز من هذه التربية الوقائية العلاجية.

رابعاً: الفرقة والشحناء:

إذا انتشرت الغيبة والنميمة والحسد بين أفراد الأسرة غرست الشحناء بينهم وأنتجت الفرقة والمقاطعة، وحل التنائي بدل التداني.

والنبي ﷺ يقول في عظم قطعية الرحم: (الرحم معلقة بالعرش، تقول: من وصلني وصله الله، ومن قطعني قطعه الله)[1].

كما أن صلة الرحم من أبواب بسط الرزق وبركة العمر. قال ﷺ: (من أحب أن يبسط له في رزقه وينسأ له في أثره، فليصل رحمه)[2].

ولقطيعة الرحم آثار وخيمة على أفرادها بما يلحقهم من الإثم والضرر الاجتماعي والنفسي والمادي، وكل ذلك نتيجة عدم التعاون والتعاضد وسد حاجة المحتاج، وربما نام الغني منهم وقريبه طاوياً يعاني الجوع ويكابده ؛ ولذلك فإنه من المتعين على الأسرة المسلمة أن تسعى للمّ الشمل ومحاربة المقاطعة بكل الوسائل التربوية التي تضمنها منهج التربية الإسلامية.

---

(١) البخاري (٤/٩٥-٩٦) برقم (٦٠٢٤) ومسلم (٤/٢٠٠٣-٢٠٠٤) برقم (٧٧-٥٩٣).
(٢) البخاري (٤/٨٩) برقم (٥٩٨٥) ومسلم (٤/١٩٨٢).

خامساً: التأخر في الزواج:

من الآثار السيئة التي تلحق بكنف: الأسرة تأخر أبنائها عن الزواج، وذلك نتيجة لوجود بعض مساوئ الأخلاق التي لها الأثر الفاعل في ذلك، إما نتيجة إهلاك المال وصرفه في المخدرات والمسكرات، أو نتيجة اللهو المحرم، وإشباع الغرائز بطريقة محرمة، كاتخاذ الأخدان. أو نتيجة مجاراة العادات والتقاليد.

وفي تأخر الزواج مفاسد وآثار وخيمة منها يلي [1]:

١ ـ عدم المسارعة في تنفيذ وصية النبي ﷺ للشباب: (يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج، فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج) [2].

٢ ـ عدم سد باب الذرائع المؤدية إلى الوقوع في الحرام، كالنظرة المحرمة والزنا.

٣ ـ التأخر في إنجاب النسل الذي سيباهي به الرسول ﷺ يوم القيامة. (تزوجوا الولود الودود فإني مكاثر بكم الأمم يوم القيامة)[3].

٤ ـ ظهور ظاهرة العنوسة عند الفتيات بسبب التأخر في الزواج.

سادساً: انتهاك الأعراض:

إن في المساوئ الخلقية ما يؤدي إلى انتهاك الأعراض وإفساد النسل، وأن

(١) خالد الحازمي، المشكلات التربوية الأسرية وأساليبها العلاجية، ص (١٠-١١).
(٢) البخاري (٣/٣٥٥) برقم (٥٠٦٦) ومسلم (٢/١٠١٩) برقم (٣).
(٣) البخاري (١/٤١) (٦٧) ومسلم (٣/١٣٠٦) برقم (٣٠/١٦٧٩).

يُنْسَبَ إلى الرجل ما ليس منه، كل ذلك نتيجة الانحرافات الجنسية، وقد قال النبي ﷺ: (فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا، فليبلغ الشاهد الغائب) [1].

ولا إحصان للأسرة إلا بالتربية الوقائية من المفاسد الخلقية من خلال منهج التربية الإسلامية الذي يكفل لها عيشة هانئة مطمئنة.

ومنهج التربية الإسلامية هو تطبيق ما تضمنه القرآن الكريم والسنة النبوية.

المبحث السابع
الآثار الاقتصادية

يعتبر الاقتصاد من أهم أسس بناء المجتمع واستقراره، وفي تدنيه زاوية من زوايا البطالة، والشر والانحراف، وقد استعاذ النبي ﷺ من الفقر، فقال ﷺ: (اللهم إني أعوذ بك من الكفر، والفقر، وعذاب القبر) [2]، وقال عليه الصلاة والسلام: (اللهم إني أعوذ بك من الفقر والقلة والذلة، وأعوذ بك من أن أَظلم أو أُظلم) [3].

(١) البخاري (٤١/١) برقم (٦٧) ومسلم (١٣٠٦/٣) برقم (١٦٧٩/٣٠).
(٢) النسائي (٧٣/٣-٧٤) برقم (١٣٤٧) وأحمد (٣٦/٥) وصححه الألباني في صحيح سنن النسائي، برقم (١٢٧٦).
(٣) أبو داود (١٩٠/٢-١٩١) برقم (٥٤٤) وصححه الألباني، في صحيح سنن أبي داود، برقم (١٣٦٦-١٥٤٤).

ومن أبرز العوامل المؤثرة في الضعف الاقتصادي للأمة انتشار المساوئ الخلقية لما تحمله في طياتها من الشر والفساد الذي يحول دون نماء الأمة ورقيها وتطورها واستغلال خيراتها، ويمكن إيضاح أبرز آثار المساوئ الخلقية على اقتصاد الأمة في الآتي:

أولاً: إضعاف الدخل:

تسهم المساوئ الخلقية في إضعاف دخل الفرد والمجتمع من خلال الأمراض التي يصاب بها أصحاب الانحرافات السلوكية مما تجعلهم يتغيبون عن العمل أو يتأخرون عن مهنهم بما يؤدي إلى إهدار الوقت وصرفه فيما لا نفع فيه ولا فائدة.

ومن جانب آخر قد يصرف صاحب المساوئ الخلقية جزءًا من دخله على ما يقوم به من انحراف في استماع اللهو وشراء آلاته وأدواته وأشرطته، أو ما يدفعه في إضاعة الوقت من خلال المسرح والسينما، أو ما يصرفه على المسكرات والمخدرات بما ينعكس في مجموعه على إهدار اقتصاد الأمة وإضعافها مالياً.

فقد أشارت بعض الدراسات إلى أنه ينفق على اللهو في بعض المجتمعات الإسلامية ١٣٪ من ميزانية الأسرة، وتقدر خسارة إحدى المجتمعات نتيجة شرب الخمر بحوالي ٣١٩٥ مليون جنيه [(١)].

وأظهرت بعض الدراسات أن قيمة ما ينفق على المخدرات والعقاقير عموماً

(١) السيد متولي العشماوي، الجوانب الاجتماعية لظاهرة الإدمان. (١/١٠١-١٠٢).

لا يقل عن نصف الدخل، وفي بعض الأحيان يضطر المتعاطي إلى الاستدانة لدعم عادته من التعاطي [1].

ثانياً: البطالة:

من الآثار السيئة للانحرافات السلوكية الميل للدعة والراحة وأخذ أموال الناس بالباطل لسد الاحتياجات، وبخاصة ذوي المخدرات، حيث تميل هذه الفئة إلى الراحة وعدم العمل، وقد مثلوا في إحدى العينات ١١.٢٪[2].

ثالثا: تكلفة الإصابة:

تعتبر إصابة الفرد ذات أثر بالغ على اقتصاد الأمة، فكيف إذا كانت الإصابة لعدد كبير من الأفراد، فإن أثرها يكون أبلغ لما في ذلك من حجبهم عن العمل، إضافة إلى تكاليف العلاج والرّعاية الصحيّة بالأموال الباهظة، وكان من الأولى أن تُنْفَق في قنوات اقتصادية نافعة.

وفي الانحرافات السلوكية ما يؤدي إلى إصابة الفرد وإعاقته من خلال ما يصيب قوته العاقلة، فيؤدي ذلك إلى إعاقته عن العمل، وفي معالجته وتطبيبه تكلفة اقتصادية تتحملها ميزانية الدولة.

ومن جانب آخر فإن ما ينتج عن الضغائن والحسد والحقد من إتلاف

(١) المصدر السابق (٢/٨٦).
(٢) المصدر السابق، (٢/٨٨).

وإصاباتٍ لأموال الآخرين فيه إهدار لاقتصاد الأمة، وتكلفة وجهد يهدر نتيجة الانحراف السلوكي.

وأيضاً ما قد يلحق بممارسي الزنا واللواط من أمراض تعيقهم عن العمل وعن أداء مسوؤلياتهم، وفي هذا تعطيل لعقول وأجسام كان بإمكانها أن تبني وتشيد في بناء الأمة، ولكن الإصابة بالمساوئ السلوكية أودت بها فيما يجعلها تفقد الإسهام في بناء اقتصاد الأمة، إضافة إلى تكلفه ثمن العلاج والدواء والطبيب والسرير والمستشفى، وكلها إهدار لاقتصاد الأمة.

رابعاً: تدمير الموارد بالرشوة:

لقد حرم الله تعالى أكل الأموال بالباطل، قال تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُواْ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُواْ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٨﴾﴾[1].

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: (لعن رسول ﷺ الراشي والمرتشي)[2].

ولا تقف الرشوة عند الحصول على مال، أو منفعة وإنما تتعدى ذلك إلى الحصول على المركز أو العمل الذي يُمكّنُ به فرد وهو لا يستحقه، وفي إشغال

(١) سورة البقرة، آية رقم (١٨٨).
(٢) المسند (٢/١٦٤).

الوظائف بمن ليس جدير بها، إهدار للوقت وللطاقات والكفاءات، وإضعاف للإنتاج بما ينعكس على اقتصاد الأمة.

وإسناد الأمور إلى غير أهلها من علامات الساعة. فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال عليه الصلاة والسلام: (إذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة، قال: كيف إضاعتها؟ قال: إذا وُسِّد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة)[1].

وربما أضاعت الرشوة حقوق الأمة واقتصادها بتبديد أموالها، فكم من المرتشين الذين أنيط بهم مسؤوليات وظيفية إدارية أو مالية، يبددون مشاريع الأمة مقابل أموال، وربما وزعت أدوية أو مطعومات منتهية الصلاحية بين أفراد المجتمع فأهلكتهم مقابل رشوة مالية، وكبدت الدولة والأمة خسائر في الأموال والأنفس[2].

خامساً: قلة الإنتاج وانحرافه:

مما يؤدى إلى قلة الإنتاج وضعف جودته وعدم إتقانه عدم الأمانة والإخلاص في الأعمال ؛ لأن في الأمانة بذل تمام الجهد في المهنة، وأداء الحقوق لأصحابها وعدم بخس الناس حقوقهم التي أمر الشرع بها وأوجبها على أتباعه، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمۡ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٢٧﴾[3]،

(١) البخاري (١/٣٧) برقم (٥٩).
(٢) انظر: عماد الدين سلطان مختصر الدراسات الأمنية (١/٦٧-٧١).
(٣) سورة الأنفال، آية رقم (٢٧).

وقالﷺ: (أد الأمانة لمن ائتمنك ولا تخن من خانك)[1].

وإذا فقدت الأمة الأمانة حلت الخيانة والخديعة والكذب والغش في المهن والمعاملات وتعثرت التجارة بين الناس وكسدت، فانعكس ذلك على اقتصاد الأمة بالضعف والهوان، وقد اعتبر الإسلام الخيانة إحدى علامات المنافق. قال عليه الصلاة والسلام: (آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف وإذا ائتمن خان)[2].

سادساً: إضاعة الأموال:

ومما تخلفه المساوئ الخلقية إضاعة الأموال بأوجه متعددة ومختلفة كالإسراف، وتهريب العملة، ونحو ذلك.

فكثير من أموال الفاسدين خلقياً تصرف وتبذر في المحرمات ومجاوزة الحد في الإنفاق والله تعالى يقول: ﴿وَلَا تُسْرِفُوٓاْ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿١٤١﴾﴾[3].

وفي الجانب الآخر، نجد أن أصحاب تجارة المخدرات والمسكرات قد أسهموا في تهريب الدولار إلى الخارج لتحويل الصفقات المميتة وجلبها للأمة[4]،

(١) أبو داود (٣/٨٠٤ - ٨٠٨٥) برقم (٣٥٣٤) وأحمد (٣/٤١٤) وقال الألباني: صحيح، صحيح الجامع الصغير (١/١٠٧) برقم (٢٤٠).

(٢) البخاري (١/٢٧) برقم (٣٣) ومسلم (١/٧٨) (١٠٧-٥٩).

(٣) سورة الأنعام، آية رقم (١٤١).

(٤) السيد متولي العشماوي، الجوانب الاجتماعية لظاهرة الإدمان (١/١٠١).

وفي هذا خطر عظيم على الأمة في الناحية الاقتصادية.

سابعاً: التكلفة الوقائية العلاجية:

إن محاربة المساوئ الخلقية من زنا وسرقة ورشوة وتهريب وترويج للمسكرات، يكلف الدولة وأجهزتها الأمنية أموالاً طائلة تنفق لتقصي المجرمين ومنع حوادثهم والقبض عليهم، في حين لو سَلِمَتْ الدولة من شر هؤلاء لوجهت تلك الأموال إلى جوانب تنموية أخرى تعود على رفع الجانب الاقتصادي للأمة، ولكن فقدت الأمن نصيباً كبيراً من اقتصادها بسبب التكلفة الوقائية العلاجية.

الخاتمة

لقد تضمن هذا الكتاب قضايا متنوعة في فهم الأخلاق الإسلامية العظيمة، وضوابطها وحدودها وشيئاً من فضائلها الجسيمة التي يتحقق بها الترابط الأسري والاجتماعي، ويتحقق بها رفع درجات الفرد في الدنيا وعند ربه تبارك وتعالى.

ولما أن فضائل الأخلاق يقابلها رذائل الأخلاق ؛ فقد تضمن الكتاب مباحث عن مساوئ الأخلاق القلبية والسمعية والبصرية والعملية، مع بيان مفهومها وآفاتها وعلاجها، كما اشتمل على الأسباب العامة للانحرافات السلوكية؛ إضافة إلى المسؤولية الملقاة على عاتق الفرد والأسرة والمجتمع والدولة تجاه حفظ الأخلاق ومحاربة مساوئها.

ويتأكد من خلال هذا الكتاب عناية المنهج الإسلامي وشموليته لكل قضايا الفرد والمجتمع، وأن فيه ما يحقق سعادته وأخلاقه التي تقربه من ربه ﷻ.

فلم يترك الإسلام فضيلة خلقية إلا ورغب فيها، ورتب عليها ما تستحق من الثواب، ولم يترك رذيلة سلوكية إلا وبينها وأوضحها، وبيّن ما يترتب عليها من الإثم والمخاطر.

فلله الحمد على تمام هذا المنهج وكماله، ونسأل الله تعالى أن يرزقنا العمل والتحلي بفضائل الأخلاق أجمعها، وأن يجنبنا منكرات الأخلاق ومساوئها وأن يغفر لنا ويرحمنا، وأن يهدينا ويوفقنا لما يحبه ويرضاه، والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

فهرس

الموضوعات

العنوان	الصفحة
المقدمة	٣
الفصل الأول: الأخلاق: مفهومها، وأصولها، وحدودها	٥
تمهيد	٧
المبحث الأول: مفهوم الخلق	٩
أولا: الأخلاق في الدلالة اللغوية	٩
ثانيا: الأخلاق في القرآن الكريم	١٠
ثالثا: الأخلاق في الحديث الشريف	١٢
رابعاً: الأخلاق في التربية الإسلامية	١٧
المبحث الثاني: الضوابط الخلقية	٢٧
أولا: الضوابط الشرعية	٢٨
ثانيا: الضوابط العرفية	٢٩
ثالثا: الضوابط النفسية	٣٣
المبحث الثالث: حدود الأخلاق	٣٧
- مفهوم حدود الأخلاق	٣٧
- أهمية حدود الأخلاق	٣٧
- أقسام حدود الأخلاق	٣٩
١- الحدود العامة	٣٩
٢- الحدود الخاصة	٤١

العنوان	الصفحة
المبحث الرابع: أصول السلوك الخلقي	٤٤
أولا: بذل الندى	٤٤
ثانياً: كف الأذى	٤٩
ثالثا: احتمال الأذى	٥٥
رابعاً: طلاقة الوجه	٥٧
المبحث الخامس: أسس الأخلاق الإسلامية	٥٨
١- النية	٥٨
٢- الاتباع	٦٣
٣- الإلزام الخلقي	٦٧
٤- اليسر الخلقي	٧٦
المبحث السادس: الآداب والفضائل الخلقية	٨٥
أولا: الأدب مع الله تعالى	٨٦
ثانيا: الأدب مع الرسول ﷺ وسائر الأنبياء عليهم السلام	٩١
ثالثا: الأدب مع الوالدين	٩٤
رابعا: الأدب مع الأرحام	٩٨
خامساً: آداب الحوار	١٠١
سادساً: الفضائل الخلقية	١١٠

العنوان	الصفحة
- الحياء	١١٠
- الصبر	١١٤
- الصدق	١٢٠
- التواضع	١٢٥
- الرفق والرحمة	١٣١
- الأمانة	١٣٧
المبحث السابع: أسس التربية الخلقية والحكم الأخلاقي	١٤٣
أولا: الحكم الأخلاقي.	١٤٣
ثانيا: أسس التربية الخلقية	١٤٥
ملخص	١٤٧
الفصل الثاني: مساوئ الأخلاق	١٤٩
تمهيد	١٥١
المبحث الأول: تعريف المساوئ الخلقية وأصولها وضوابطها	١٥٤
أولاً: تعريف المساوئ الخلقية	١٥٤
ثانياً: أصول المساوئ الخلقية	١٥٥
ثالثا: ضوابط المساوئ الخلقية	١٦٢
المبحث الثاني: أنواع المساوئ الخلقية	١٦٦
أولا: المساوئ اللفظية	١٦٦

العنوان	الصفحة

ثانيا: المساوئ السمعية والبصرية ١٩٨

ثالثا: المساوئ العملية الفعلية ٢١٤

رابعاً: المساوئ القلبية ٢٧٦

المبحث الثالث: أسباب الانحرافات الخلفية ٣٠٩

أولاً: ضعف الوازع الديني..... ٣١١

ثانياً: سوء التوافق النفسي..... ٣١٧

ثالثاً: العوامل الاقتصادية..... ٣٢٩

رابعاً: البيئة الاجتماعية ٣٣٤

المبحث الرابع: مسؤوليات الانحرافات السلوكية ٣٦٥

أولا: المسؤولية الفردية ٣٦٥

ثانياً: المسؤولية الأسرية ٣٦٩

ثالثا: المسؤولية الاجتماعية ٣٧٢

رابعاً: مسؤولية الدولة..... ٣٧٤

خامساً: مسؤولية البيئات التربوية..... ٣٧٩

المبحث الخامس: المنهج العلاجي لمساوئ الأخلاق ٣٨٢

أولا: نشر العلم الشرعي ٣٨٢

ثانيا: الرفقة الصالحة ٣٨٥

ثالثا: تطبيق العقوبات الشرعية ٣٨٧

العنوان	الصفحة
رابعاً: استغلال وسائل الإعلام	٣٨٩
خامساً: حسن استغلال المساجد	٣٩١
سادساً: جهاد النفس	٣٩٤
سابعاً: بعد النظر	٣٩٦
الفصل الثالث: آثار مساوئ الأخلاق على الأمة	٣٩٩
تمهيد	٤٠١
المبحث الأول: الآثار الدينية	٤٠٣
المبحث الثاني: الآثار الأمنية	٤٠٩
المبحث الثالث: الآثار الصحية	٤١٣
المبحث الرابع: الآثار النفسية	٤١٧
المبحث الخامس: الآثار الاجتماعية	٤٢٤
المبحث السادس: الآثار الأسرية	٤٢٩
المبحث السابع: الآثار الاقتصادية	٤٣٤
الخاتمة	٤٤١
فهرس الموضوعات	٤٤٣